

رواية

محمد حسن سعد

ثقب الهاوية

رواية

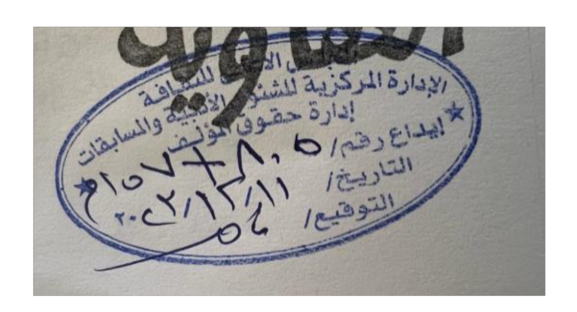
محمد حسن سعد

تنويه

هذا العالم من وحي الخيال، الشخصيات والأحداث والأماكن من دولة ومدن تم إنشاؤها من قِبَل المؤلف وهي خيالية لا تمتُّ الواقع بصلة، لذا فإن أي تشابه في الأسماء أو الأحداث أو الأماكن هو من قبيل الصدفة، لذا وجب التنويه.

*هذه الرواية هي الجزء الرابع من سلسلة "من تجارب د.يحيى فهيم"، لكنها لا تستلزم قراءة أيٍّ من الأجزاء السابقة.

* تدور الأحداث داخل مدينة نالة بدولة دونسيار.



* جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ٢٠٢٤

الفصل الأول

البداية

١

مدينة نالـة، دولة دونسيـار

المركز العلمي لأبحاث الكون

كانت الساعة تقترب من الثالثة صباحا عندما أصدر الحاسوب العملاق صوت صافرة، كان صوتا هادئا منتظما غير مزعج ولا يبدو كصوت إنذار أو أن مشكلة جسيمة قد حدثت ولكنه كان كافيا لإيقاظ دكتور سمير من نومه.

نهض دكتور سمير يتحسس جهاز استنشاقه الموضوع بجواره على المنضدة حتى وجده، وضعه على فمه ثم ضغط على زر الجهاز لتنفجر الكبسولة الموضوعة بداخله وبدأ في استنشاق دوائه الخاص ليشعر ببعض الراحة، كان سمير هو المدير المنوب للمركز ذلك اليوم، نهض وهو يترنح يغالب نعاسه، اتجه إلى صالة المركز الرئيسية بعدما كان قد تركها منذ نصف ساعة فقط، كان منهكا ولم يستعد كامل وعيه بعد، وقف يحاول أن يستجمع تركيزه وأخذ ينظر على الشاشة باحثا عن سبب ذلك الصوت ولكنه لم يجد أي شيء يرشده إلى سبب تلك الصافرة، فقام بالتحدث بصوت ناعس إلى الحاسوب العملاق:

- "جيد"، أظهر لي سبب ذلك الصوت.

أجابه الحاسوب "جيد":

- بالتأكيد د.سمير، على الفور.

ظهرت على الشاشة نافذة تحتوي على أرقام مظللة باللون الأخضر، استغرق الأمر لحظات معدودة من د.سمير حتى أدرك ما تحتويه تلك

النافذة، وحينها خفق قلبه واتسعت عيناه غير مصدق ما يراه وصدرت منه صرخة مكتومة لا إراديا وجثا على ركبتيه وهو يحملق في تلك النافذة.

كانت الحماسة واضحة جلية على محيا د.سمير، نهض مبتسما وهو يحدث الحاسوب:

- "جيد"، فلتعرض لي كل الإحصائيات الخاصة بتلك التجربة.

- على الفور د.سمير.

وبدأت عدة شاشات تظهر أمام د.سمير الذي شرع في التنقل بينهم وقلبه ينبض بقوة، مجهود سنوات عديدة من العمل الشاق الدؤوب يظهر أمامه الآن، ظل د.سمير يتابع الأرقام التي تظهر له وهو يشعر بالفخر والنشوة، وفي تلك اللحظة تحدث للحاسوب مجددا:

- "جيد"، فلتتصل بالدكتورة هند مديرة المركز حالا.

- لا أستطيع، لقد وضعتك د.هند في قائمة المحظورين من الاتصال بها بعد الساعة الثانية عشر صباحا.

- لكنه أمر هام يا "جيد".

- عفوا، صلاحيات د.هند أعلى من صلاحياتك د.سمير، لذا لا يمكنني تنفيذ أوامرك.

- لقد حظرت هاتفي أيضا من الاتصال بها منذ زمن... هل تدلني على طريقة للاتصال بها إذا؟

- لا يمكنك الاتصال بها إلا إذا حدث أمر جسيم، حينها سأتصل بها أوتوماتيكيا.

صمت د.سمير قليلا وظل يفكر وحينها انطلق إلى إحدى كبائن الشبكات ليفصل مستشعر الحرارة عن الصالة الرئيسية لينطلق إنذار أحمر اللون في كل مكان وأصبح صوت الإنذار قويا مدويا في المكان جعل كل طاقم النوبتجية يستيقظ مرعوبا لا يعلمون ما يحدث وحينها انطلق صوت "جيد" في كل أرجاء المكان:

" تم فقد الاتصال بمستشعر الحرارة، تم فقد الاتصال بمستشعر الحرارة".

ثم ظهر على الشاشة "جاري الاتصال بمدير المركز وكل العاملين".

في منزل الدكتورة هند التي كانت تغط في نوم عميق، ظهر فجأة صوتا عاليا من هاتفها رغم أنه تم وضعه على خاصية عدم الإزعاج، انتفضت د.هند من نومها وهي تعلم أن هنالك أمرا طارئا في المركز، أخذت تتحسس الهاتف بجانبها حتى أمسكته وهي تضعه على أذنها لتفتح اتصالا سريعا مع الطاقم النوبتجي لتجد صوت د.سمير يحدثها:

- لا تقلقي د.هند كل شيء بخير، لقد كنت أقوم بأعمال الصيانة وعن غير قصد فُصل مستشعر الحرارة ولكني أعدته مجددا وكل شيء على ما يرام وقمت بالتأكد أن جميع خزانات التبريد تعمل جيدا وأجهزة المركز الدقيقة يتم إمدادها بنسب التبريد المناسبة ... بالمناسبة، وبما أنكِ قد استيقظتِ، أردت إخبارك أن تجربتي التي حدثتك عنها قد نجحت وباستطاعتنا البدء في البحث عن دكتور عُمر جيد قريبا.

لم تستوعب د.هند ما قيل لها في تلك الثواني الماضية وظلت صامتة لا تدري في أي شيء يتحدث حتى جاءها صوت د.سمير مجددا:

- هل أنت معي د.هند؟

- هل كل شيء عندك على ما يرام يا سمير؟

- نعم سيدتي، المركز في أحسن حال.

- حسنا، لنتحدث عن أمر تجربتك تلك في الصباح.

- حسنا سيدتي، سأُعد كل ترتيبات الرحلة حتى تأتي في الصباح.

صاحت د.هند حينها وهي تجيب:

- لا تصنع أي شيء حتى آتي يا سمير، هذا أمر واضح.

أغلقت د.هند الهاتف وهي غاضبة ونظرت بجانبها لتجد ابنتها قد استيقظت بسبب ما حدث، نظرت إليها وهي تحدثها:

- لا تقلقي عزيزتي، هذا دكتور سمير المجنون مجددا.

- هل عمي سمير بخير؟، ماذا كان يريد تلك المرة؟

- يريد أن يذهب للبحث عن أستاذه الذي فُقد منذ سبع سنوات.

ثم أكملت د.هند وهي تسحب الغطاء مجددا وتكمل نومها قائلة:

- لكم أتمني أن أنهي فترة عملي هناك وأنا في كامل قواي العقلية.



في المركز، اندفع كل طاقم النوبتجية مسرعين إلى الصالة الرئيسية يبحثون عن سبب ذلك الإنذار المدوي، ما أن دلفوا من باب الصالة حتى وجدوا د.سمير الذي بدا أنه تفاجأ بهم ولكنه استوعب سريعا ما فعله فحدثهم بصوت حازم وقوي:

- لقد كان ذلك اختبار لكم على سرعة استجابتكم للإنذار، ولم ينجح أحد فيكم، كلكم كسالى لا تصلحون للعمل هنا.

أخذ الجميع ينظرون إلى بعضهم البعض لا يعلمون ماذا يحدث، ظلوا هكذا حتى أخرجهم سمير من جمودهم قائلا:

- فلتذهبوا مجددا إلى أماكنكم، لقد توليت الأمر، ولنكن أسرع من ذلك في المرات القادمة لأنني سأختبركم مجددا.

وقف الجميع متسمرين لا يعلمون ما الذي يحدث، وهل كل شيء على ما يرام أم لا، ظلوا ينظرون إلى سمير منتظرين منه شرحا لما حدث ولكنهم لم يجدوا منه شيء.

انفض الجمع مجددا بعدما أمرهم سمير بذلك وطمأنهم أن كل شيء بخير وزادت طمأنتهم عندما صدر صوت "جيد" في المكان وهو يذيع "عاد مستشعر الحرارة إلى الخدمة وتم فحص كل الأنظمة وتعمل بكفاءة".

عاد سمير مجددا لشاشة الحاسوب وهو يُمعن النظر في تلك النتائج مجددا وهو يزفر بصوت ملحوظ، وحينها تذكر المهندس عماد الذي

ساعده في إعداد تلك الخوارزمية التي أوصلته إلى النتائج الصحيحة المناسبة للتجربة، فتحدث إلى "جيد" قائلا:

- "جيد"، لتتصل بالمهندس عماد.

- لقد قمت باستدعاء كل العاملين بالمركز، هل تريد الاتصال به أيضا؟

- هل قمت باستدعاء كل العاملين؟، لِمَ فعلت ذلك؟

- هذا هو برتوكول الطوارئ المفعل هنا وقمت بتنفيذه.

- هل يمكن أن نلغيه، لقد عاد كل شيء على ما يرام.

- لقد أرسلت لكل العاملين بأن الأمور عادت للعمل بكفاءة، ولكن بروتوكول الاستدعاء مازال مفعل رغم ذلك.

- لتلغيه إذا ذلك البروتوكول.

- لا أستطيع، هذا البرتوكول مفعل بواسطة د.هند وهي الوحيدة القادرة على إبطاله.

- لتتصل إذا بد.هند وتلغي ذلك البرتوكول، ستقوم باستدعاء ١٥٠ شخص من أجل إنذار كاذب!

- لا أستطيع، لقد وضعتك د.هند في قائمة المحظورين من الاتصال بها بعد الساعة الثانية عشر صباحا.

- اللعنة، ليكن الأمر إذا... ولتتصل بالمهندس عماد الآن.

- حسنا، جاري الاتصال به.

تواصل د.سمير مع المهندس عماد الذي بدا على صوته النعاس ولكنه يبدو أنه كان خارج منزله وقت الاتصال، تحدث إليه سمير قائلا:

- عماد، هل خرجت من منزلك؟

- د.سمير؟، هل أنت المدير المنوب اليوم، إنني في الطريق إليكم، ماذا حدث؟

- لا تقلق، لقد فُصل مستشعر الحرارة ولكنه عاد للعمل.

- لدينا أكثر من أربعين مستشعر حرارة في المركز، ومتصلون بأكثر من مصدر للكهرباء، هل تم فصلهم جميعا في نفس الوقت؟

- حسنا، يبدو أنني فصلت الجهاز الرئيسي المتحكم بهم جميعا.

- أنت من فصلته؟

- لا، لا، لقد كنت أقوم ببعض أعمال الصيانة وبالخطأ اصطدمت بأحد أجهزتك اللعينة تلك وتسبب في ذلك انطلاق الإنذار.

- أجهزتي متواجدة في كابينة خاصة وهي بعيدة عن أجهزتكم يا د.سمير.

- هل ستقوم بالتحقيق معي يا عماد؟، أنا أتصل بك لأمر آخر تماما.

- ماهو ذلك الأمر؟

- لقد انتهت الخوارزمية التي صنعتها من محاولاتها وظهرت إحدى النتائج متوافقة لاختباراتنا، لقد علمت المكان والزمان المناسبين للدخول إلى مكان د.عُمر جيد.

خفق قلب عماد بقوة وصمت ولم يُجب.

- عماد هل أنت معي؟، لقد نجحنا، يمكننا الذهاب للبحث عن د.عُمر جيد.

جاء صوت عماد حينها خائفا مترددا وهو يجيب سمير:

- هل هذا يعني أننا سنذهب إلى ...

أجاب سمير بكل حماس:

- نعم، سنذهب إلى ثقب الهاوية.



امتلأ المركز بالعلماء والمهندسين والعاملين ولم تتجاوز الساعة السادسة صباحا حينها، وقف الجميع متعجبين لما يحدث، فقد فحص كل شخص أنظمته المسئول عنها وكانت جيدة وتعمل بكفاءة، فتجمعوا في إحدى قاعات المؤتمرات وهم يتساءلون عما حدث ليتم استدعائهم جميعا هكذا.

كانت جميع الأنظار متجه إلى د.سمير الذي كان مسئولا عن المركز في تلك المناوبة، يعلمون أن الأمر لن يخرج عن أنها تجربة من تجارب سمير -عالم الفيزياء المخبول- المتهورة التي طالما ابتلاهم بها، ربما قام بتفجير أحد معامل المركز أثناء قيامه بأحد تجاربه تلك، أو تسبب في تسريب مواد مشعة مثلما فعل في السابق واضطروا إلى غلق جزء كبير من المركز حتى احتواء الإشعاع الذي تسبب بإصابته بمرض أضرَّ جهازه التنفسي بشده.

كان سمير مشهور في المركز بأنه عالم مجنون، لم يكن هنالك أحد يرغب أن يشترك معه في أيٍ من تجاربه الخاصة لأنهم كانوا يعلمون أنها تجارب خطرة غير مألوفة، برغم صغر حجمه ومنظره الطفولي وقصر طوله الملحوظ إلا أنه لطالما ورط نفسه في أمور لا تناسب عمره الذي قد قارب الخمسين، لذا فقد تجمعوا جميعا منتظرين منه إجابة تقنعهم عن سبب قدومهم إلى المركز قبل بدء العمل اليومي بأكثر من ثلاث ساعات.

وقف سمير في منتصف القاعة ممسكا بجهاز استنشاقه ليستنشق كبسولة جديدة جعلته يهدأ قبل أن يتحدث مع هذا الحشد الكبير، بدا

عليه الحرج نوعا ما لما سيقوله، فتحدث في الميكروفون ليستمع إليه الجميع:

- أولا أعتذر لكم لما حدث اليوم ولكنني حاولت أن أتدارك الأمر وألغي الاستدعاء ولكن د.هند وضعت قوانين مجحفة للطوارئ.

ظل الجميع ينظرون لبعضهم البعض لا يفهمون شيئا وظلوا يلقون بنظرات غضب باتجاه د. سمير الذي أكمل حديثه:

- لقد كنت أقوم بأعمال صيانة وبالخطأ انطلقت صافرة الإنذار بسبب مستشعر الحرارة وعندما حاولت إلغاء الاستدعاء وجدت نفسي محظور من فعل ذلك لأن كل الصلاحيات مقصورة على د.هند فقط.

بدأت أصوات العاملين تتعالى يتذمرون لما حدث وبدأ بعضهم يصيح بصوت عال معترضا لقدومهم في مثل ذلك الوقت لشيء وهمي وحينها حاول د.سمير تهدئتهم وهو يصيح بالميكرفون قائلا:

- سأتحدث لد.هند في ذلك الأمر، أنا لا أرضى لكم ما حدث بالتأكيد، أنتم أنبغ علماء دونسيار لا يجب أن تُعاملوا هكذا.

غادر د.سمير القاعة ولحق به عماد وهو يحدثه بصوت مهزوز:

- هل كنت جاد حقا بما قلته؟

- بالطبع لا، ما المشكلة أن يأتوا في السادسة صباحا، هؤلاء علماء كسالى، لكني أردت تهدئتهم فقط لا غير.

- أنا لا أقصد ذلك الأمر، أنا أقصد أمر الثقب.

- نعم، آسف أنني لم أشكرك بما فيه الكفاية على تلك الخوارزمية، لقد بينت لنا إحداثيات المكان والزمان المناسبين لدخول الثقب.

احتضن د.سمير عماد بقوة وظل الأخير واقفا جامدا لم يتفاعل معه، كان حماس د.سمير جليا واضحا جعله يخرج ورقة من جيبه وقد كتب بها عدة أسماء وتحدث إلى عماد:

- لقد اخترتك أنت كمهندس تقني معي، ود.باسل كعالم فلك، ود.حسين كعالم جيولوجي، وسنختار طيارا بارعا لإيصالنا إلى المكان المراد... لقد اخترتكم بعد بحث طويل حيث أنكم جميعا غير متزوجين.

نظر له عماد متعجبا غير مستوعب ما قيل قبل أن يجيبه:

- كلهم متزوجون يا د.سمير، لقد حضرت معنا زواج د.باسل الشهر الماضي.

صمت سمير ولم يعلق على ما قيل ليكمل عماد:

- أسمح لي، لكنه لم ينج أحد من ذلك الثقب أبدا، ولا نعرف أين تذهب الأشياء فيه، وحتى وإن دخلنا وصحت حسابتنا، لا نعرف ما الذي بداخله ولا نعرف طريقة للخروج منه، تلك عملية انتحارية بلا أدنى شك.

- ألا ترغب أن يتم ذكرك في التاريخ، أنك أول من يعبر من الثقب بنجاح، ألا يصيبك الفضول لمعرفة ماذا يوجد بداخله؟

- يصيبني الفضول ولكني لا أرغب أن أكون صاحب ذلك الشرف، وكيف سنخبرهم بأننا نجحنا إن كنا لا نعرف ما الذي بالداخل وكيف

تسير الأمور هناك وكيف سنعود... أستميحك عذرا ولكن لتبحث عن شخص غيري.

- لقد وضعت حساباتي الخاصة للرجوع من هناك، فقط نحتاج إلى بعض معطيات فيزيائية وسنحصل عليها بمعداتنا عندما نكون بداخله.

- تلك حسابات نظرية وافتراضية، حسابات افتراضية يا د.سمير، كل الطائرات المسيرة التي أُرسلت هناك لم تعد ولم تمدنا بأية معلومات مفيدة.

شعر سمير بخوف عماد ورهبته من الأمر فحاول أن يلطف الأمور وطمأنه:

- لا تقلق، لقد درست أمر الدخول إلى الثقب على مدار سبع سنوات متواصلة ولا يوجد مجال للخطأ.

- ألم تكن مع دكتور عُمر جيد وقد درستم الأمر قبل أن يذهب ويختفي هناك؟

تغيرت ملامح سمير وكأنه قد تذكر ما حدث في الماضي وتذكر أستاذه عُمر جيد وتذكر كلامه له حينها ورفضه اصطحاب د.سمير معه وجملته التي تتردد في ذهنه كل يوم وعلى مدار سبع سنوات.

" لن أصطحبك معي يا سمير لأنك من ستحاول البحث عني إن حدث أمر ما".



وصلت د.هند إلى المركز لتجده يكتظ بالكثير من الأشخاص، حتى أنها تفاجأت بوجود بعض منهم والمعروف عنهم التأخير الدائم، لم تكن على علم بما حدث بعد مكالمتها مع د.سمير وأمر استدعاء كل العاملين بالمركز.

تولت د.هند -عالمة الفلك- أمر إدارة المركز منذ سنتين بعد تكليف مباشر من وزير علوم الفضاء بدولة دونسيار فبرغم حداثة سنها ووجود عدة علماء آخرين يكبرونها سنا إلا أنه قد تم اختيارها كأول سيدة تتولى منصب إدارة المركز العلمي لأبحاث الكون وكان ذلك بسبب أبحاثها ومساهماتها الكثيرة في تطور علوم الفلك بدونسيار بعدما كرست حياتها لذلك وكانت حاضرة في كل الاكتشافات الكبيرة والتي نسبت إليها وجعلتها فخر لدولة دونسيار.

رغم تجاوزها سن الخمسين إلا إنها مازالت تحافظ على جسدها الممشوق الطويل ووجها الحسن المبتسم دائما، ، بدأت حياتها العملية كعالمة فلك واشتركت في العديد من رحلات استكشاف الكون كرائدة للفضاء في شبابها وفيها قامت بعدة اكتشافات كونية جعلت منها عالمة فذة مرموقة، كانت معروفة بانضباطها وحبها الكبير للعمل، كانت تهتم دائما بمظهرها وملابسها الكلاسيكية الفاخرة، فبدت دائما منمقة حسنة المظهر ذات شأن، وقد ازداد انضباطها أكثر بتوليها إدارة المركز.

ما أن تولت هند إدارة المركز حتى فتحت عليها أبواب لم تكن تعلمها، فوجدت نفسها محاطة ببعض العلماء الساخطين عليها لأنها أصغر منهم سنا وأصبحت هي رئيستهم في العمل ويتلقون منها التعليمات، كما أنها أصبحت مسؤولة عن مراقبة العلماء المهوسين

بالعلم والتجارب والذي قد يقودهم الأمر إلى ارتكاب حماقات كبيرة قد تؤدي إلى كوارث كبيرة وكان د.سمير أقوى مثال لذلك، الأمر الذي جعلها توجه بعضا من تركيزها إلى إدارة المركز تاركة استكمال أبحاثها الكونية لحين آخر.

وقفت هند أمام قاعة الاجتماعات وهي تستمع لبعض الأصوات التي لم تكن توحي بالرضا، كانت صادرة من بعض العلماء الكبار في المركز والذين يكنون بعض الكراهية لها، حينها بدأت هند تشعر بوجود خطب ما فأسرع د.سمير بالاقتراب منها يحدثها:

- سأخبرك بما يحدث د.هند ولكن يجب أن نفكر قليلا.

وجه سمير د.هند لتكمل طريقها إلى مكتبها وهنالك حكى لها سمير سبب حضور كل العاملين للمركز في ساعة مبكرة. شعرت د.هند بحنق شديد تجاه سمير وبدأت تصب جم غضبها عليه وأن كل ذلك في الأصل بسببه.

كان سمير يعلم ما ستفعله د.هند معه، لطالما انفعلت عليه كثيرا، ولكنه يعلم أن د.هند تمتلك قلبا طيبا ولن تتسبب في أذيته، رغم اقترابهم في السن إلا أن أفعال سمير لم تكن تنم على أنه شخص مسؤول يتحمل المسؤولية أبدا، لذا انتظر سمير حتى فرغت د.هند من توبيخه ثم اقترب منها وهو يتحدث بصوت به آسف وندم قائلا:

- أنا آسف د.هند لن يتكرر الأمر مجددا.

ثم انتظر لثواني وأكمل:

- ماذا سنفعل فيما حدثتك به بالأمس.

تغيرت ملامح د.هند فزاد التساؤل على وجهها الغاضب:

- ماذا تقصد؟

- تجربتي، لقد نجحت، لقد وصلنا إلى طريقة للدخول إلى ثقب الهاوية.

نهضت د.هند من كرسيها وهي حانقة للغاية من سمير وصاحت به:

- أنت مجنون مثل أستاذك الذي اختفى ومعه أنبغ علماء المركز بعدما أقنعهم باتباعه، إن كان مدير المركز السابق قد سمح لهم بذلك وتسبب الأمر في إقالته وتعريض سمعة المركز للقيل والقال، فأنا لن أسمح أبدا بأن يتكرر ذلك الأمر مجددا ... ولتخبرني، كيف لك أن تقوم بتلك التجربة دون علمي، هل تستخدم أجهزة المركز في أعمال خاصة دون أذني؟

صمت سمير ولم يتحدث، فتحدثت د.هند للحاسوب العملاق:

- "جيد"، لتعرض علي تقريرا يوميا بما يفعله د.سمير على أجهزة المركز.

فجاء صوت "جيد" مؤكدا لما طُلب منه:

- تم تسجيل الأمر سيدتي.

نظرت د.هند إلى سمير وهي تلقي عليه اللوم وهي تحدثه:

- لقد كنت معنا خطوة بخطوة في كل التجارب الماضية وتعلم بأننا كنا متأكدين بأنها ستنجح، واختار عُمر أن يقوم بفعلها بنفسه وفي

النهاية كل شيء باء بالفشل، راجعنا كل الأرقام لمئات المرات ووضعنا كل الاحتماليات لعدم فشل التجربة وفي النهاية كانت المحصلة صفر، فقدنا زملائنا وأنا فقدت زميلي بسبب حماس زائد، تلك المنطقة لا تتقيد بقوانين نعرفها، كل شيء يقترب من هناك لا يعود، ولا يظهر له أي أثر.

قاطع سمير كلام د.هند:

- لكني أعتقد بأن د.عُمر مازال حيا.

ازدادت د.هند غضبا وهي تجيب:

- نحن هنا علماء، نسير حسب قوانين وإثباتات علمية، فلا تخبرني أنك تعتقد بأنه حي. لقد كان عُمر رفيقي في العمل لمدة عشرين عاما ولم أكن لأتهاون في البحث عنه وإيجاده، لقد قمت بالبحث عنه لمدة سنتين بنفسي وكنت أنت معي في بعض رحلات البحث وتعلم أننا لم ندخر جهد وبذلنا ما بوسعنا لاكتشاف ما حدث له، ولكننا لن نعرف ماذا حدث هناك أبدا، وإن كنت محق في اعتقادك الذي لا قيمة له، فإن عُمر قادر على الرجوع مجددا ولن يحتاج مساعدتي أو مساعدتك في شيء، لذا أنا آمرك أن تتوقف عن تجاربك تلك ولا تعيد فتح الأمر مجددا أبدا.

شعر سمير بخيبة أمل كبيرة ولم يجد فرصة للرد على د.هند التي كانت تتحدث بعصبية كبيرة وبدى على صوتها أنها أيضا مكلومة لتذكر ذلك الأمر، فقرر حينها المغادرة ولكنه وجد صوت د.هند يأتي من خلفه تحدثه:

- لا أحتاج أن أذكرك بأن حكومة دونسيار أعلنت بأن من يجري تجارب بالقرب من ثقب الهاوية دون إذن فعقوبته السجن ... هذا إن عاد أصلا من هناك حيا.

سمع سمير ذلك الكلام وغادر المكتب وهو حزين ليجد عماد ينطلق مسرعا باتجاهه يسأله:

- ماذا حدث بالداخل؟، هل أخبرتها بالتجربة؟

أجابه سمير وهو يحاول أن يغير من تعابير وجهه:

- نعم، إنها متحمسة للغاية، وستحاول أن تحصل لنا على الموافقات اللازمة لإجراء التجربة.

٥

خرجت هند من مكتبها متجهة إلى قاعة الاجتماعات حيث أعدت مؤتمرا سريعا لتوضيح ما حدث الليلة الماضية، بدأت حديثها باعتذار للعلماء الكبار الذين أتوا من منازلهم دون داع وأخبرتهم بأنها ستقوم بالنظر في بروتوكول الاستدعاء الخاص بالمركز حيث يضمن الأمان الكامل للمركز وأيضا دون أن يرهق العلماء الكبار في الأمر، وتعهدت إليهم أنها ستقوم بفتح تحقيق موسع للوقوف على أسباب ما حدث بالأمس.

كان د.سمير والمهندس عماد من ضمن الحضور حيث جلسوا جنبا إلى جنب في الصفوف الأخيرة، ظلوا يستمعوا إلى حديث د.هند حتى جاء الجزء الخاص بفتح تحقيق موسع في سبب إطلاق صافرات الإنذار فحينها توتر عماد ونظر إلى سمير يحدثه بصوت خافت:

- سيلقون اللوم علي ولا يوجد خطب بمستشعرات الحرارة، لا يعرفون بأنه قد تم فصل النظام الكامل عن قصد.

وكزه سمير ليصمت، فقد كانت تلك رسالة خفية له بأنه من تعمد فصل نظام المستشعرات، بعدها نظر له سمير وتحدث بصوت وعيد خفيض:

- إن وجه أحدهم لك اللوم حينها أخبره بذلك الأمر، وإن لم يسألك أحد فلتبق فمك مغلق.

شعر عماد بأنه أثار حفيظة د.سمير وجعله يغضب منه فظل صامتا لبعض الوقت وبعدها تحدث مجددا وهو يبتسم لد.سمير قائلا:

- لقد تحدثت إلى د.باسل ود.حسين عن أمر التجربة.

اتسعت عينا د.سمير ومال بوجهه إلى عماد وكأنه سينقض عليه:

- ماذا أخبرتهم؟

كانت تعابير وجه سمير كفيلة ببث الرعب داخل عماد الذي تأكد بأنه اقترف خطأ كبير فحاول تهدئة الأمر:

- لقد كنت أحاول جذب أطراف الحديث معهم.

- بماذا أخبرتهم؟

- أخبرتهم أننا نجحنا في معرفة طريقة للدخول إلى ثقب الهاوية، وأنك تستعد لأخذ التصاريح اللازمة للقيام بالرحلة، وأنهم مرشحون للقدوم معنا.

- اللعنة، اللعنة عليك.

بدأت ركبتي سمير تتحرك لا إراديا وكأنه قد فقد أعصابه وبالتبعية بدأ عماد يصاب بالحيرة والخوف، كان على يقين بأنه فعل شيء لم يكن على هوى سمير أبدا.

ظل الوضع هكذا لفترة والأجواء مشحونة وظل الاجتماع منعقد، وسط كل هذا عاد سمير يميل إلى عماد يسأله:

- متى أخبرتهم بالأمر بالضبط؟

- قبل أن ندخل الاجتماع مباشرة.

حينها رفع سمير عينيه وأخذ يبحث عن أماكن تواجد كلا من د.باسل ود.حسين وقام بتحديد مكانهما وبعدها عاد إلى عماد مجددا يحدثه:

- بعد الاجتماع ستأتي معي وتصدّق على كلامي الذي سأقوله.

تعجب عماد مما يقوله سمير ولكن سمير لم يعطه فرصة ونظر له بعين حازمة قائلا:

- مفهوم؟

- حسنا، حسنا، مفهوم.

ما أن انتهى الاجتماع وبدأ الجميع في الخروج حتى قفز سمير وورائه عماد متجهين إلى د.حسين ود.باسل حتى أنهم تفاجئا بما يحدث ولكن سمير قد تكفل ببدء الحوار:

- هل أنتم مستعدون لقضاء العطلة في ثقب الهاوية؟

كان سمير يبتسم في وجوههم ببلاهة أما هم فقد كانوا متعجبين لما يحدث، أكمل سمير حديثه:

- ذلك ما ستخبرون به زوجاتكم، أنكم ذاهبون إلى ثقب الهاوية، سيكون ذلك هو كلمة السر بيننا، ولكني في الحقيقة سأعد لكم رحلة فاخرة إلى جزيرة "رغد" دون علم زوجاتكم، هل أنتم موافقون؟

تغيرت ملامح د.باسل ود.حسين ونظروا إلى عماد الذي كان يقف مذهولا هو الآخر مما يقال، نظر سمير هو الآخر إلى عماد وعاد إليهم يحدثهم:

- لقد انطلت المزحة عليكم جميعا، حتى عماد ظن أننا سنذهب إلى ثقب الهاوية فعلا، ولكن لأصدقكم القول لدي صديق في جزيرة "رغد" سيقوم بترفيهنا بطريقة تجعلك ترغب في الاختفاء حقا من العالم وتظل هناك لباقي عمرك.

مازال الجميع صامت حتى ضحك سمير تلك المرة بصوت عال وهو يصيح بهم:

- لتكونوا شجعاء لمرة واحدة في حياتكم، لن تعرف زوجاتكم شيء عن تلك الرحلة، فقط أخبروهن أنها رحلة استكشافية لثقب الهاوية.

ابتسم كلا من د.باسل ود.حسين حينها وتبادل الجميع النكات ووعدوا سمير بأنهم سيفكرون بالأمر بجدية وحينها أعطاهم سمير مهلة سريعة لأخذ القرار لأنه مضطر إلى الإجابة سريعا على صديقه.

رحل الجميع وتفرقوا وظل عماد يقف مذهول مما حدث ولكن سمير نظر إليه وهو يحدثه بصرامة:

- لا تتحدث إلي أي مخلوق حتى نحصل على التصريحات اللازمة ...أتريد أن يتم سرقة مجهودنا ويُنسب إلى أشخاص آخرين وحينها يضيع حقنا ويحصل آخرون لم يفعلوا شيء على شرف الذهاب إلى ثقب الهاوية؟

****

عادت د.هند إلى مكتبها بعد الاجتماع وجلست تفكر في كل ما حدث في المركز اليوم، كادت الأمور أن تخرج عن السيطرة ولكنها استطاعت أن تكسب ود الجميع مجددا دون وجود ضغائن أو مشاكل كبيرة تؤثر على إدارتها للمركز، أو هكذا ظنت.

ثم تذكرت حديثها مع سمير الذي تذكرت فيه رفيقها في العمل د.عُمر جيد، حينها توافدت كم من الذكريات عليها وتذكرت كل أبحاثهم وتجاربهم العديدة التي اشتركوا بها سويا وكم النياشين والشهادات والصور التي كُتبت وصُورت وهي تحتوي على أسمائهم جنبا إلى جنب، ولكن كل ذلك أصبح ماضيا وتوقف كل شيء بعد اختفاء د.عُمر جيد في ثقب الهاوية منذ سبع سنوات، وها هو د.سمير يعود ليذكرها بكل ما حدث مجددا وينبش في الماضي محاولا استرجاع أستاذه الذي أراد أن يحذو حذوه، حينها ولا إراديا وجدت د.هند نفسها تحدث الحاسوب "جيد" قائلة:

- "جيد"، لتطلعني على كل التجارب التي قام بها د.سمير مؤخرا.

٦

مرت أيام واستمرت المحادثات السرية بين د.سمير والمهندس عماد، كان أغلبها يدور حول تهدئة عماد وبث الطمأنينة في نفسه فهو مازال متوترا خائفا من تلك الرحلة، ولِمَ لا يخاف وهو يعلم أنه لم ينج أحد من قبل من ذلك الثقب، لقد وقع ضحيته أمهر الطيارين والغواصين بخلاف الكثير من الأشخاص الأبرياء الذين أوقعهم سوء حظهم أن يقتربوا من ذلك المكان، وأخيرا علماء الفلك، لقد ظنوا أن تلك المنطقة تمتلك أسرارا تخص الكون، ولكن لم ينجح أي منهم في اكتشافها، لقد سُمي بثقب الهاوية لأن كل ما يقترب منه يهوى في ثوان معدودة وكأن الجاذبية هناك أقوى من الجاذبية المرصودة، كانت الجاذبية لديه كبيرة جدا مثلما كانت جاذبية العلماء تجاهه لاكتشاف أسراره.

قام بعض مخرجي السينما بصنع أفلام رعب وخيال علمي استنادا على ثقب الهاوية، وقد أحسنوا صنعها فزاد الأمر غموضا ورعبا ونشأت فكرة راسخة لدى الكل في دونسيار أن تلك المنطقة هي أكثر المناطق غموضا وخطورة في دولتهم، حتى أن بعض الإشاعات بدأت تنتشر في الدولة بأن تلك المنطقة هي بوابة إلى عالم آخر لا نعلمه، وإشاعة أخرى تشير إلى أن ذلك الثقب هو فوهة لباطن الأرض حيث أنها تبتلع من يقترب منها إلى لُب الأرض وقد تم تحريف الإشاعة أكثر وأدعى البعض بأن الفوهة تبعث بك إلى الجحيم مباشرة.

كان مشروع استكشاف الثقب من أحد مشاريع مركز أبحاث الكون في دونسيار وقد شغل تفكير العديد من العلماء حينها، وبالفعل كان هنالك العديد من التجارب التي قاموا بها، ذلك بعد دراسة حالات الاختفاء التي حدثت على مدار العقود الماضية، كانت هنالك حالات

اختفاء في تلك المنطقة ولكنها كانت فردية وعلى فترات متباعدة، لذا لم ترتق إلى إخراج عمليات بحث دقيقة إلى تلك المنطقة الخطرة في البحر، حتى حدثت حادثة سفينة الأمة.

كانت سفينة الأمة سفينة ركاب ضخمة ضلت طريقها أثناء عاصفة قوية جعلتها تنحرف عن مسارها وتقترب شيء فشيئا من الثقب، فُقد الاتصال بها وقد كان أخر مكان رصدت به على بعد أقل من كيلو متر من منطقة الثقب وحينها فُقدت للأبد، لم يعثر على أي أثر لها، لا حطام، لا جثث، لا ناجون، لا نداءات استغاثة، لا إشارات رقمية صادرة عن السفينة، فقط اختفت ولم تظهر مجددا وكأنها لم تكن موجودة من الأساس.

كان وقع ذلك الأمر مخيفا ومرعبا في دونسيار، سفينة طولها أكثر من ٢٠٠ متر وعرض ٤٧ متر وتحمل ٤٦٥ شخصا على متنها اختفوا في لمح البصر، انتشرت الأقاويل حينها وبدأت الإشاعات تظهر وكان أكثرها انتشارا وأقواها أن قوى معادية قامت بمهاجمة السفينة وإغراقها ولا تستطيع الدولة الاعتراف لشعبها بذلك.

صدّق أغلب شعب دونسيار الأمر وكان لزام على الحكومة توضيح ما حدث، لذا تم إرسال فرق بحث عديدة لمعرفة ما حدث هناك لتقديم سبب مقنع لشعب دونسيار، كانت أولهم إرسال ثلاث زوارق من شرطة السواحل مصطحبين معهم خبراء البحار وأفضل الغواصين في دونسيار، ولكن الأمور زادت سوء بعدما فُقد أحد زوارق الشرطة أثناء عمليات البحث، فما أن اقترب من منطقة الثقب حتى اختفى في لحظة، اختفى الزورق ومن عليه ولم يُعثر عليهم أبدا.

حكى من نجى من تلك العملية والذين كانوا في الزوارق الأخرى حكايات مختلفة متضاربة فمنهم من قال بأنه رأي وحشا أسطوريا ينهض

من مكمنه في الماء وقام بسحب الزورق بأحد زعانفه المهولة بسرعة خاطفة وتلك كانت رواية غير معلنة وغير منطقية، حيث رجح العلماء حينها أن سوء الأحوال الجوية الدائم في تلك المنطقة وارتفاع الأمواج لعدة أمتار وهول الموقف قد جعلت ذلك الشخص يُخيل له أن الأمواج وحشا أسطوريا.

أما الرواية الثانية وهي ما تم اعتمادها لقرب منطقيتها هو أن كل أجهزة القارب قد تعرضت لتشويش كهرومغناطيسي تسبب في عطلها وعدم قدرتها على التوجيه ومع وجود تلك الأمواج القوية قامت بسحب الزورق وإغراقه وأدى ذلك إلى عدم استكمال عمليات البحث في الماء وانتقلوا إلى الاستعانة بالعمليات الجوية.

كانت نتيجة عملية البحث الجوية أسوء بكثير من مثيلتها البحرية، فلقد انطلقت طيارتان استكشافيتان تبحثان عن أي معالم عن السفينة والزورق وما أن اقتربت من الثقب حتى فقد طيار إحدى الطائرتين السيطرة الكاملة على طائرته وأخذت تدور في حلقات وكأن هنالك من يعبث بها في الجو وأخذ الطيار الذي هلع حينها يطلق من نيرانه بشكل عشوائي مما جعله يصيب طائرة زميله بعدة طلقات، حينها صدر شعاع مضيء ملأ السماء كلها لينغلق على الطائرة ويقوم بشطرها إلى نصفين، كان ذلك أمام ناظري صاحب الطائرة المصابة بالطلقات والذي كان في طريقه للاصطدام بقوة بسطح الماء، لكنه من حسن حظه أنه ظل حيا ليروي تلك القصة.

قررت دونسيار تعليق رحلات البحث الأخرى في منطقة الثقب حتى دراستها جيدا وحينها يتم إرسال طائرات مسيرة أولا قبل المغامرة مجددا بإرسال بشر مجددا وأُدرجت أسماء المختفين كلهم بأنهم موتى، وبالفعل بدأ مركز أبحاث الكون بتسليط الضوء على الثقب واعتباره لغز كوني

يحتاج إلى تفسير وبعد فشل إرسال الطائرات المسيرة بسبب تشويش المجال المغناطيسي كان هنالك تجربة أخيرة، تجربة كان يضع الكل أمالا كثيرة عليها، كانت تجربة أنبغ عالم فلك في دونسيار، د.عُمر جيد، تجهزت دونسيار كلها لذلك الحدث العالمي حينها وكان الكل متفائلا بما سيحدث بعد دراسة الأمر على مدار سنوات، كان الكل يضع ثقة كبيرة في د.عُمر حتى أنهم لم يفكروا بنسبة فشل تلك التجربة، تجهز د.عُمر وأعد العدة وصعد معه عددا من أذكى وأنبغ العلماء في شتى المجالات، وحينها انطلقت آخر رحلة مُصرح بها إلى ثقب الهاوية.



تغيرت أحوال عماد في تلك الفترة، فظل شاردا أغلب الوقت حتى أن أغلب زملائه لاحظوا ذلك وظلوا يسألوه عن السبب لكنه لم يخبرهم بما يحدث خوفا من غضب د.سمير مرة أخرى.

كان عماد مهندس اتصالات ذو عقلية مميزة وفكر متطور، كان يمتلك مقومات التفوق في مجالات البرمجة وإعداد الخوارزميات المعقدة للغاية، الأمر الذي جعله ينضم إلى طاقم المهندسين في مركز أبحاث الكون ولم يقتصر الأمر على ذلك بل إنه ترأس قسم البرمجيات والحوسبة في غضون سنوات قليلة بالرغم من وجود من هو أقدم منه ولكنه فرض نفسه على كل من بالمكان.

منذ بداية عمله في المركز وقد وجد مساندة ومساعدة كبيرة من د.سمير الذي أخبره في شهوره الأولى بأنه سيصبح ذا شأن كبير في المستقبل، كان سمير هو الداعم لعماد طوال الوقت، بل إنه من قام بترشيحه ليترأس قسم البرمجة لما وجد فيه من ذكاء وقدرة كبيرة على انجاز المطلوب بدقة متناهية.

كان عماد يعتبر د.سمير هو أباه الروحي، رغم أن فارق السنوات بينهم لا يتعدى العشر سنوات ولكنه وجد منه التشجيع الدائم والحماية المستمرة والنصيحة المثمرة، كان يلجأ إليه دائما في أصعب الأوقات فيجده حاضرا مساندا له بل إنه أيضا يسعى جاهدا لحل مشاكله، وعلى الرغم من تورطهم في العديد من المشاكل السابقة بسبب تهور وجنون د.سمير، إلا أنه لم يتم ذكر اسم عماد في أي من تلك المصائب وكان سمير يتحمل كل العواقب بنفسه رغم أن عماد شريك دائم ومستمر في كل تلك الأفعال الجنونية.

كان سمير يتحدث دائما أمام عماد عن أستاذه السابق د.عُمر جيد وكيف أنه تتلمذ على يده وتعلم منه الكثير والكثير حتى فقده في التجربة الأخيرة لاستكشاف ثقب الهاوية، حتى أنه انخرط مع عماد في شرح بعض المواضيع الفيزيائية الخاصة بتلك المنطقة، فقد كان يدرسها بدقة مع أستاذه عُمر جيد وظل يدرسها بعد اختفاؤه وأثناء رحلات البحث، ولم يتوقف مع توقف تلك الرحلات بل استمر في البحث والتحدث أمام عماد عن كل شيء يخص تلك التجربة، حتى فاجئه عماد في أحد الأيام بإعداد خوارزمية تشمل كل البيانات التي أمدها له د.سمير تساعده في اكتشاف الوقت والمكان المناسب لدخول الثقب دون أن يبتلعهم الثقب بجاذبيته المميتة.

كانت فرحة سمير بتلك الخوارزمية لا توصف، حينها نهض وتقدم ليلقي بقبلة على خد عماد وسط زملائه في ذلك اليوم، الأمر الذي قد بدا أنه مريب نوعا ما ولكن مع د.سمير لا يوجد لديه أي حدود. ظل سمير يتابع البرنامج الذي أعده عماد لعدة أيام ولكن كانت أغلب النتائج غير مجدية أبدا، لذا ومع الوقت نسى سمير أمر البرنامج وانشغل ببعض أعمال المركز حتى جاء صوت الصافرة في ذلك اليوم ليشير إليه بأن هنالك نتائج مبشرة قد تجعل تجربته التي يسعى إليها ناجحة.

لم يفكر عماد في أمر نجاح خوارزميته وما قد يترتب عليها من أمور، في الواقع لم يتوقع أبدا أن يطلب منه سمير أن يصطحبه في رحلته المجنونة تلك، يعلم جيدا عماد إلى ما هو مقدم، إنه ذاهب إلى ثقب الهاوية حيث لم يعد أحد من هناك أبدا، لذا كان دائم الشرود يفكر فيما هو قادم وحياته التي يضعها على المحك فقط لإرضاء أستاذه الذي تبناه منذ أول يوم دخل فيه المركز وساعده ليصبح ذو شأن كبير وسط كل هؤلاء العلماء.

كان عماد يجلس في العمل وأمامه حاسوبه الذي قد تحول إلى خاصية "الحفاظ على الطاقة" بسبب عدم استخدامه لفترة طويلة، ولكنه فجأة انتفض وعاد لحاسوبه يبحث في أرشيف التجارب العلمية الخاصة بالمركز وحينها بحث باسم د.عُمر جيد.

ظهر أمامه العديد والعديد من النتائج، كان د.عُمر أكثر شخص قد ساعد دونسيار في أبحاث الفلك، آلاف الملفات تظهر أمام عماد وهو مذهول من حجم ما قام به ذلك الرجل وفي الأخير لا يعلم أحد أين هو الآن، بالرغم من تجاوزه سن الستين إلا أنه وحتى أخر يوم له كان دؤوبا مخلصا للعمل، امتلأت شاشة الحاسوب بصور تكريمات عديدة له مع شخصيات مرموقة، كان محبوبا وحبب الجميع في العلم، لم يسمع عنه كلمة سيئة قط في المركز، على الرغم أن عماد لم يلتق به قط من قبل إلا أنه شعر بمحبة شديدة غير مفهومة تجاه د.عُمر جيد.

حدد عماد بحثه أكثر ليقوم بالبحث عن تجربة د.عُمر عن ثقب الهاوية وهنا بدأت تظهر بعض المقاطع الخاصة بالتجربة والتي كانت منذ سبع سنوات، ظهر فيديو مصور لد.عُمر وهو يقف مع د.هند مديرة المركز الحالية وهما يتباحثان حول التجربة التي ستحدث، كان الجميع يقف منصتا مركزا لما يقوله د.عُمر جيد، في الواقع كانت تلك المحادثة أشبه بمؤتمر صحفي لشرح التجربة.

" مساء الخير جميعا، إخوتي وزملائي، سعيد للغاية أن أكون بينكم اليوم لأعلن عن إجرائنا تجربة أخرى لتلك المنطقة الجميلة المليئة بالأسرار المسماة بثقب الهاوية، لا أحب ذلك الاسم، لقد سموها بذلك الاسم لأنهم لم يكتشفوا قدراتها بعد، ولكني كلي ثقة بأننا سنكشف لكم كل شيء عنها قريبا.

أعتقد أن معظمكم قد ساهم معنا في الإعداد إلى تلك التجربة وحقيقة لم يتوان أحد في تقديم كل ما يعرفه لمساعدتنا، لذا أود أن أشكركم وأطلب منكم أن تتمنوا لنا النجاح والعودة مجددا سالمين محملين بسر جديد من أسرار ذلك الكون المذهل، لذا وفي عجالة سأشرح لكم ما سنقوم بفعله كتوثيق لتلك التجربة كما طلبت منا حكومة دونسيار. لهم كل الحق في ذلك لقد مولوا تلك التجربة بأموال ضخمة في الحقيقة.

ما نعرفه عن تلك المنطقة أنها ذات جاذبية قوية وتتمركز في المحيط على شكل كرة قطرها ١٢ كم، جميع المناطق في مساحة تلك الدائرة هي مناطق خطيرة وتبتلع كل ما يقترب منها، لذا وبعد أبحاث وتجارب باستخدام طائرات مسيرة وتصور كامل للمكان، اكتشفنا المكان الأنسب للدخول إلى المنطقة، ونظرا لوجود مجال كهرومغناطيسي هائل في المنطقة فقمنا بإعداد معدات خاصة لا تتأثر بالمجال المغناطيسي، لقد صُنعت طائرة خاصة ذات هيكل من البلاستيك المعالج ذات قوة تحمل تفوق الصلب، وقمنا باستخدام حاويات خاصة تحمي أجهزة الاتصال من الضرر، نتمنى أن ترضى عنا الطبيعة ولا تقسو علينا هناك لأننا لا نعلم ماذا يوجد بالداخل."

نادى د.عُمر على د.سمير يأمره بأن يجلب له النموذج المجسم الذي كان يعتبر محاكاة لما كان سيحدث، كان د.سمير يظهر سعيدا لمساعدته لد.عُمر ويعاونه في شرح كل شيء متعلق بالتجربة.

انتهى ذلك المقطع فأكمل عماد البحث ليفتح مقطع جديد جذب انتباهه، لقد كان المقطع الخاص بالتجربة نفسها وبها تسجيل ما حدث.

كانت الكاميرا موجهة إلى شاشة عملاقة مقسمة لعدة نوافذ وجميع من بالمركز جالس يتابع ما يحدث، كانت الأمور هادئة في بداية الرحلة ولكن التوتر بدأ يتسرب للجميع كلما اقتربوا من الثقب وبدأ بعضهم يقف يشاهد بترقب ما سيحدث.

كان صوت د.عُمر جيد يأت من حين لآخر يطمئن المركز بأن الأمور تسير بشكل طبيعي، حتى وإن بدأت بعض الظواهر الغريبة في الحدوث كان ينقلها بشكل لا يدعو للخوف، حتى اقتربوا بشدة من منطقة الثقب وهنا بدأ صوت يصدر وكأنه صوت ارتطامات تحدث، تحدث الطيار موضحا أن التحكم الآلي للطائرة لم يعد يعمل بكفاءة وأنه سينتقل إلى النظام التقليدي وسيتولى هو التوجيه الكامل للطائرة، ولكنه سرعان ما ظهر إنذار جديد بانخفاض شديد يحدث لهم دون معرفة السبب، كانت الطائرة تهبط بمنحني سريع وخطير. كان الجميع في المركز يستمع لحديث من بالطائرة وقلوبهم تنبض بقوة شديدة.

بدأت الأصوات تتداخل بداخل الطائرة ووصل الأمر إلى حد الصراخ ولم يتم معرفة ما يحدث بها، لقد هلع الجميع ولم يجيبوا على النداءات المستمرة لهم من المركز، ظل الأمر لثوانٍ قبل أن تنتهي الأصوات فجأة ولم يعد هنالك أي صراخ. صمت الجميع، حتى من بالمركز ، ظلوا صامتين مترقبين ما يحدث، كانوا يعلمون أن ما حدث ليس بالجيد أبدا.

ظلت د.هند تنادي على طاقم الرحلة منتظرة إجابتهم ولكن دون جدوى، فنظرت إلى مهندسي المركز المسئولين عن متابعة الطائرة والتواصل معها فأشاروا لها حزنا يخبروها بأنهم فقدوا كل اتصالاتهم بها، فاستمرت هند تنادي كثيرا على د.عُمر جيد، وحينها صدر صوت شوشرة قوي جدا جعل كل من بالمركز يضع يديه على أذنه ليخففوا من قوته وبعدها اختفى الصوت المزعج فجأة، وساد الصمت مجددا ثم جاء صوت د.عُمر بعدها عبر المكبرات وهو يقول "هذا أجمل ما رأيت" وبعدها انقطع الاتصال للأبد.



انتهي المقطع وظل عماد يحملق في شاشة الحاسوب أمامه، كأنه شاهد مقطعا حماسيا من أحد الأفلام ولكنه في الحقيقة يعلم أن هذا الأمر قد حدث بالفعل، بدأت الأفكار تدور في رأسه وكأنها جمرات تحرق كل شيء في عقله، هل سيحدث له مثلما حدث لكل من ذهب لتلك المنطقة، في الواقع لا يعلم لماذا يجاري د.سمير في فكرته تلك، لقد ساعده بتلك الخوارزمية وهذا كاف له، لقد أدى دوره وهو غير مجبر أن يذهب معه في رحلته، حينها عقد عماد العزم على أن يقف في وجه د.سمير ويخبره قولا واحدا، "لن أذهب معك إلى ثقب الهاوية".

ظل عماد متجهما لفترة، وأخذ يعيد الجزء الأخير في المقطع وهو يشعر بشيء من الحيرة، كيف لشخص كل شيء حوله ينهار وجميع الطاقم بجواره يصرخون طالبين النجدة ولكن صوته ظل هادئا مطمئنا بل إنه وهم على وشك الضياع يصدر منه جملة "هذا أجمل ما رأيت"، ما معنى تلك الجملة وماذا رأى د.عُمر حتى يقول ذلك وفي ذلك الوقت العصيب، وأين ذهب صوت صراخ باقي الطاقم حين قال تلك الجملة، لقد اختفت أصواتهم تماما وكأنهم غير موجودين، ظل عماد يحاول الوصول إلى تفسير منطقي لذلك الأمر حتى وجد يدا توضع فوق كتفه فانتفض وهو يدور بجسده ينظر إلى من خلفه فوجده د.سمير.

نظر سمير إلى عماد وإلى شاشة الحاسوب أمامه وكأنه يرسل له نظرات استفسار عن سبب استماعه لذلك المقطع، حاول عماد إنهاء الموقف بغلق شاشة الحاسوب ولكن سمير منعه وجلس بجانبه يحدثه:

- أنت خائف، أليس كذلك؟

لم يجبه عماد ولكن الإجابة كانت واضحة على وجهه فأكمل سمير:

- أنا خائف أيضا لن أُخفي ذلك عنك، ولكننا علماء وهذا هو عملنا، أن نكتشف ونخترع، هذا هو شغفنا الذي نحيا به.

- ولكننا نبني حيث توقف الآخرون، ونحن لا نعلم أين ذهب الأخرون.

- سنكتشف أين ذهبوا، لذلك سنقوم بتلك الرحلة، لنعرف أين ذهبوا ونكون أول مستكشفي تلك المنطقة.

- لا أعتقد بأنني متحمس لتلك الرحلة، نحن نتحدى الطبيعة فقط لا غير ومن يتحدى الطبيعة فهو هالك لا محالة.

- لن نتحداها، بل نريد فقط اكتشاف أسرارها، وذلك لن يكون سهل المنال يجب أن نسعى لذلك.

- لا، لا أحب أن أكون جزءا من تلك التجربة آسف د.سمير، أعتذر منك، سأساعدكم بما أوتيت من علم وأنا هنا كما ساعدتك في تلك الخوارزمية.

- أحتاج إليك يا عماد، أنت الوحيد الذي أثق به وفي قدراته هنا، لدي شعور قوي بأننا سننجح تلك المرة، سأتركك تفكر في الأمر ولن أعتبر أن ذلك قرارك النهائي.

- حسنا، سأفكر مجددا، ولكني لا أرى أي استعدادات خاصة لتلك الرحلة، النافذة ستفتح بعد سبعة عشر يوما ولا يوجد أي توجيهات بالإعداد للرحلة.

كانت نتائج الخوارزمية تشير إلى أن أقرب ميعاد لدخول الثقب ستكون خلال سبعة عشر يوما والوقت المحدد في الثانية صباحا وثلاث دقائق، سيكون هنالك نافذة مفتوحة تستمر لثمان دقائق فقط، كانت تلك هي المدة التي سيستطيعون فيها المرور من الثقب دون أن يهوا إلى الأسفل. كانت كل تلك النتائج نظرية فقط ولكن د.سمير كان متفائل ومتحمس جدا لتجربتها. صمت سمير للحظات قبل أن يتدارك الأمر وهو يجيب عماد.

- كل شيء يسير بسرية تامة حتى لا يجلب علينا فضول الصحافة والإعلام وحينها سيتم مهاجمتنا وتسليط الضوء علينا وهذا سيضعنا تحت ضغط كبير، أنا أنسق الأمر كله مع د.هند ولا تقلق، كلا سيعرف دوره في الوقت المناسب.

- هل هنالك طائرة خاصة كالتي استخدمها د.عُمر جيد وطاقمه، وتلك الأجهزة التي صنعت خصيصا للتجربة، هل هي متاحة؟

- لا تشغل بالا لكل ذلك، أنا أعد كل شيء بدقة كبيرة مثلما فعلتها سابقا.

اقترب سمير من حاسوب عماد وهو يمد يده يخبره:

- لترني ماذا كنت تشاهد، هل ذلك كان مقطع الاختفاء؟

- نعم لقد كررته لمرات عدة، ماذا كان يقصد بجملته "هذا أروع ما رأيت"؟

- لا أعلم، هذا أحد الألغاز المتعلقة بالرحلة، يظن البعض أنه قالها قبل أن يموت مباشرة، ولكني أعتقد بأنها كانت رسالة خلال الرحلة وجاءت متأخرة بسبب مشكلة في جهاز الإرسال.

أعاد سمير المقطع يشاهده مجددا وهو يشرح لعماد عما حدث في ذلك اليوم الحزين وأن د.هند ظلت تنادي على الطائرة لساعات متواصلة بعد اختفائها ولكن دون جدوى، كان عماد مهتما يستمع جيدا للمقطع مجددا عندما استوقفه شيء ما في شكل نمط الصوت الصادر من الطائرة أثناء صراخ الطاقم بداخلها.

اقترب عماد من حاسوبه وقام بإجراء عدة تعديلات على صوت صراخ الطاقم ليظهر على شكل موجات صوتية ولكنه لاحظ نمط غريب داخل تلك الموجات. كان سمير يجلس بجانب عماد لا يتحدث وإنما يتابع الأمر باهتمام، كان يعلم أن عماد قد توصل لأمر هام قد غفلوا عنه، ظل منتظرا حتى انتهى عماد وأشار إلى سمير بيده على الموجات المختلفة:

- هل قمتم بتحليل التسجيل الصوتي للطائرة حينها؟

- نعم بالتأكيد، ولقد جاء التقرير بأنه لا يوجد شيء غير طبيعي أو موجات غريبة به.

- نعم، تلك موجة صوتية في المدى المسموع، ولكنها ليست صادرة من الطائرة، تلك ذات تردد عالي ولكن بقوة ضعيفة، إنها من خارج الطائرة.

خفق قلب سمير وهو يستمع لذلك الحديث وسأل عماد:

- هل نستطيع معرفة مصدر ذلك الصوت؟

- لا، لكننا نستطيع الاستماع له.

رفع عماد رأسه تجاه شاشة المركز وهو يحدث الحاسوب "جيد":

- "جيد" هل يمكنك استخراج تلك الموجات التي حددتها لك وتعرض لنا الصوت منفصلا؟

- أعمل على ذلك.

ظل الحاسوب يقوم بتهيئة الملف الصوتي وبدأ في عرضه على عماد وسمير فظهر الصوت مشوها للغاية ولا يمكن تمييزه فتحدث عماد مجددا لـ "جيد":

- "جيد" هل يمكنك تقريب ذلك الصوت لأقرب صوت نعرفه؟

- جاري العمل على الملف.

انتهى الحاسوب من معالجة الملف وعرض الصوت عليهم لتتسع عينا سمير وهو ينظر إلى عماد ويحدثه بدهشة كبيرة:

- هل هذا صوت ...

- بوق، إنه صوت بوق إنذار.

٩

اعتبر سمير ذلك الأمر بأنه فرصة ذهبية لفتح الأمر مجددا مع د.هند، وبالفعل لم يفوت الفرصة فلم تمض دقائق حتى كان في مكتب د.هند يعرض عليها ذلك المقطع الصوتي وشرح لها ما حدث ولكنه لم يخبرها بأن عماد هو من توصل للأمر كي لا تقوم بمعاقبته إن سارت الأمور بشكل غير جيد.

استمعت هند إلى نظرية سمير والتي كانت واضحة بسماع صوت البوق، هنالك من أطلقه من داخل الثقب، هنالك مخلوقات موجودة هناك وتستخدم البوق كوسيلة إنذار، هذا دليل واضح على وجود حياة هناك.

كانت هند تنصت إلى سمير وكأنها غير مهتمة وتنتظره أن ينهي كلامه ولكن بداخلها كانت تشعر بمشاعر مختلطة، فهذا المكان كان محط اهتمامها هي وزميلها د.عُمر لأكثر من عشر سنوات، والآن تعود إليها كل تلك الذكريات ولكنها أصبحت في منصب رفيع يصعب عليها اتخاذ قرار قد يقضي على كل ما فعلته في حياتها العلمية، لذا لزم عليها أن تكون حازمة مع د.سمير وأفكاره المجنونة.

- حسنا، لتترك المقطع الصوتي ذلك ولتذهب لتكمل عملك يا سمير.

- سيدتي، حسب دراستنا وحساباتنا فإن أمامنا أقل من ١٦ يوما للتجهيز للرحلة حيث تكون النافذة مفتوحة لمدة ثمان دقائق.

تغيرت ملامح هند وامتعضت وامتلأت غضبا وصاحت بسمير:

- هل مازلت تخطط لتلك الرحلة؟، ألم آمرك بالتوقف عن ذلك؟، إن لم تتوقف فسأقوم بفصلك من المركز بلا رجعة ولتستخدم عقلك الفز ذلك في مكان آخر.

لم تترك د.هند أي فرصة لسمير أن يحاول إقناعها، بل إنها تكاد تكون قد طردته من مكتبها حينها.

خرج سمير وهو غاضب، لقد أُغلقت كل الأبواب المتاحة أمامه، ذهب إلى مكتبه وأخذ يفكر فيما سيفعله، كان يشعر بالإحباط الشديد والضعف لعدم قدرته على تنفيذ ما يريده وحينها دخل عليه عماد المكتب وهو مبتسم، كان الأمر يبدو غريبا بعض الشيء، عماد الذي كان حزينا مهموما في الآونة الأخيرة الآن أصبح فرحا، اقترب ليجلس أمام سمير ليخبره:

- أعتقد بأنني غيرت رأيي وسآتي معك في رحلتك.

ابتسم سمير لسماعه ذلك ولكنه في داخله مازال يعلم بأن الأمور لا تسير كما يريد، لذا حاول سمير ألا يظهر شيء لعماد، وسأله بود:

- لِمَ غيرت رأيك فجأة؟

- لا أعلم، لقد اخترعت تلك الخوارزمية لاكتشاف نافذة الدخول ونجحت، وأيضا أنا من لاحظت ذلك الصوت في المقطع القديم، أشعر بأني لي دور كبير في استكشاف ذلك المكان.

ثم صمت قليلا قبل أن يكمل:

- أتمنى أن أكون محقا، وإلا أنني أرمي بنفسي إلى التهلكة.

- لا، لا، أنت محق، أنت لديك دور مهم في الرحلة. سننجح فيها وسيذكرنا التاريخ بأحرف من ذهب.

- إذا ما هي الخطة، هل أخبرت د.هند بأمر المقطع الصوتي؟

- نعم، لقد زاد حماسها، لكنها مازالت تنسق الأمور للرحلة، تعلم أنها يجب أن تكون سرية وإلا سنكون تحت أنظار الصحافة وحينها قد تختلف الحسابات بالنسبة للحكومة وتُلغى الرحلة برمتها.

- أتفهم ذلك، نحن في مهمة سرية إذا كما نشاهد في الأفلام، ولكن الأمر مبهم، د.حسين ود.باسل أشعر بأنهم يتعاملون بأريحية تامة، أنا عندما علمت بأني ذاهب أصابني توتر كبير وأحسست بهمٍ لا حدود له.

- ولكني أجدك متحمس للغاية اليوم، هذا هو شغف العلم، لا مثيل له، أنهم متحمسون مثلك هكذا ولكن من فضلك لا تتحدث إلى أحد منهم حتى أخبرك.

- حسنا، ولكننا سننطلق في ميعاد فتح النافذة كما هو محدد، أليس كذلك؟

- نعم، لتكن جاهزا حينها ولا تخبر أحد، حتى أقرب المقربين لك.

نهض عماد من كرسيه وغادر المكتب وترك سمير يزداد حيرة في أمره، لقد وجد مساعده المطلوب للرحلة ولكنه لم يجد وسيلة نقلهم إلى الثقب، حينها اتخذ قراره. أخرج سمير جهاز استنشاقه وتناول دوائه وقام بالتحدث إلى الحاسوب "جيد"

- "جيد"، لتعرض لي نوبتجية المركز لكل الأقسام للشهر القادم.

- لك ذلك.

ظهر على الشاشة نوبتجية الشهر للمركز، نظر سمير إلى اليوم المنشود ليبحث عن أسماء النوبتجية به وحينها وجه ندائه إلى "جيد" مجددا:

- لتغير أسماء النوبتجية في يوم الخامس عشر وتضع اسمي كرئيس لطاقم المركز، والمهندس عماد كنوبتجي للقسم الفني... ثم صمت للحظة قبل أن يكمل ... وتضع ذلك الشاب الطيار الجديد كنوبتجي للإقلاع.



يوم فتح النافذة

شهدت الأيام السابقة لذلك اليوم عودة التوتر والقلق إلى عماد، كان متحمسا للأمر حقا ولكنه يعلم أن الأمر غامض ومُبهم وخطير، فمن المحتمل أن يكون هنالك شيء لم يفكروا به يقود إلى هلاكهم، كما أن الأمر مازال سريا ولم يتلقى أية تعليمات تخص تلك التجربة، الأمر الذي جعله يتوتر أكثر، لذا كان هنالك جلسات يومية بين سمير وعماد لطمأنته وتهدئته أن كل شيء سيسير على ما يرام.

أما سمير فقد كان يبدو هادئا مطمئنا من الخارج ولكنه في الواقع كان يشعر بالخوف وكل أفكاره تثور بداخله تنغص عليه أن يحظى بالراحة ولو قليلا، خصوصا وهو يعلم بأنه يكذب ويتلاعب بكل من سيأتي معه، لكن فضوله العلمي ورغبته في معرفة حقيقة ثقب الهاوية ومعرفة ما حدث لأستاذه السابق قد جعله يفعل أي شيء لاستكمال ما يفعله.

جاء اليوم المشهود وكانت النوبتجية تسير مثلها مثل مثيلاتها، لا جديد، لا يوجد حتى شخص واحد يبدو أنه موجود لمساعدتهم في إجراء التجربة، الأمر الذي أصاب عماد بالقلق والحيرة وهو يعلم بأن الوقت يمر ويجب عليهم المغادرة، فغادر مكتبه واتجه إلى مكتب سمير حيث وجده يعد حقيبة بها بعض الأدوات الخاصة وحينها بدأ حديثه معه:

- هل ما يحدث طبيعي؟، لِمَ لا يوجد أي دليل على وجود مهمة؟

- لأنه لا يوجد مهمة.

- ماذا؟

ترك سمير الحقيبة التي يعدها ونظر إلى عماد يحدثه:

- لم توافق د.هند على إعداد رحلة أخرى، لذا سنذهب دون علمها.

- ماذا؟، من سيذهب إلى أين؟

- نحن، سنذهب للمشاهدة فقط، سنقوم برصد النافذة ولن نحاول الاقتراب من الثقب، حينها سيكون لدينا دليل قوي لمجادلة د.هند وإعداد تجربة متكاملة عند فتح النافذة التالية.

- أنت تمزح أليس كذلك؟

- لا، لقد أعددت كل شيء، لتستعد، سنغادر خلال ساعة واحدة من الآن.

- لا، لن آتي معك، محال.

- كما تريد، إن أردت البقاء هنا وعدم المشاركة فلن أضغط عليك، ولكنك لن تكون جزءا فيما سنجده، لا الآن ولا بعد ذلك.

- هذا إن عدت من الأساس، ولكن كيف ستصل إلى تلك المنطقة بدون طائرة؟

- هذا ليس من شأنك طالما قررت عدم القدوم.

صمت عماد وقد قرر الرحيل من مكتب سمير وهو غاضب وحانق مما حدث ولكنه عاد إليه مجددا يحدثه:

- هل رفضت د.هند أمر التجربة منذ البداية، هل كنت تكذب علي كل تلك المدة وتخبرني بألا أتحدث إلى أحد وأن الأمر سريا ولا يوجد قرار بإجراء التجربة؟

لم يُجب سمير ورمق عماد بنظرة لوم لتحدثه معه بتلك الطريقة لأول مرة، فعلم عماد بأنه لن يحصل على إجابة فغادر المكتب وهو حانق.

عاد عماد إلى مكتبه وظل يفكر فيما حدث له وهو يشعر بإحباط شديد، لقد كان أشبه بدمية في يد سمير كل ذلك الوقت ولم يخبره الحقيقة، شعر بمدى غبائه وسذاجته لتصديقه وإيمانه بأستاذه الذي كان يستغله على الرغم من أنه ساعده في إيجاد طريقة للدخول إلى الثقب.

ظل عماد يتابع الساعة وقد اقترب الوقت المناسب للرحيل ولم يعرف فيم يخطط د.سمير، لقد حضر إلى المركز في ذلك اليوم بالتحديد وهو عازم على إجراء التجربة وقد رأه وهو يحضر بعض الكاميرات الخاصة بالمركز وبعض الأدوات الخاصة بالرصد، لذا فقد وضع خطة ما لا يعرفها عماد الذي كاد الفضول يقتله ولم يستطيع أن يقترب من مكتب سمير مجددا بعد محادثتهم الأخيرة والتي كان قراره حاسما حينها بعدم مشاركته لرحلته تلك، لذا قام بسؤال الحاسوب "جيد":

- "جيد"، هل غادر د.سمير المركز؟

- لا، لكنه على وشك المغادرة بالطائرة.

- طائرة!، أية طائرة؟

- طائرة الطوارئ، لقد استدعى د.سمير الطيار النوبتجي بعد رصد ظاهرة فلكية فريدة يجب استكشافها، وهم على وشك التحليق.

صاح عماد بقوة:

- اللعنة، اللعنة، اللعنة.

قفز عماد من كرسيه فجأة وأخذ يركض بأقصى سرعة متجها إلى أعلى مبنى المركز حيث بدأت الطائرة في تحريك مروحيتها.



اندفع عماد باتجاه الطائرة وأخذ يطرق الباب الزجاجي الجانبي للطائرة حيث جلس سمير الذي ما أن رأى عماد وهو بالخارج حتى قام بفتح الباب وهو يحدثه:

- هل غيرت رأيك؟

- إلى أين أنت ذاهب بتلك الطائرة؟

- ألا تعلم إلى أين أنا ذاهب؟

نظر عماد إلى الطيار الشاب الذي كان يجهز نفسه للإقلاع ومنتظر إشارة سمير، فأكمل عماد وهو يشير بيده ناحية الطيار:

- هل ستذهب إلى ثقب الهاوية بطائرة (بيتش كرافت)؟، وهل يعلم ذلك المسكين ما هي تلك الظاهرة الفلكية التي أنتم ذاهبون إليها؟

حينها وبحركة سريعة هبط سمير من الطائرة وهو يخفض يد عماد وينظر له بغضب يحاول أن يبعده عن الطائرة:

- ألم تخبرني أنك لن تأت، حسنا، لتعود إلى مكتبك وتكمل عملك.

- لن أتركك ترسل ذلك الشاب إلى موته، أنت حر في حياتك ولكني لن أجعلك تتسبب في هلاك أحد آخر.

- وهل تظن أنني سأفعل ذلك؟، لقد أخبرتك بأنني ذاهب للتأكد من فتح النافذة فقط وأقوم برصدها من بعيد وأعود لأثبت لد.هند أننا اكتشفنا اكتشاف عظيم. لن أرضى أن أسبب الأذى لذلك الشاب أبدا.

- كان بإمكاننا إرسال طائرة مسيرة تصنع ما تريده ولا تسبب خطورة لأرواحنا.

- وهل تعتقد أنني لم أطلب؟، أنت لا تفهم، هند لن توافق على أي شيء أطلبه منها ولن تسمح لنا بإجراء أي تجارب أخرى.

- حسنا، لتخبر ذلك الفتى أولا إلى أين أنتم ذاهبون، أو سأخبره أنا.

- لا تكن غبيا، لا تفسد كل شيء علي أرجوك، لقد أخبرتك أنني لن أقترب من الثقب، كما أن فرصتك مازلت سانحة يمكنك الانضمام لنا ونكتشف ذلك المكان العظيم سويا.

صمت عماد وكأنه يفكر مليا قبل أن يتحدث:

- ستقوم د.هند بسجننا عند علمها بالأمر.

ابتسم سمير بعدما شعر برغبة عماد بالانضمام له وأخبره:

- لا تقلق، سننجح وحينها سيُنسب النجاح إليها كاكتشاف علمي كبير وللمركز، وإن لم ننجح فلن تعلن ما حدث فهي لن ترغب أن تظهر بأنها غير متحكمة في المركز وإلا سيقوموا بتغييرها.

- حسنا، سآتي معك، لكي أتأكد أنك لن تتهور وتؤذي ذاك الشاب.

ابتهج سمير وهو يدفع عماد ليجلس بجواره في الطائرة ويشير إلى الطيار بإبهامه يخبره بأنهم مستعدون للانطلاق.

انطلقت الطائرة في طريقها إلى الثقب، كانت السماء كاحلة السواد وكان الجو موحشا كئيبا، لم يكن مضطربا عنيفا لكن الهدوء الشديد

جعل الأمر مقبضا نوعا ما، بالإضافة للتوتر والخوف المسيطر على كل من بالطائرة، فقد كانوا ذاهبون إلى المجهول.

بدأ سمير بتجهيز معداته التي سيستخدمها لرصد النافذة، كان عماد بجواره يشاهد ما يفعله وقرر مساعدته في تلك التجهيزات وحينها لاحظ عددا من مظلات الهبوط الموجودة بداخل الطائرة، وحين أمعن النظر إليها نظر إلى سمير وقد امتعض وجهه وسأله:

- لِمَ تلك المظلات موجودة هنا؟

- وأين ستكون غير هنا؟، إنها هنا كتأمين لنا.

- وهل يتم تأمين مظلات الهبوط ويوضع بها كاميرات خاصة؟

صمت سمير ولم يجب.

- هل كنت تخطط للقفز في الثقب وأنت ترتديها؟

- لا، لكني وضعت كل الاحتمالات التي قد تحدث.

استدار عماد بجسده ليواجه سمير ناظرا إلى عينيه مباشرة مُحدثا إياه:

- كفاك مراوغة، لتقل الحقيقة ولو مرة واحدة، لتخبرني ما هي خطتك؟

- خطتي هي ما أخبرتك بها منذ انطلقنا، رصد النافذة والرجوع لإقناع د.هند بوجودها.

- أنا لا أصدقك، لم أعد أثق بكلمة مما تقولها.

غضب سمير مما قاله عماد وبدى عليه عدم الرضا من طريقة تحدث عماد له:

- أنا لم أرغمك على القدوم، أنت من أتيت بإرادتك.

بدأ نقاش حاد ينشب بينهم مجددا وأخذوا يوجهون الاتهامات لبعضهم البعض حتى تحدث الطيار إلى سمير ولم يستمع إليه سمير:

- سيدي.

استمر النقاش بين سمير وعماد حتى صاح الطيار بصوت عال:

- سيدي، هل ذلك الضوء هو تلك الظاهرة الفلكية التي أتينا من أجلها؟

حينها صمت كلا من سمير وعماد ووجهوا نظرهم إلى ذلك الضوء الدائري الذي أخذ يتسع شيئا فشيئا وبدأ ضوء ساطع للغاية يخرج منه، كان الضوء أشبه بضوء النهار القوي وكأن الشمس متعامدة على المكان، كان المكان المحيط بالطائرة أسودَ حالكَ إلا تلك النافذة التي أخذت تتسع أفقيا أسفلهم كلما مر الوقت.

ظل سمير وعماد صامتين وسرت قشعريرة بداخل أجسادهم، إنهم يرون النافذة التي تحدثوا عنها أمامهم، كانت هنالك مشاعر متضاربة بداخلهم، امتزج الخوف مع الفرح لديهم، لم يستطيعوا فعل شيء أمام تلك الظاهرة الخلابة التي تحدث أمامهم ولم يخرجهم من تلك الفرحة إلا صوت الطيار مجددا يسألهم:

- هل أهبط بالطائرة داخل تلك النافذة سيدي؟

رد سمير وعماد تواليا:

- نعم.

- لا.

نظر عماد إلى سمير بحدة وهو يلومه:

- لقد اتفقنا ألا نفعل ذلك، سنرصد النافذة ونعود لنخبرهم بها.

- ألا ترى بأن الطائرة مستقرة تماما ولا يوجد ما يجذبها أو يؤثر على أجهزتها الإلكترونية، لقد كانت حساباتك صحيحة تماما. لتكمل طريقك وتقف أعلى تلك النافذة يا بني.

- لا، لا تتحرك بالطائرة هذا خطر كبير علينا، لنعد أدراجنا.

- لا، تلك هي فرصتنا الوحيدة لاكتشاف كل شيء.

كان الطيار قد بدأ يتحرك بالفعل ليقف أعلى تلك النافذة حيث أصبحت الطائرة وكأنها ستهبط عليه عموديا، كان ذلك وسط صراخ عماد بعدم فعل ذلك.

جذب سمير إحدى مظلات الهبوط وبدأ في ارتدائها وهو يحدث عماد:

- لتخبرهم أنني ذهبت إلى الثقب وأننا وصلنا إلى طريقة للعبور إليه.

فُتح أحد أبواب الطيارة وحينها أمسك عماد بكرسيه بقوة خوفا من كمية الهواء التي وصلت إليه، ورغم كثرة صياحه في سمير إلا أن الأخير قد أتخذ قراره بالقفز، وحينها بدأ صوت طرق متكرر يصطدم بالطائرة

بكثافة وكأنها تتعرض لطلقات نارية تخترقها، الأمر الذي جعل الطيار يصدر حركة لا إرادية بالطائرة لتفادي ذلك الحدث الغريب ليختل توازن سمير ويرتطم برأسه في جسد الطائرة ويفقد الوعي ويسقط من الطائرة باتجاه الثقب وهو مغشى عليه.

صُعق كل من بالطائرة لما حدث وتحدث الطيار خائفا:

- ما هذا الشيء الذي أُطلق علينا.

كان عماد في حالة ذهول لا يدري ماذا يفعل وظل ينظر إلى باب الطائرة حيث سقط سمير منذ لحظات، شعر بثقل في صدره ولكنه بدون تفكير قام بارتداء إحدى مظلات الهبوط الأخرى المتواجدة في الطائرة ونظر إلى الطيار وهو يحدثه بصوت عال:

- لتعود إلى المركز وتخبرهم عما حدث ليرسلوا المساعدة إلينا، سننتظرهم في ميعاد النافذة القادمة.

ثم قفز من الطائرة باتجاه الثقب.

١٢

داخل الثقب

قفز عماد من الطائرة وهو لا يعلم مصيره، كل ذلك ليساعد سمير الذي سقط في الثقب وهو فاقد الوعي، كانت الإضاءة قوية للغاية حيث لم يرى عماد أي شيء أسفله، فقط ضوء ساطع جعله يغلق عينيه حتى لا يتضرر منه، كل ما فعله هو فتح مظلة الهبوط بمجرد أن عبر تلك النافذة ولم يكن يعلم ما يوجد أسفله.

ما أن فُتحت مظلة الهبوط حتى قلت سرعة سقوطه وبعدها بلحظات بدأ الضوء يقل شيء فشيء وبدء يفتح عينيه تدريجيا لينظر أين هو وبدء البحث عن سمير، نظر أسفله فإذا بأرض صخرية مدببة، حينها جاء بذهنه أن سمير لن ينجو من تلك الصخور الكبيرة أبدا، حتى هو لا يعلم كيف يهبط بالمظلة عليها دون أن يتضرر، فما بال من سقط دون أن يستطيع فتح المظلة.

حاول عماد تقليل سرعته على قدر استطاعته باقترابه من الأرض وحينها لمح جسد سمير الموجود بالقرب من المكان الذي سيهبط فيه ولكن اهتمامه حينها كان منصب على كيفية الهبوط، لذا استعد للهبوط وقلبه يخفق ولكنه تفاجأ بشيء يرتطم به قبل الوصول للأرض، لقد اصطدم ببحيرة ماء.

كانت المياه شفافة بدرجة لا تصدق حيث لم يرها من الأعلى ويكتشف أنها بحيرة، لم يرى سوى الصخور القابعة في قاعها، ارتطم جسده بالماء وتوقفت سرعته وسرت رعشة داخل جسده، كان خائفا لما يحدث له في البداية ولكن بعدما تخلخلت المياه في جسده حتى

شعر بشيء لم يعرف كيف يصفه، كان الأمر وكأن كل التعب الذي حدث له خلال حياته يتركه ويرحل، رغم أن جسده وطأ المياه منذ لحظات إلا أنه أحس بهدوء وسكينة لم تأتيه من قبل، كان الماء باردا لطيفا على جسده وحركة المياه بداخل البحيرة كانت غريبة وكأنها تدور حولك لتدلك جسدك بطريقة مريحة جميلة، حدث ذلك فقط في الفترة بين سقوط عماد للبحيرة حتى انتبه لما يحدث له بسقوط باقي مظلة الهبوط المتصل به عليه وحينها عاد جزء من عقله إليه ليتذكر سمير ويبدأ البحث عنه.

لم يكن الأمر صعبا على عماد أن يجد سمير فقد وجده طافيا بالقرب منه فأخذ يعوم باتجاهه حتى وصل إليه ليتفحصه ليجده مازال فاقد الوعي فأسرع ينتشله من الماء محاولا السباحة باتجاه الشاطئ لإنقاذه ولكنه بمجرد أن وجه نظره إلى الشاطئ وجد مجموعة من الغرباء يركضون حاملين حِرابهم متجهين إليهم في الماء.

****

خارج الثقب

عاد الطيار وهو مرتعد وقام بالتبليغ عما حدث، تلك المرة استيقظت د.هند من نومها وكانت أول الحاضرين إلى المركز، كانت في وضع لا تحسد عليه ولم تقدر على اتخاذ قرار مناسب في ذلك الموقف، لقد وضعها سمير في وجه المدفع، تعلم بأنها إن أبلغت عن فقدان أثنين من طاقم المركز وأنهم ذهبوا إلى ثقب الهاوية دون إذن فإنها بالتأكيد ستُعرض نفسها للإقالة بسبب ما حدث، كما أنها لا تستطيع ترك الأمر دون قرار، وإن أرسلت الطائرة مجددا للبحث عنهم وحدث شيء لها فإنها سُترسل إلى السجن بالتأكيد، ولأن د.هند كانت تأثر السلامة دائما فقامت بالتبليغ عما حدث وحينها أخذت الأمور منعرجا آخر.

لم يمر الكثير من الوقت حتى أمتلأ المركز بعناصر من جهاز الأمن السيادي وأخذوا يستجوبون كل من بالمركز عما حدث وبدأوا في جمع كل ما يلزمهم لفهم الموقف جيدا، وكان لزام عليهم أن يتخذوا قرارا سريعا حيال الشخصين المفقودين، لذا خرجت طائرة متطورة لمسح المنطقة باحثة عن د.سمير والمهندس عماد.

كانت الأوامر المعطاة للطائرة أن تبحث في المنطقة الأمنة فقط ولا تتعمق بالقرب من ثقب الهاوية، وقد أخذوا معهم د.هند شخصيا لتبحث معهم عن المفقودين وبالفعل انطلقت الطائرة متوجهة إلى منطقة الثقب، كانت المهمة صورية، حتى يخبروا الجميع أنهم قد فعلوا ما يمكنهم فعله للبحث عن سمير وعماد، ولكن الجميع كان يعلم بأنه من المستحيل أن يجدوا أثر لهم مثل من سبقهم ولكنهم قاموا بالمهمة على كل حال.

وصلت الطائرة الى أقصى مكان قد تصل إليه وظلت د.هند تنظر إلى المياه وهو تتحسر على نفسها وعلى الموقف الذي هي واقعة فيه، لم يجدوا أي شيء كما اعتقدوا، وحينها نظر أحد ضباط الأمن السيادي إلى د.هند يخبرها بأن كل شيء مُنتهي وأنهم سيعودون إلى المركز مجددا فأشارت له د.هند في حزن بالموافقة.

استدار الطيار بالطائرة وبدأت رحلة العودة، حينها لمح الضابط شيء بالماء فأمسك بالمنظار يتحرى عما رأه وحينها صاح :

- هنالك شخصان في الماء بالأسفل.

انتفضت د.هند من مكانها حتى أنها جذبت المنظار من الضابط ونظرت منه لتصيح هي أيضا قائلة:

- نعم، إنهم أحياء.

أمر الضابط الطيار بالهبوط حيث تتواجد تلك القطعة الخشبية الطافية والتي تحمل ذاك الرجلين، وبالفعل نزل الطيار بمستوى الطائرة حتى كادت تلمس المياه حيث أصبحوا بالقرب منهم.

فُتح باب الطائرة ووقف أحد الرجال على قائم الطائرة المعدني ومد يده للرجلين اللذان نهضا من على اللوح الخشبي وتقدما إلى الطائرة ليقفزوا بداخلها.

كانت حالة الرجلين صعبة وبدا أنهم كانوا يصارعون الموت، حينها سأل الضابط د.هند:

- هل هؤلاء هما رجلاك؟

فأجابته هند وعينيها مملؤة بالغضب واللوم:

- نعم، هذا دكتور سمير، وهذا المهندس عماد.

الفصل الثاني

بالداخل والخارج



داخل الثقب

اتجهت عصبة من الرجال إلى عماد الذي مازال يحمل سمير على كتفه ولكنه توقف بمجرد رؤية هؤلاء الرجال وهم يسرعون إليه بداخل المياه، وقف عماد خائفا بسبب السرعة التي وجدهم يتحركون بها، علم أنهم آتون إليهم بالتأكيد وشعر بخوف شديد بعدما رأى تلك الحراب في أيديهم.

وصل الرجال إلى عماد وكونوا نصف حلقة دائرية حوله، أخذ عماد ينظر إليهم دون أن ينطق بكلمة وانتظر ردة فعلهم، كان الرجال يرتدون بناطيل قصيرة خفيفة مصنوعة من الكتان الأبيض وعاريي الصدر حيث ظهرت عضلات بطونهم وأذرعهم واضحة بارزة، ورغم اختلاف ألوان بشرتهم حيث كان فيهم ذو البشرة السوداء وأيضا البيضاء وما بينهم إلا أنهم قد اتفقوا جميعا في الجسد الرياضي النحيل الممشوق.

لم يحدد عماد إذا ما كان هنالك نية سيئة لديهم أم لا، فبعضهم كان ينظر إليهم نظرة شفقة ولم يشهر حربته بشكل واضح مباشر، وهنالك آخرون وقفوا متأهبين وعلى استعداد لاستخدام حِرابهم، وحينها تحدث أحدهم إلى عماد ولكنه لم يستطع تمييز كلمة واحدة مما قالها، لقد كانوا يتحدثون لغة أخرى مختلفة عن لغة دونسيار، لذا لم يفهموا بعضهم البعض، أجابهم عماد بلغته:

- آسف لكم، لكني لا أفهم لغتكم، صديقي يحتاج إلى العناية السريعة.

ما أن أشار عماد إلى د.سمير المصاب الذي مازال على كتفه لا يتحرك حتى تأهب الجميع وأشهروا حرابهم في وجه عماد الذي أصيب بنوبة هلع لما صدر منهم وحينها تحدث بصوت مرتعد:

- نحن لم نأت بقصد الشر، نحن هنا للبحث عن د.عُمر جيد.

انتصب ظهر أحدهم ووقف عندما سمع حديث عماد وحينها تحدث لزملائه ليبدأوا حوارا جانبيا وانتهى بإمساك أحدهم لبوق صغير وضعه حول عنقه لتنطلق صافرة معينة -تعرف عليها عماد على الفور- ليظهر رجل على الشاطئ يرد على البوق بصوت آخر مشابه له وكأنهم يتحدثون لبعضهم البعض عن طريق تلك النغمات، انطلقت عدة أبواق تواليا وكأنها تتواصل مع بعضها البعض حتى انتهت بصوت بوق يحمله شخص ظهر من أعلى جبل.

لم يكن ذاك الجبل بالمعهود والمعروف لدى عماد، فلم يكن بجبل تكسوه الرمال والحجارة، بل كان جبلا أخضرا مكسوَ بالكامل بالخضرة، وليست أية خضرة فقد كان اللون الأخضر زاهيا واضحا مريحا للعين، كان تدرج الألوان عليه يبعث البهجة بداية من قمة الجبل المكسوة بالأخضر الداكن إلى وسط الجبل الذي بدأ اللون الأخضر يمتزج باللون الأصفر الهادئ ليكونوا لوحة فنية لجبل لم يرى عماد مثله من قبل.

بدأ الرجل يهبط من على الجبل بطريقة محترفة رغم الارتفاع الشاهق ولكنه في لحظات قليلة كان قد وصل إلى الشاطئ وحينها قفز إلى الماء يسبح باتجاه زملائه، حينها وقف أمامهم وهو ينظر إلى عماد وسمير وبدأ يتحدث إلى زملائه بلغتهم الغريبة ولم تمض لحظات حتى وجه حديثه إلى عماد:

- هل أنتم من دونسيار؟

اندهش عماد من تغير لغة الرجل فجأة ولكنه أجابه بسرعة كأنه وجد نجدته:

- نعم، نعم، نحن من دونسيار.

- لماذا جئتم إلى هنا؟، وكيف دخلتم من الأساس؟

- تلك قصة طويلة سأحكيها لك ولكن يجب علينا إسعاف د.سمير حالا، لقد ارتطم رأسه بقوة في المروحية وفقد الوعي وسقط في الثقب.

- هل أصيب صديقك قبل الدخول للبستان؟

- أي بستان؟!

- الثقب، هل كانت إصابته خارج الثقب؟

- نعم.

نظر الرجل إلى سمير وهو حائر لا يعلم ماذا يفعل ولكنه تحدث إلى زملائه الآخرين بلغتهم ولكن تلك المرة بلهجة استعطاف ولكنهم ودون تردد قاموا بإشهار رماحهم وبدأوا في الاقتراب من عماد الذي علم بأن الأمور ليست جيدة تماما وأخذ يصيح وهو يتراجع بقوة في الماء بصعوبة بسبب حمله لسمير وأخذ يصيح:

- نحن لا نقصد أي أذى لكم، نحن مجرد علماء ولسنا مسلحين، فلتخبرهم بذلك.

- لقد أخبرتهم بالفعل، لتترك ذلك الشخص الذي على كتفك وتأت معنا، لا يوجد أية مشكلة معك.

- ماذا تقصد؟

كانوا قد اقتربوا بشدة من عماد حينها وبدا أنهم قد أمسكوا به ولكنه استدار بجسده وبدأ في الركض داخل المياه ولكنه كان بطيئا للغاية مع ذلك الحمل على كتفه وأثناء ركضه العنيف انتفض سمير من على كتفه لتخرج كمية مياه من جوفه ويبدأ في السعال الكثيف وسط ذهول كل من حوله.

اندهش الرجال ووقفوا مشدوهين مما حدث، أما عماد فقد توقف ليفحص سمير فأنزله من على كتفه ولف حوله وهو قابض بكلتا يديه على قفصه الصدري ووجه سمير مواجه لهؤلاء الرجال.

كان سمير مازال على قيد الحياة وكان سعاله المتكرر خير دليل على ذلك، حاول عماد التحدث إليه ولكنه كان شديد الإعياء ولم يستطع الإجابة، حينها نظر عماد إلى الرجل مجددا يحدثه:

- نحن هنا للبحث عن د.عُمر جيد، لقد فُقد في ثقب الهاوية منذ سبع سنوات.

- نعلم من هو د.عُمر جيد، ولكن هنالك أمر يجب حله أولا.

تحدث الرجل إلى الرجال مجددا وقد أحتد النقاش بينهم حتى أن بعضهم قد ظهر عليهم أنهم قد وافقوا رأي الرجل الآخر بعدما كانوا يعارضونه في البداية، حاول عماد فهم ما يحدث فتحدث للرجل وسط النقاش:

- فيم تتناقشون؟

- نتناقش إن كنا سنقتل صديقك أم سنتركه.

١٤

خارج الثقب

جلس الطيار الشاب في غرفة مغلقة في انتظار التحقيق معه، ما أن عاد إلى مهبط المركز وقام بالتبليغ عما حدث لهم وحينها قامت د.هند بالتبليغ عن الحادث، لم تمض ساعات حتى امتلأ المركز بضباط الأمن السيادي وكان هو محط كل الأنظار، الناجي الوحيد.

قاموا باصطحابه معهم إلى أقرب محطة أمنية لهم وحينها أجلسوه وحيدا لفترة من الوقت مرت عليه كالسنين، لقد كان خائفا مرتعدا فلقد ظن أنهم سيتهمونه بقتل سمير وعماد، ولكن الأمور كانت أكبر من ذلك بكثير، دخل أحد الأشخاص وهو يرتدي قميصا أبيضا ناصع البياض مع أكمام مفتوحة قد طويت للداخل لتصل إلى منتصف ذراعه، وربطة عنق مشدودة بحرفية بالغة، دخل الرجل واضعا الملف الذي بيديه على الطاولة مُمرا زجاجة مياه إلى الطيار ويطلب منه أن يشرب. خلع الضابط ساعته من يديه ووضعها بصورة منمقة أمامه ليكون زجاج الساعة مواجها له، حينها ألقي ابتسامة مصطنعة إلى الطيار وبدأ الاستجواب:

- عقيد أشرف هاشم، أمن سيادي.

كان الطيار يشرب الماء ولكنه توقف مباشرة بعد حديث أشرف له واستمع له بإنصات وهو خاضع، ليكمل أشرف حديثه:

- اسمك زين محمد سويلم، اثنان وعشرون عاما، طيار مدني تخرجت من كلية الطيران المدني بتقدير امتياز، والدك مدرس بالمعاش ووالدتك لا تعمل ولديك أخان أحدهم طبيب والآخر يدرس الطيران مثلك.

تغيرت ملامح زين عند سماع تلك المقدمة، تعني أن القادم لن يكون جيدا أبدا، هكذا تكون بداية الآلام في الأفلام التي شاهدها، انتظر زين باقي حديث الضابط ولم يعقب، فهو يعلم أن معلوماتهم أصوب مما سيخبرهم به هو بالتأكيد، فأكمل أشرف:

- التحقت بالعمل بمركز أبحاث الكون منذ ثلاثة أشهر، قمت فيها بالتحليق بالمروحية ثمان مرات جميعها كانت بغرض التدريب وتحت قيادة كبير الطيارين بالمركز، وكانت رحلتك الليلة الماضية هي الأولى دون إشراف أحد، وقمت بالتحليق دون إبلاغ مركز تحكم الإقلاع، بالإضافة إلى إغلاقك لكل أجهزة التتبع في الطائرة، أليس كذلك؟

- نعم سيدي، صحيح.

- إذا هل تحكي لي ماذا حدث بالضبط؟

- حسنا، لقد كنت في غرفتي مستيقظا عندما تم استدعائي بواسطة الحاسوب المركزي بأمر من د.سمير عبد العليم رئيس المركز المنوب عن ذلك اليوم، وأرسل لي وثيقة سرية قمت بالتوقيع عليها، مدون بها أننا بصدد الخروج في عملية استكشافية سرية لصالح المركز ويجب اتباع بروتوكول السرية القصوى بها لما تحتويه من معلومات مهمة تمس أمن دونسيار، وقد كان منها عدم إبلاغ مركز تحكم الإقلاع وأيضا إغلاق كل أجهزة التتبع.

- ألا تعلم أنكم ستظهرون على أجهزة رادار مركز تحكم الإقلاع حتى وإن فعلت ذلك وحينها قد تعرضون نفسكم لخطر القصف؟

- نعم أعلم، وأخبرت د.سمير بذلك، ولكنه أخبرني أن المكان الذي سنذهب إليه ممنوع فيه استخدام الرادارات.

- حسنا، أكمل.

- أعددت العدة وجهزت المروحية وحضر د.سمير قبل موعده وأخذ يجهز بعض الأشياء في المروحية حتى انتهيت من تجهيز كل شيء وكنا مستعدين للتحليق ولكن حينها ظهر المهندس عماد وبدا أنه يتناقش بحدة مع د.سمير وحينها هبط د.سمير واستكملوا حديثهم خارج المروحية ولم يمض كثيرا حتى عادا إلى المروحية وانضم إلينا المهندس عماد في رحلتنا ولكن الشجار استمر بينهم حتى وصلنا إلى ثقب الهاوية.

قبل أن يسأل الضابط السؤال التالي أكمل زين:

- قبل أن تسألني سيدي، لا، لم أكن أعلم أننا ذاهبون إلى ثقب الهاوية، لطالما سمعت القصص المرعبة عنه ولكنني لم أكن أعلم أننا ذاهبون إليه، في الواقع لم أعرف ذلك إلا بعد عودتي للمركز وأخبروني بذلك.

- هل تخبرني أنك قمت بالرحلة دون أي معلومات عما ستفعله؟

- بالضبط، لقد وصلنا إلى هناك وحينها اصطدم رأس د.سمير وسقط وبعدها تبعه المهندس عماد وأخبرني أن أرسل لهم المساعدة عند فتح النافذة التالية؟

- أية نافذة؟

- لا أعلم، لقد أخبرني بذلك بسرعة قبل لحظة واحدة من قفزه من المروحية.

- لقد قلت أن الوضع كان مستقرا هناك، أخبرني عن حالة الطقس عندما اقتربتم من الثقب.

- كان الجو رائعا ولا يوجد أي شيء يشير إلى وجود منطقة خطرة هناك، لقد وقفنا نشاهد تلك النافذة التي فُتحت أمام أعيننا في منظر بديع، كان الضوء ساطعا ويزداد شيئا فشيئا حتى اصطدمت بنا أجسام غريبة فجأة.

- نعم، فلتوضح لي ماذا حدث بالضبط لأننا وجدنا الطائرة متضررة وكأن عدة طلقات قد أُطلقت عليها.

- لا أعلم ماذا حدث بالضبط ولكني حاولت قدر الإمكان أن ابتعد عن تلك المنطقة بسرعة.

- كيف سقط د.سمير من الطائرة؟

- لقد قمت بعمل حركة سريعة لا إراديا بالطائرة عندما شعرنا بالطرقات من أسفلنا وحينها سقط د. سمير، ولكني أقسم لك بأنني لم أقصد أن أفعل ذلك.

- هل رأيت شيئا آخرا هناك؟

- لا، قمت بالعودة مجددا إلى المركز وقمت بالإبلاغ عن الأمر فورا.

دوى صوت طرقات على النافذة المعتمة وعلم أشرف أن هنالك من يستدعيه فنهض من كرسيه وهو يحدث زين:

- فلتظل هنا، حديثنا لم ينتهي بعد.

خرج أشرف ليلتحق بزملائه في الغرفة المجاورة حيث كانوا ينظرون إلى تحقيق آخر يجرى في غرفة ثانية ولكنه كان أكثر أهمية من استجواب الطيار.

اقترب أشرف من النافذة الشفافة ليجد بداخلها د.سمير يجلس مع أحد الضباط الآخرون يتم استجوابه فسأل زملائه:

- هل عثرتم عليهم؟

أومأ له الضباط ووقفوا يستمعون لجزء من الاستجواب الذي يحدث أمامهم وكان د.سمير يخبر الضابط قائلا:

- يا سيدي، كما أخبرتك لقد مكثنا بداخل الثقب لمدة ستة أشهر.

نظر أشرف إلى زملائه وحوّل نظره إلى الغرفة حيث يجلس الطيار زين والذي مازال مرتديا زي الطيران الذي اصطحب به د.سمير وعماد في رحلتهم منذ ثمان ساعات مضت.

١٥

داخل الثقب

استند سمير على عماد وبدأوا يسيروا في طريقهم حسبما كان يأمرهم أحد الأشخاص، كان سمير مازال غير مستوعب ما يحدث ولم يستعد وعيه الكامل ولم يعطوه فرصته حتى يفيق بل كانوا عاقدين العزم أن يتخذوا قرارا سريعا فيما سيحدث لهؤلاء الغرباء الجدد الذين وصلوا حديثا إلى منطقتهم.

كان كل شيء حول عماد وسمير يدعو للتأمل، كانوا يسيرون على رمال لم يروا مثلها من قبل فقد كانت حباتها كبيرة نوعا ما، مختلفة الألوان وكأنها قد تم صبغها لتتناغم مع بعضها البعض وتظهر كأنها لوحة فنية بديعة، ومع سقوط الضوء عليها تصبح وكأنها حبات زجاج متلألئة متناثرة على الأرض، تخّوف عماد من منظرها في البداية عندما رأها، ولكنه وجدهم يسيرون عليها بأقدام عارية دون أية متاعب أو أن يصابوا بشيء لذا قام باتباعهم بحذر وهو ينظر بتمعن في كل خطوة يخطوها بحذائه المليء بالماء الذي يغرس في كل خطوة في تلك الرمال الغريبة.

حاول عماد مجاراتهم في السير ولكن تعثر سمير المتكرر جعله يتأخر كثيرا عن الدليل الذي يقودهم حيث يذهبون مما جعل الشخصان الذين يسيرون خلفه يتأففون لما يحدث ويبدأون الحديث فيما بينهم بطريقة تبدو غاضبة وهم يشيرون إلى سمير وسقطاته المستمرة، الأمر الذي جعل عماد يصيح بالرجل الذي يتحدث باللغة الدونسيارية:

- أنت لم تخبرني إلى أين نحن ذاهبون، ولم تخبرني شيء عن مناقشتكم التي حدثت في الماء.

توقف الرجل ونظر خلفه لينظر إلى عماد فتراجع قليلا ليقترب منه يحدثه:

- لقد قرروا أن يتركوا مصير صديقك إلى شيخ البستان.

- شيخ البستان؟

- نعم أنت هنا في البستان، لتنس أمر ثقب الهاوية ذلك.

- ماذا عن قولك بأنهم يتشاورون في أمر قتل سمير، هل فعلا كانوا يريدون قتله؟

- نعم ومازال بعضهم يريد ذلك... سكان البستان الأصليين لا يتفاءلون بالغرباء الذين يصابون بمرض هنا بمجرد وصولهم، يعتبرون ذلك أن البستان لا يرحب بوجودهم، لكنك أخبرتني أنه أصيب قبل أن يصل إلى هنا، كما أنه أفاق ويبدو أنه يستعيد وعيه الآن، لذا اقترحت عليهم أن ينتظروا ويعرضوه على شيخ البستان حتى يقرر هو مصيره.

- وهل من الممكن أن يصدر أمر بقتله؟

- لا أعتقد ذلك، الشيخ شخص لطيفا، حقيقة لم يصدر قرار بقتل أحد من قبل هنا ولكن البستان نفسه هو من يتولى الأمر.

- لا أفهم، ماذا تقصد بأن البستان هو من يتولى الأمر؟

- لا تشغل بالا لذلك، ذلك يومك الأول فلتستمع بالبستان ولننتظر قرار الشيخ.

- وماذا سيفعل الشيخ معي أنا؟

- أنت مرحب بك هنا فلقد أتيت معاف ولم ينقم عليك البستان، سيتم تخييرك بين أن تمكث هنا أو أن تعود من حيث أتيت.

- هل يمكن أن نخرج من هنا مجددا؟

- بالطبع، أنت سيد قرارك، ولِمَ سنرغمك على المكوث وأنت غير راغب بذلك؟

- هل غادر أحد المكان من قبل؟

- لا أعلم ولكني أتحدث عن نفسي، لقد قاموا بتخييري واخترت المكوث هنا.

ترك الرجل عماد فجأة وركض بعيدا ليقترب من إحدى الشجرات وقفز عدة مرات ليقوم بالتقاط عدة ثمرات منها ويعود بها إلى عماد وسمير ومد يده إليهم ليعطيهم تلك الثمرات.

نظر عماد إلى الثمرة ليجدها تشبه ثمرة المانجو المعروفة ولكنها ذات لون أزرق غامق، أمعن عماد النظر بها قبل أن يرفضها بشيء من الأدب ويعتذر للرجل ويخبره أنه يحتاج فقط للماء له ولسمير فنظر له الرجل وهو ينظر إلى البحيرة حيث سقطوا منذ قليل وحدثه:

- لقد كنت بالماء منذ لحظات، لِمَ لم تشرب؟

- هل تشربون حيث تقفون بأرجلكم؟

- هنا كل شيء يصلح لكل شيء، لا يوجد شيء ملوث هنا... ثم صمت قليلا قبل أن يُعدل كلامه ... إلا نفوس البشر.

عرج الرجل مجددا وقفز إلى الماء وعاد وهو يحمل صدفة كبيرة غريبة الشكل وبداخلها ماء وبعض الأسماك الصغيرة تسبح فيها وعرضه على عماد الذي رأي الاسماك بالداخل تتحرك فرفض أن يشرب فقام الرجل بالشرب هو منه وعاد ليضع الصدفة والأسماك مجددا بالبحيرة.

كانت تصرفات ذلك الرجل عشوائية ويبدو أنها بدائية نوعا ما ولكن لم يكن عماد في موقف يسمح له بأن يوجه له لوم أو يصحح له أفعاله، فقط ظل واقفا يحاول التفكير فيما سيحدث معهم.

بعد فترة أصاب عماد التعب وأصبح وكأنه يحمل سمير كليا بعدما بدأ الأخير يفقد الوعي وأصبح يهزو ولم يستطع استكمال المسير، فاقترب الرجل من عماد الذي جثا على ركبتيه وهو يحاول أن يتفحص سمير وما يحدث له. نظر عماد إلى الرجل يسأله:

- إنه مريض للغاية، ألا يوجد طبيب هنا يستطيع فحصه؟

- أنا طبيب.

- أنت طبيب؟

- نعم.

- طبيب وتركتنا كل هذا الوقت دون مساعدة؟

- لا أستطيع، ليس قبل اتخاذ قرارا حيالكم، لقد ساعدتكم وأقنعتهم بعدم قتله حين وصلتم، ولكني لا أستطيع أن أضر نفسي وأساعدكم بعلاجه.

- فلتخبرني إذا ماذا أفعل معه، إنه مريض للغاية.

نظر الرجل إلى الأشخاص الذين معه والذين توقفوا ينتظرون عماد وسمير أن يقفوا مجددا ليستكملوا طريقهم وحينها رمى بالثمرة مجددا إلى عماد وهو يخبره:

- قد يكون أصيب بجفاف، فلتجعله يأكل من تلك الثمرة وسأجلب لك مياه مرة أخرى وسأحاول أن تأتي دون أسماك تلك المرة.

رمى الرجل بالثمرة إلى عماد الذي أخذ يتفحصها مجددا ولكنه كان مجبرا تلك المرة على إطعامها لسمير فقام بغرز إصبعه بها وأزال قشرتها الناعمة ليتسرب إليه رائحة ذكية طيبة منها لم يشمها من قبل جعلته ينسى أمر سمير وبدأ يقرب الثمرة من فمه لتزداد الرائحة أكثر وأكثر وتزداد شهوته ليمد لسانه ليتذوق الثمرة ليصاب بدهشة كبيرة مما وصل إلى حواسه من طعامة وطزاجة وحُسن ما أكل.

قشر عماد باقي الثمرة وحينها بدأت أسنانه هي من تقوم باقتطاع أجزاء كبيرة من الثمرة وهو يأكل بنهم شديد متناسيا أمر سمير الذي مازال مفترشا الأرض يصدر أصوات حشرجات متقطعة حتى عاد الرجل بالماء فوجد ذلك فابتسم وأخرج ثمرة أخرى ومدها لعماد الذي ما أن رآها حتى فطن لما يفعله وعاد من شروده وأمسك بالثمرة الأخرى وبدأ يطعمها لسمير الذي تجاوب بسرعة وبدأ في تناول الطعام وهو نائم على ظهره.

انتهى الأثنان من الطعام وشربوا من الماء الذي رواهم ومحا علامات الإرهاق من عليهم وكان الأمر واضحا على عماد الذي استعاد نشاطه وكأنه لم يقم بأي عمل شاق، قام في نشاط وساعد سمير في النهوض مجددا ولكنه قرر تلك المرة قرر خلع حذائه والسير حاف القدمين كالبقية وما أن فعل ولامست قدميه الرمال حتى شعر ببرودة خفيفة تسري بداخل جسده جعلته يشعر بقشعريرة مثيرة وخفق قلبه، كلما رفع قدمه عن الأرض وعاد بها إلى الرمال مجددا شعر براحة جسدية

وكأن كل الآمه وتعبه وحزنه يتسرب منه في كل خطوة لتخرج من قدميه وتجتذبها الرمال بعيدة عنه.

انسدل الليل في ذلك المكان ومازال الجميع يسير في طريقهم إلى شيخ البستان حتى سمع عماد صوت زئير قوي متتالي، شعر بخوف شديد ولكنه وجد الجميع يكملون طريقهم وكأن شيء لم يحدث، فأكمل طريقه وهو مرتعد وأخذ ينظر إلى سمير الذي سمع هو الآخر نفس الصوت وبدا عليه علامات الرعب هو الآخر عندما ازدادت الأصوات وكأنها صادرة من مجموعة وليس زئيرا واحدا ولكن باقي الأشخاص مازالوا لا يعيرون الأمر اهتماما حتى خرجت من وسط الأشجار مجموعة من الأسود وهي تزأر في وجههم.

توقف الجميع حينها عندما راؤوا الأسود وأمسك كل واحدا منهم بوقه المربوط حول عنقه وكانوا على استعداد لما هو قادم ولكن الأسود لم تتوجه باتجاه هؤلاء الأشخاص ولكنها كانت متجهه إلى عماد وسمير ويبدو أنهم يعرفون جيدا ما سيفعلونه بهم.

تسمر عماد مكانه ووقف سمير منصوب الظهر لأول مرة، ازداد زئير الأسود شراسة وغضبا وبدت أنيابهم الكبيرة واضحة جلية وكانوا على استعداد للانقضاض على فريستهم لولا وقوف الطبيب أمام الأسود وأخذ يصدر أصواتا بالبوق الذي معه لتتوقف الأسود عن التقدم وأخذت تزأر في وجه الطبيب وهي غاضبة ولكنه ظل يستخدم البوق مرارا وتكرارا حتى أطلقت الأسود زئيرا له من نوع خاص واستدارت راحلة من المكان.

تنفس عماد وسمير الصعداء ودار حوار بين الطبيب وباقي الأشخاص لم يفهم عماد وسمير منه شيئا ولكنهم شعروا بأن الطبيب

يلقي اللوم عليهم لعدم مساعدتهم. بعدها استعدوا لاستكمال مسيرتهم وحينها لحقهم عماد وسمير مجددا.

أسرع عماد إلى الطبيب وترك سمير لأول مرة منذ دخولهم إلى الثقب، اقترب من الطبيب يسير بجواره يحدثه:

- شكرا لإنقاذنا.

لم يجب الطبيب.

- هل ما فعلته سيضرك؟

- لا يهم.

- هل يمكنني معرفة اسمك؟

- سعيد.

- ماذا فعلت بذلك البوق لتمنع الأسود من مهاجمتنا؟

- هذا نداء تحذيري للحيوانات بألا تقوم بالهجوم، يتم تدريب الحيوانات هنا ألا تهجم على البشر، هذا النداء نعلمه للأطفال الصغار في حالة الخطر، ولكن نادرا أن تهاجم الحيوانات البشر هنا، أو هو أمر لم يحدث من قبل.

- هل هذا له علاقة بنا؟، لقد كانت ستهاجمنا أنا وسمير فقط.

- لا أعلم، ولكنها أول مرة أرى فيها حيوانات البستان تهاجم بشري.

- هل باقي زملائك كانوا يتحدثون معك بشأننا وأننا فأل سيء لكم؟

- نعم.

- أنا آسف لك د.سعيد، ليس لدي شيء سوى الاعتذار.

لم يعلق سعيد ليكمل عماد:

- إذا كان هؤلاء من السكان الأصليين هنا فكيف جئت أنت إلى هنا؟

- كنت في رحلة صيد بباخرتي الخاصة وضللت الطريق حينها.

- هل استطعت المرور من الثقب دون أن تتأذى؟

- نعم، أنا لم أتأذى ولكني فقدت زوجتي وأبنائي.

صمت عماد لم يتحدث وظل هكذا للحظات حتى علق:

- أنا آسف لخسارتك.

أوما سعيد برأسه.

- منذ متى وأنت هنا في البستان؟

- منذ أربعمئة وخمسة وثلاثين عاما وثلاثة أشهر ويومين.



خارج الثقب

عندما التقطت مروحية الأمن السيادي كلا من د.سمير وعماد من على اللوح الخشبي الطافي على الماء وبعدها تم التأكد من هويتهم بواسطة د.هند، أصدر ضابط الأمن السيادي تعليماته إلى قائد المروحية بالعودة، ليس إلى مركز الأبحاث ولكن إلى مكتب التحقيقات.

كانت الرحلة إلى مكتب التحقيقات صامتة تماما لم يتحدث أحد، ظلت د.هند ترمق سمير بنظرات عتاب غاضبة لما فعله ولكنها لم تستطع أن تتحدث معه أو توجه له أي توبيخ، فلقد كانت تعلم بأن العتاب لن يفيد بشيء حينها فتركت الأمور تسير كما سيحدده لهم القدر.

هبطت الطائرة على سطح أحد المباني وكان في انتظارهم مجموعة كبيرة من الأشخاص الذين يرتدون بدلات رسمية، بمجرد أن فُتح باب الطائرة حتى تم اقتيادهم الثلاثة إلى غرف متفرقة للتحقيق معهم.

دخل أحد الضباط إلى الغرفة الأولى حيث تواجد سمير وهو سبب كل ما حدث حسبما أفادت تحرياتهم الأولية، دخل الضابط ويبدو على وجهه علامات الحزم والانضباط وجلس وهو يبلغ سمير بأن تلك التحقيقات ستكون مسجلة وحينها بدأ التحقيق معه.

- اسمك وسنك ووظيفتك من فضلك.

- سمير عبد العليم، عالم...

- اسمك كامل وكل شيء تقوله يكون واضحا من فضلك.

- هل يمكنني الحصول على دوائي أولا، أشعر بأنني لست بخير.

- بعد انتهائنا سنجلب لك دوائك، والآن أجب على ما سألتك إياه.

- حسنا، أنا دكتور سمير مصطفى أحمد عبد العليم، ٤٨ عام، أعمل كرئيس قسم علوم الفيزياء في مركز أبحاث الكون.

- هل تعلم لِمَ أنت هنا وما سبب ذلك التحقيق؟

- نعم.

- حسنا، لقد وفرت علينا الكثير، هل تخبرني سبب إقدامك على فعل ذلك؟

- كنت أبحث عن أستاذي السابق، د.عُمر جيد، لقد فُقد في منطقة ثقب الهاوية منذ سبع سنوات.

- وهل وجدته؟

- نعم، إنه هناك ولكنه لم يعد د.عُمر الذي عهدناه.

- ما الذي حدث له؟

- لا أعلم، من خلال لقاءاتنا المتكررة به، وهؤلاء الناس الذي يعيش معهم أستطيع أن أخبرك بأنه يُخفي شيء ما لا يريد الفصح عنه.

- انتظر قليلا، هل تخبرني أنكم استطعتم عبور الثقب والدخول إليه ومقابلة صديقك السابق ومقابلته عدة مرات والعودة من هناك في ثمان ساعات؟

- لا، لقد مكثنا هناك لمدة ستة أشهر.

- ستة أشهر؟، هل أنت متأكد مما تقوله؟

-نعم، هنالك بالداخل ظواهر طبيعية غريبة تستحق الدراسة، يجب علينا أن نعود بعدد أكبر من العلماء لاكتشاف ذلك المكان المليء بالأسرار.

- هل تصف لي ما رأيته بالداخل إذا؟

- هذا سيأخذ أياما لشرحه، بل أسابيع وشهور، هنالك اكتشافات لا حدود لها هناك، لديهم أشياء إن استخدمناها فستصبح دونسيار أقوى دولة بالعالم دون شك.

- هل تخبرنا بنبذة صغيرة عما لديهم؟

- يكفى ذلك العنصر الذي يستخدمونه لصناعة ذلك الدرع الذي يحميهم من دخول أي شخص لمنطقتهم، لقد استطعت أن اكتشف سرهم ولكني أحتاج إلى مساعدة.

- حسنا، بالتأكيد سنساعدك ولكن أريد أن أفهم منك أكثر، هل ظللت الستة أشهر بنفس هيئتك دون تغيير كما ظللت مرتديا نفس ملابسك التي كنت ترتديها وأنت تغادر مركز الأبحاث؟

****

في الغرفة المجاورة وفي نفس الوقت كان هنالك تحقيق آخر مع المهندس عماد مع ضابط آخر.

- حسنا بعد أن صعدت على متن المروحية ووصلتم إلى ثقب الهاوية ماذا حدث بعد ذلك؟

- سمعنا صوت طرق شديد متتالي، حينها قام الطيار بحركة عنيفة أدت إلى سقوط د.سمير واضطررت إلى القفز ورائه لإنقاذه.

- هل سقطتم داخل الثقب؟

- نعم سقطنا في تلك النافذة، ولكننا سقطنا في المحيط الأعظم وبحثت حينها عن د.سمير حتى وجدته وكنا سنلقى حتفنا لولا أنني وجدت ذلك اللوح الخشبي الذي انجدنا من الغرق حتى جئتم لإنقاذنا.

- لكنك قلت أنك أخبرت الطيار بأن يجلب المساعدة ويأتي مجددا عند فتح النافذة التالية للثقب.

- نعم لقد أخبرته ذلك، كنت أظن أننا سندخل إلى مكان جديد فأردت أن أُعلم الجميع بذلك، ولكننا لم نجد سوى الموج المضطرب والمياه تحيطنا من كل اتجاه.

- إذا لم تنجح خطتكم ولم تستطيعوا الدخول إلى الثقب؟

- لا، أعتقد بأنه لا يوجد شيء هناك، لقد أخفقنا مثلما أخفق من قبلنا ولكننا محظوظون أننا استطعنا النجاة لمدة ثمان ساعات ونحن وسط المحيط الأعظم.

١٧

داخل الثقب

توقف رجال البستان أخيرا ومعهم عماد وسمير أمام كوخ صغير كانت أمامه بعض الطيور تأكل من حبوب قد وضعت لهم في محيطه، توقف الجميع وتقدم أحد الأشخاص وقام بالنداء على أحد الأشخاص بداخل الكوخ فظهر أمامهم شخص حياهم وبدا أنهم يخبرونه عن الشخصين الذين سقطا في الماء ودخلوا البستان.

دخل الرجل إلى الكوخ ولم يمض كثيرا حتى عاد إليهم يأمرهم بالدخول، دخل عماد وسمير وهم يستكشفون المكان، كان بدائيا متواضعا للغاية حيث وضعت حصيرة رفيعة بالكاد غطت ملامح الأرض، ووجدوا مساند قطنية مهترئة متناثرة في المكان بشكل عشوائي، وكان سقف الكوخ من الخوص المرصوص بحرفية كبيرة، كانت مساحته صغيرة ولكنه يمتلك عدة أبواب تفيض إليه، كان هنالك رائحة بخور جميلة تدوي في أرجاء الكوخ، رائحة تبعث الطمأنينة في القلب، ظل عماد وسمير يستكشفان الكوخ حتى دخل عليهم شيخ كبير ذو لحية بيضاء كبيرة وظهر منحني متكأ على عصاه.

ما أن رأه الرجال حتى نهضوا ورفعوا أيديهم في احترام ملقون التحية عليه فبادلهم التحية وأمرهم بالجلوس فجلسوا على الفور تاركين عماد وسمير يقفون خلفهم فنظر إليهم الرجل وأشار إلى الرجال بإجلاسهم هم أيضا فأشاروا إلى عماد وسمير بالجلوس أيضا وحينها بدء أحد الأشخاص بالتحدث إلى الرجل الكبير وبدا كأنه يسرد له ما حدث وهو يشير إلى عماد وسمير ولكن أغلب إشاراته كانت موجهة نحو سمير بالأخص.

استمع الشيخ إلى حديث الرجل في اهتمام وأخذ ينظر إلى عماد وسمير يتفحصهم من آن لآخر وما أن انتهى الرجل من حديثه عنهم حتى أمر الشيخ خادمه أن يقدم لهم مشروب ليشربوه وقد شمل عماد وسمير ذلك الأمر، ثم طلب منه أن يذهب ليقوم باستدعاء أحد الأشخاص.

مر وقت قصير حتى جاء أحدهم من الخارج يستأذن في الدخول فأذن له الشيخ الكبير فدلف الرجل ليجد ترحابا من الشيخ الكبير وهو يحدثه:

- لتدخل يا عُمر، لقد آتاك زوار يريدون مقابلتك.

دلف د.عُمر للكوخ يسود وجهه علامات الاستفهام لما سمعه، أولا لأنه لم يعتاد أن يتحدث معه شيخ البستان باللغة الدونسيارية رغم علمه بها، وثانيا لأنه رأى شخصين يجلسان بزي مختلف عن المكان وحينها خفق قلبه عندما أقترب منهم أكثر لتقع عينه في عين د.سمير الذي ما أن رأي أستاذه حتى نهض من مكانه مسرعا إليه يحتضنه.

لم تكن حفاوة الاستقبال متساوية، فمازال د.عُمر مذهولا لما يراه، ولكنه انتظر د.سمير حتى أنهى احتضانه له ونظر في عينيه باسما وسمير يحدثه:

- لقد افتقدتك كثيرا د.عُمر.

ثم نظر إليه يتأمله ويكمل حديثه:

- يا ألهي، أنت لم تتغير أبدا، تبدو بنفس هيئتك كما تركتنا، حمدا لله أنك بخير.

نظر عماد إلى د.عُمر وفعلا لم يجد هنالك أي اختلاف قد طرأ على ذلك الرجل الذي رأه في المقاطع التي شاهده فيها في مركز الأبحاث، هذا هو الرجل الذي يتحدثون عنه وعن إنجازاته طوال الوقت في مركز الأبحاث، حتى أنهم أطلقوا اسمه على الحاسوب العملاق الذي يمدهم بكل المعلومات هناك، د.عُمر جيد، كان متوسط الطول، نحيفا، عريض الكتفين، شعره أبيض ناعم لا يتخلله خصلة سوداء واحدة، كذلك لون شاربه ولحيته الكثيفة المنمقة، ذا عينين خضراوين وهيئة جميلة، لم يؤثر الزمن به طوال فترة اختفائه وكأنه لم يمر عليه يوم واحد منذ رحيله عن دونسيار.

مازال د.عُمر لم يتفاعل حول ما يحدث، حينها قام الشيخ من جلسته ليقوم الجميع معه احتراما، فتقدم الشيخ إلى عُمر وهو يضع يده على ظهره قائلا:

- لنكرم ضيوفك أولا ولنجلس نتحدث.

تحدث الشيخ لخادمه بأن يقوم بجلب الطعام لضيوفه فانصرف ليحّضره وحينها تقدم أحد الأشخاص الذين جلبوا عماد وسمير إلى الشيخ وبدا حديثه معه وكأنه غير سعيد بما يحدث وكان دليل ذلك انشغال د.عُمر بالاستماع إلى حديثهم رغم وقوف سمير وعماد معه.

اقترب الشيخ من الرجل وأخذ يتحدث معه في هدوء ولم يمض الكثير حتى رحل الرجل غاضبا وكأنه لم يقتنع بما قيل، فنظر الشيخ إلى أصدقائه الذين مازالوا واقفين فتحدث إليهم فقاموا بتحيته وغادروا مسرعين يلحقون بصاحبهم، حينها نظر عُمر إلى سمير يحدثه:

- هل كنت مصابا عند دخولك البستان؟

- نعم لقد كنت فاقد الوعي ولكني على ما يرام الآن، هل مازالوا مقتنعين بخرافتهم تلك؟، هل رحلوا غاضبين لعدم تحقيق رغبتهم بقتلي؟

- ليس كلهم، أول من غادر هو من يريد قتلك، الباقون أمرهم الشيخ بأن يلحقوا به ويجعلوه يهدئ.

- هل سيأمر ذلك الشيخ بقتلي حقا؟

- لا، لن يفعل ذلك، ولكنك أصبحت نذير شؤم للبستان الآن.

- كيف ذلك؟

تقدم الشيخ لينضم لهم في الحديث قائلا:

- لا تخبر ضيفنا بأنه نذير شؤم يا عُمر، ولماذا نحن واقفون هنا، تعالوا لنجلس.

صمت الجميع وتبعوا الشيخ الذي جلس على الأرض ليتبعه الجميع يجلسون في حلقة دائرية صغيرة وبمجرد جلوسهم دخل عليهم الخادم يحمل صحنا كبيرا من اللبن الدافئ ومعه بعضا من الدقيق المخبوز.

كان الأكل غريبا بعض الشيء على سمير وعماد ولكنهم كانوا جوعى فبدأوا بالأكل بنهم وظل د.عُمر ساكنا لا يأكل وظل ينظر إلى سمير وعماد بترقب فلاحظ الشيخ الأمر فتحدث إليه:

- ألن تأكل معنا يا عُمر؟

توقف سمير عن الأكل للحظة ونظر إلى عُمر مطولا وحينها فطن أن هنالك أمرا ما فسأل:

- هل أنت غير سعيد برؤيتنا د.عُمر؟، لقد خرجنا للبحث عنك خصيصا.

تحدث الشيخ:

- لننهي طعامنا ونتحدث يا رجال.

تحدث عُمر:

- هل خرجتم للبحث عني؟، كيف دخلتم إلى الثقب إذا؟

تحدث سمير وهو يشير إلى عماد:

- هذا الشاب أستطاع اكتشاف خوارزمية تحدد مكان وموعد فتح نافذة الثقب وقد نجح الأمر.

هنا توقف الشيخ فجأة عن الأكل ونظر إليهم جميعا وسأل:

- هل أتيتم هنا بعد دراسة علمية قمتم بها؟

صمت الجميع فجأة وأخذ كل واحد منهم يوجه نظره إلى الآخر حتى أصبح الوضع موترا ومحتدا، حينها ظل نظر الشيخ مصوبا باتجاه عُمر الذي بدا أنه سمع شيء لا يرغب أبدا في سماعه.



خارج الثقب

جلست د.هند في غرفة الاستجواب وانتظرت دورها حتى دخل العقيد أشرف لها وقام حينها بتقديم نفسه لها بكلمات مقتضبة:

- عقيد أشرف هاشم، قائد التحقيقات.

لم ينتظر أشرف هند أن تتحدث وأكمل فيما كان يفعله، حتى أنه لم ينظر إليها أثناء تعريفه بنفسه، جلس وبدأ يضع بعض الأوراق أمامه بشكل مرتب، كل ذلك ومازالت هند تنظر له وقلبها ينبض بشدة منتظرة أن يوجه نظره لها ولكنه ظل يتصفح الورق الذي معه حتى انتهى من ترتيبه على الطاولة وحينها وجه نظره إلى هند يتحدث إليها:

- مساء الخير د.هند، هل نبدأ؟

أومأت له هند برأسها وهي قلقة ليبدأ أشرف التحقيق:

- هل كنتي على علم بما كان يخطط له اثنان من العاملين لديك في المركز؟

شعرت هند بأن التحقيق لن يسير بهدوء، فقد علمت منذ السؤال الأول أنها ستكون محط هجوم من العقيد أشرف ولكن لم يكن لديها شيء سوى الإجابة على أسئلته:

- لا لم أكن أعلم بما يخططان له.

- لكني علمت أن د.سمير أخبرك أنهم قد وجدوا طريقة علمية للدخول إلى ذلك الثقب.

- نعم أخبرني وطلب مني مساعدته ولكني رفضت رفضا قاطعا حينها.

- هل قمتِ بمراقبته حينها وتأكدتِ من أنه لن يقدم على فعل الأمر؟

- لا، لم أفعل لأن ما أراده يحتاج إلى دراسة وتجهيزات خاصة لتنفيذ التجربة، كما أنه من غير القانوني التحليق بالقرب من ثقب الهاوية كما أمرت حكومة دونسيار.

- لكنهم خرجوا بطائرة بيتش كرافت في النهاية لتنفيذ خطتهم!

- سيدي، هل تظن أنني مشتركة معهم في الأمر؟، هذا درب من الجنون، لم يعد أحد من تلك المنطقة سليما من قبل فهل كنت سأجعلهم يخرجون بطائرة الطوارئ وأعرض نفسي للمسائلة؟

- أنا هنا كي لا أظن، أنا هنا لأحقق في الأمر.

- حسنا، ليس لي دخل بالأمر وتوقفت عن البحث في ثقب الهاوية منذ أخر تجربة قمنا بها وفقدنا زملائنا حينها.

- بالحديث عن التجربة السابقة، لدي تقارير تفيد بأن د.عُمر جيد كان يعتقد بأن ذلك الثقب دخيل على الأرض وليس منها، أكان ذلك هو سبب القيام بتلك التجربة، أهذا صحيح؟

صمتت هند ولم تستطع الإجابة على السؤال، في الواقع لم تكن تعتقد أن هنالك أحد قد توصل للأمر فقد كان ذلك الأمر سري بينها وبين د.عُمر فقط ولم يخبروا أحدا به. حاولت هند التركيز في إجابة السؤال ولكن نبرة صوتها قد تغيرت نسبيا حينها:

- تلك كانت نظرية خاصة لد.عُمر ولكنه لم يخبر بها أحد، كانت مجرد افتراضات، كيف وصلت إليكم تلك المعلومات؟

- لا يهم كيف وصلت لنا، أريد منك أن توضحي لي الأمر إن سمحت، لتحدثيني عن ذلك الأمر أكثر.

- حسنا، كما تعلمون أنا ود.عُمر علماء فلك وكانت أغلب أبحاثنا عن الأجرام السماوية في الفضاء، لذا وأثناء إجراء بعض التحليلات التي قمنا بها على بعض الصور التي حصلنا عليها من مسبار "ايفنت هوريزونز" الفضائي أثناء مروره بحزام كايبر لاحظ د.عُمر انفجارات غير نمطية للأجرام السماوية.

- ماذا تعني بانفجارات غير نمطية؟

- كانت بعض الأجرام السماوية تنفجر بطريقة غريبة لم نعهدها من قبل، من المفترض أن الانفجارات تحدث بسبب اصطدام جرمين ببعضهم البعض أو يحدث الانفجار بسبب انفجار داخلي من داخل الجرم نفسه، ولكن شكل الانفجار الذي رصدناه كان فريدا، كان يوحي بأنه هنالك جسم غير مرئي قد اصطدم بالجرم السماوي وأدى لانفجاره وتشتتت أجزاءه بتلك الطريقة.

- جسم غير مرئي؟

- نعم، وكان ذلك وجه اهتمام د.عُمر في السنوات الأخيرة، فقد كنا بحاجة إلى تأكيد نظريتنا وبالفعل وجدنا اصطدام مشابه لذلك بصورة غير واضحة ولكن تلك المرة في منطقة حزام الكويكبات بين كوكبي المريخ والمشتري وقد حصلنا على الصور من مسبار "فوياجر ٢" حينها.

-حسنا وماذا فعلتم حينها؟

-قدم د.عُمر ورقة علمية بحثية يطلب فيها إجراء تحليلات وأبحاث على تلك الاصطدامات والكشف عن هوية ذلك الجرم الغير مرئي، لكن الأمر قُبل بالرفض وتم اعتبار الأمر نظريات افتراضية ضعيفة وتقترب إلى عدم الصحة.

- وأنت كعالمة فلك، هل كنتي تعتقدي بأنها أوهام صادرة من د.عُمر؟

- أنا؟، كنت أعلم بأن الأمر علميا ضعيف، لأن الانفجارات في الأجرام السماوية قد لا تتبع نمط بحذافيره نظرا لكثرة الأسباب التي قد تُحدث تلك الانفجارات، لكن في المقام الآخر فإن نظرة د.عُمر دائما ترى ما لا نراه، فلقد كان عقلية فذة لم أرها في حياتي، وأغلب أبحاثه وأراءه أفادت علم الفلك وساعدت على تطوره.

- لِمَ لم يقوموا بالبحث في الأمر إذا إن كان د.عُمر له رأي سديد والكل يثق بأبحاثه؟

- لأسباب كثيرة، قد يكون ذلك الأمر ليس محط اهتمام العلم في تلك الفترة وقد يكلفهم الكثير من الأموال، كما أن تلك التلسكوبات الموجودة في الفضاء ليست ملكنا بل نحن نستخدمها حسب معايير

محددة، وبالتأكيد كان السبب الأقوى هو ضعف نظرية د.عُمر بأن هنالك جرم سماوي غير مرئي هو ما يفعل كل ذلك.

- حسنا، ما الذي جعلكم تتوقفوا وتحولوا وجهتكم إلى منطقة ثقب الهاوية؟

- لم يتوقف د.عُمر يوما عن البحث في الأمر، لقد قام بأبحاث على نفقته الشخصية واستعان بعلماء فيزيائيين وجيولوجيين للتركيز على نظريته تلك وقاموا بتحليلات متقدمة وفقا للبيانات المتاحة، حتى أنه حصل على إجازة من العمل دون راتب لتتبع تلك الظاهرة عن طريق التلسكوبات الأرضية حينها، لقد سافر إحدى المرات إلى الصحراء الغربية بجمهورية مصر العربية لاستكشاف الأمر.

- هل كان يعرف متي سيظهر ذلك الجرم السماوي؟

- هذا الجرم لن يظهر فهو غير مرئي لنا، ليس في مدى الأطياف التي نستطيع رصدها... هذا إن كان هذا الجرم موجود بالفعل، فتلك كانت نظرية د.عُمر.

- حسنا حتى لا نحيد عن تحقيقنا، ما علاقة ذلك الجرم الذي شاهدتموه بمنطقة ثقب الهاوية؟

- لقد درس د.عُمر التحليلات الطيفية للأجرام الفضائية التي اصطدم بها ذلك الجرم الغير مرئي، ولقد كانت مطابقة للتحليلات الطيفية المنبعثة من منطقة ثقب الهاوية.

- هل كان يعتقد بأن منطقة ثقب الهاوية عبارة عن جرم سماوي غير مرئي قادم من الفضاء؟

- لم يعتقد، لقد كان موقن بأن تلك حقيقة ويجب اكتشافها.



داخل الثقب

تغيرت ملامح شيخ البستان عندما علم بأمر دخول سمير وعماد إلى البستان بواسطة طريقة علمية قد اكتشفوها، لاحظ الجميع الأمر وبدأ اجتماعهم يتوتر بعض الشيء، الأمر الذي جعل د.عُمر يتدخل ويستأذن من الشيخ أن يصطحب سمير وعماد إلى مكانهم حيث سيبيتون تلك الليلة، فأذن له.

نهض الجميع وألقوا التحية على الشيخ وأمر خادمه بأن يذهب معهم ليوفر لهم ما يحتاجوه في مكان إقامتهم، وهم متجهون للخارج نادى الشيخ على د.عُمر ليتوقف عُمر ويطلب من الخادم أن يرشد سمير وعماد إلى مكان إقامتهم وأنه سيلحق بهم في الطريق بعد أن يُجيب نداء الشيخ.

غادر سمير وعماد كوخ الشيخ واقترب عُمر ليجلس بجانب الشيخ الذي تغيرت ملامحه بعد مغادرتهم وبدى عليه الغضب وهو يتحدث إلى عُمر:

- لقد أخبرتني أنه لا يوجد شخص يعلم طريقة الدخول إلى البستان.

- نعم وكنت صادق معك، لكن يبدو أن ذلك المهندس قد توصل إلى شيء مكنه من الدخول إلى البستان.

- لا يهمني معرفة ذلك، ما يهمني هو حماية قومي والبستان، إن كان أحد يعلم بتلك الطريقة فنحن هالكون لا محالة.

- سأذهب لأتحدث معهم وأعرف كل التفاصيل وسأخبرك بكل شيء.

صمت الشيخ مليا وبدا أنه لا يريد الحديث عن شيء ولكنه تحدث في الأخير:

- لا أعلم لِمَ تذكرت أخي بمجرد رؤيتي لسمير هذا.

سادت علامات الدهشة على وجه عُمر ولم يستطع الإجابة ليكمل الشيخ حديثه:

- لا تشغل بالا، الأهم الآن هو أن تراقبهم جيدا وأن تتخذ قرارا سريعا حيالهم. لقد وافقت على مكوثك هنا أنت وأصدقائك القدامى وقد تحملت ضغوطات كبيرة من أهل البستان بعدما سمحت لكم الدخول لقلب البستان لإجراء تجاربكم، فلا تجعلني أندم على ما فعلته.

- سأحل كل شيء شيخ صالح.

****

بالخارج كان سمير وعماد يسيران خلف خادم الشيخ في طريقهم إلى كوخهم وأثناء سيرهم لمحوا جبلا مخروطيا نحيلا مدببا ممتد لارتفاع شاهق وفي نهايته ظهر شيء أشبه بشعلة مشتعلة لا تنطفئ، كانت هيئته تجذب النظر وتسير التساؤلات وهذا ما لاحظه سمير بمجرد رؤيته فقام بوكز عماد لينظر هو الآخر عليه ويدقق النظر.

ظل سمير يراقب كل شيء بالبستان بتركيز، فأثناء النهار لم يستطع رؤية الشمس وأيضا عندما كسى الظلام المكان لم يستطيعوا تمييز القمر، كما أن الوقت يبدو غير متوافق مع وقتهم الطبيعي، لقد دخلوا

البستان وقد كان الليل مسدل ستائره على دونسيار ولكنهم وجدوا النهار حينها بمجرد دخولهم من النافذة، ولم تمض ساعات معدودة حتى ساد الظلام بداخل البستان، كما أنهم كانوا يحلقون فوق المحيط الأعظم في دونسيار الذي يتميز بماء شديدة الملوحة، لكن الطبيب أحضر لهم ماءا حلو عذبا من البحيرة التي سقطوا بها عند الدخول، وتلك الأطعمة والفواكه الطازجة التي لم يتناولوا مثلها من قبل، و الشيء الأكبر والأهم هو أنه لم يحتج إلى استخدام جهاز استنشاقه وإلى دوائه منذ دخوله إلى البستان، كان يعلم بأن هذا المكان له سر كبير وحينها ازدادت حماسته لاكتشافه.

أكمل عماد وسمير طريقهم وحينها قابلوا فتاة تحمل قفصا به بعض الفاكهة ووقفت عند رؤيتهم ورفعت يدها تحييهم بشكل لطيف فتحدث لها سمير وهو يبتسم لها يحدثها باللغة الدونسيارية:

- مرحبا أيتها الفتاة، هل تضاجعين كل هؤلاء الرجال هنا بمفردك؟

انزعج عماد مما قاله سمير وتغيرت ملامحه فلاحظ سمير ليتحدث إلى عماد:

- ماذا بك؟، إنها لا تفهمنا، كما أنها الفتاة الوحيدة التي رأيناها هنا منذ أتينا في ذلك المكان البغيض.

لم تتغير ملامح عماد وظل مستاءا، فأكمل سمير حديثه للفتاة وهو مبتسم لها:

- كم نحن مستاؤون لرؤيتك أيتها الحقيرة.

ثم نظر إلى عماد الذي تركه وتقدم في السير يحدثه:

- أترى؟، إنها غبية لا تعلم ماذا نقول.

شعر سمير برغبة في قضاء حاجته ولكنه لم يستطع شرح الأمر لذلك الخادم الذي كان يسير أمامهم، فأخذ يلوح له بيديه يوضح له عن بحثه عن أقرب مرحاض في المكان ولكنه لم يفلح في شرح الأمر، توقفوا عن السير وظل سمير يشير للخادم عما يريد فعله ولكن دون جدوى حتى بعد مساعدات عماد في تبسيط الأمر لذلك الخادم، وحينها ظهرت نفس الفتاة من خلف أحد الأكواخ وهي تتحدث إلى الخادم بلغتهم، ففهم الخادم حينها وقام بعدة إشارات بيديه لتتحدث الفتاة إلى سمير:

- يخبرك بأن تدخل بين تلك الشجيرات وتفعل ما يحلو لك.

تسمر كلا من سمير وعماد لتحدث تلك الفتاة للغتهم وسألها عماد في فزع:

- هل تفهمين لغتنا؟

- بالطبع، أنتم قادمون من دونسيار، أنتم أصدقاء د.عُمر؟

- نعم... كيف لك أن تتحدثي اللغة الدونسيارية؟

- لقد عملني د.عُمر ... أدعى چايدا.

تقدمت لتسلم على عماد فسلم عليها ثم توجهت إلى سمير تحدثه:

- أدعى چايدا، ولا، أنا لا أضاجع أحدا هنا.

فزع سمير لما سمعه ولم يستطع الإجابة، فحاول عماد الإجابة عنه:

- نحن آسفون لك، صديقي يحب المزاح، بالطبع لم يكن يقصد ما قاله، أتمنى ألا تكوني غاضبة منا.

- لا، لست غاضبة، كنت أصحح معلومات صديقك، كما أنني لست غبية أيضا.

في ذلك الوقت وصل د.عُمر إليهم ليجد چايدا تقف مع سمير وعماد فأنضم إلى حديثهم قائلا:

- أرى أنكم قد قابلتم چايدا، حفيدة الشيخ.

نظر عماد إلى سمير وقد علما أنهم قد أفسدوا كل شيء قبل أن يبدأ وخصوصا سمير الذي لم يعرف مصيره حتى الآن، كما أن چايدا تعجبت لحديث عُمر حينها وكأنها سمعت شيء غريب وحينها أكمل عُمر حديثه معها بلغتهم الخاصة لتتغير ملامحها أكثر وتغادرهم وهي متوترة قلقة.

نظر عُمر إلى سمير وعماد وهي يحدثهم بعنف:

- لا تتحدثوا إلى غرباء هنا، خاصة النساء، تلك كانت حفيدة الشيخ وقد تتفاقم الأمور إن تم رؤية غرباء يتحدثون إلى فتاة وخصوصا إن كانت من أهل شيخ البستان.

تحرك عُمر وتبعه عماد وسمير وقلبهم يخفق مما حدث منذ قليل، يعلمون إن أخبرت الفتاة عشيرتها بما قاله سمير لها فهم هالكون بالتأكيد.

ظل سمير طوال الطريق ينظر إلى عُمر ويتذكر الفتاة التي اختفت في كوخها وهي مرتعدة مما قاله لها عُمر وحينها علم أن هنالك أسرارا كثيرة يخفيها عنه أستاذه عُمر جيد.

أوصل عُمر كلا من سمير وعماد إلى كوخهم ودلهم على كل ما قد يحتاجونه وطلب منهم أن يرتاحوا وين‍اموا وبعدها سيكملون كلامهم وعما سيفعلونه معهم. توجه سمير إلى عُمر يحدثه:

- لا نريد أن ننام، أريد أن أعرف كل شيء حدث في السبع سنوات الماضية، لقد أخبرنا الطبيب أنه يمكنك مغادرة المكان بسهولة، لِمَ لم تعود مجددا إلى دونسيار د.عُمر؟

- سأخبرك بكل شيء، لكن ليس اليوم، لتناموا وتغلقوا النوافذ لأنه سيمر عليكم أيام وأنتم نائمون.

غادر عُمر الكوخ دون أن يترك لهم مجال لمناقشته أكثر من ذلك، رحل وحينها جلس سمير مع عماد يستكشفون المكان الذي سيبيتون فيه ولكن سمير لم يتمالك نفسه وأخذ يبحث عن مرحاض في الكوخ فهو مازال يحتاج إلى قضاء حاجته، ظلوا يبحثوا ولم يجدوا فأضطر سمير أن يغادر الكوخ ويخرج إلى الخلاء كما أخبره الخادم.

خرج سمير حاملا مشعل في يده وأختار مكان ليدخل فيه بين الشجيرات وحينها بدأ في قضاء حاجته لكنه سمع صوت فحيح في المكان، تسرب الخوف إلى قلبه وظل يدور في المكان باحثا عن مصدر ذلك الصوت وحينها ظهرت له أفعى ضخمة وقفت أمامه مستعدة للهجوم.

تحرك سمير بهدوء للخلف وهو يتابع حركة الأفعى التي تحركت بدورها تتبعه، تذكر سمير حديث الرجال صباحا عندما أخبروه بأن البستان سيتولى أمره، ولاحظ ظهور بعض القردة على أغصان الأشجار وكأنها تشاهد ما يحدث، وكأنه نزال في حلبة وقد تجمعوا لمشاهدته حتى أنهم بدأوا في العويل جميعا وكأنهم يحفزوا الأفعى للهجوم، لم يستطع سمير احتمال الأمر وتملكه الذعر الشديد وحينها استدار بجسده وانطلق راكضا مبتعدا عن المكان وسط صراخ القردة لهروبه.

ظل سمير يركض بين الشجيرات وهو خائف، ابتعد كثيرا عن مكان كوخه وأصبح تائه، لكنه لم يكن ذلك ما يشغل باله فقد كان يشعر بأن الأفعى

مازالت تطارده فظل يركض حتى ظهر له فجأة منحدر فلم يستطع التوقف ولم يتدارك الأمر ليسقط بجسده بشكل عمودي سقوطا حرا حتى ارتطم بغصن شجرة كادت الصدمة أن تفقده وعيه.

سقط المشعل من يد سمير ولم يتبق له سوى الظلام الدامس ولكنه حاول أن يظل مستيقظا وهو مرتعد مما يحدث له، حتى أنه قرر عدم صنع أي حركة حتى لا تودي بحياته فهو لا يعلم ماذا يوجد أسفله، ولكنه أيقن حينها بأن البستان لا يرغب به في البقاء.

مكث سمير على الغصن معلقا في الهواء، إن انكسر فسيهوى إلى حفرة لا يعلم عمقها، وحينها وجد صوت يصدر من تلك الحفرة العميقة أسفله وكأن باب حديدي يفتح، حاول سمير الوصول إلى ذلك الصوت ولكنه لم يرى شيء من الظلام الدامس وما هي إلا لحظات حتى ظهر ضوء صادر من مشعل ناري من الأسفل، ظل سمير يتابع ما يحدث حتى وجد شخصا يحمل المشعل بيده يخرج من فوهة حديدية ثم تبعه شخصان آخران، ما أن خرجوا حتى توجه أحدهم وأغلق الفوهة مجددا خلفه ثم أخفى مكان الفوهة ببعض أوراق الشجر ثم اتجهوا جميعا يصعدون سلما من الحبال القوية صاعدين من داخل الحفرة.

تابعهم سمير وهم يصعدون وحينها بدأت معالمهم تظهر باقترابهم من سطح تلك الحفرة لكنهم لم يكونوا على علم بتواجد سمير بنفس المكان، ما أن اقتربوا من السطح حتى تعرف عليهم سمير، كان سمير يعرفهم جيدا، فلقد كان أولهم د.عُمر جيد وثانيهم د.باهر، أحد العلماء الذين ذهبوا مع د.عُمر في تجربته منذ سبع سنوات، والأخيرة كانت فتاة البستان، چايدا.

٢٠

خارج الثقب

وقف العقيد أشرف هاشم أمام أحد الأبواب وهو متوتر، لقد أرسل مدير الأمن السيادي بمدينة نالة لاستدعائه للحضور إلى مكتبه، تهيأ أشرف وطرق الباب ودخل إلى المكتب.

كان رئيس الجهاز مشغولا بمتابعة بعض الأخبار على التلفاز ومنها كان تسريب خبر تجربة د.سمير والمهندس عماد إلى إحدى الصفحات الإخبارية، لقد قام أحد رجال الأمن في مركز الأبحاث بإرسال معلومات عما حدث إلى إحدى الصحفيات التي صنعت بدورها سبقا صحفيا لدى موقعها الإخباري، كان كل ذلك قبل أن تبلغ د.هند بالأمر ويتولى الأمن السيادي الأمر حينها وتسلك القضية مسارا آخر.

أدار رئيس الجهاز كرسيه ليواجه أشرف متحدثا له:

- أشرف، أنت المسئول عن التحقيقات في قضية مركز أبحاث الكون؟

- نعم سيدي.

- لقد استمعت لجزء من التحقيقات، وكما رأيت فإن الخبر قد انتشر إلى الصحافة، لذا يجب علينا إعداد تقرير واضح عن الحادثة، قد يطلب السيد رئيس الأمن السيادي تحقيقا في الأمر ويجب أن نكون جاهزين حينها.

- سنعد تقريرا كاملا سيكون لدى سيادتك في الحال سيدي.

- جيد، هل انتهيتم من تحقيقاتكم معهم؟

- بشكل كبير نعم سيدي، كانت تلك محاولة فاشلة لد.سمير المشهور بجنونه وأفكاره الشاذة، وقد انضم إليه ذاك المهندس في الأمر، كل ذلك دون علم د.هند مديرة المركز بخططهم تلك.

- حسنا، لتجري تحاليل شاملة عليهم جميعا، نريد معرفة إن كان ذلك العالم مدمن على مخدر ما أم لا، كما أريدك أن تقوم بتحليل فضلاتهم، أريد أن أعرف آخر شيء قد تناولوه لنتأكد من كذب سمير، إن كان هناك لستة أشهر فسيكون طعامه مختلفا عما تناوله في المركز قبل رحيله.

- حسنا سيدي.

- وقبل أن يغادروا لتضعهم في السجن المفتوح، كلا في زنزانة منفصلة وتسجل الحوار الذي سيدور بينهم، وإن لم يكن هنالك شيء يدعو للخوف فلتطلق سراحهم في الصباح وتابع العقوبات التي ستوقع عليهم من الهيئات التابعين لها.

غادر أشرف المكتب وبدء على الفور في تنفيذ أوامر رئيسه، فوضعوا الثلاثة في زنزانات منفصلة مواجهين بعضهم البعض وحينها دار حوار محتدا تم تسجيله بين سمير وعماد وهند.

سمير: هل حقا أخبرتهم بأننا سقطنا في المحيط الأعظم ولم نسقط بداخل الثقب ولم نقابل أحدا بالداخل؟

عماد: نعم، لأن هذا بالفعل ما حدث.

سمير: اللعنة عليك، هل قام بتجنيدك مثلما فعل مع الآخرين؟، هل وعدك بشيء أنا لا أعرفه؟

عماد: أنت مجنون، لقد اختلقت قصة وهمية وتريدنا أن نصدقك جميعا؟

سمير: أيها العاهر، ماذا أخبرك هذا اللعين هناك؟

هند: عن أي شيء تتحدثون؟

سمير: عن عُمر جيد، الهارب اللعين الذي تركنا ويعيش بداخل البستان حرا طليقا.

عماد: لا تصدقي حديثه، تلك كذبة أخرى من أكاذيبه التي يصنعها دائما، لقد أخبرني طوال التخطيط للتجربة أنكِ تدعميننا في كل شيء.

هند: هل فعل ذلك حقا؟

سمير: أيها اللعين، أنا لا أكذب، لقد رأيت بأم عينيك ذلك المكان وشاهدت ما هو قادر على فعله.

نظر سمير إلى هند وهو يحدثها: لقد اكتشفنا أعظم اكتشاف في التاريخ، هنالك عنصر يمكنه تكوين درع حماية، يستطيع حمايتنا من أخطر الأسلحة الفتاكة والتصدي إلى الصواريخ النووية دون أن تسبب أي ضرر لمن بداخلها، عنصر سيحل محل كل عناصر الطاقة المعروفة حاليا، إنه مستقبل العالم الجديد د.هند.

عماد: لا تستمعي له د.هند، إنه يريد أن يكرر تجربته مرة أخرى، كفاك كذبا ولتقل الحقيقة مرة واحدة.

سمير: أصمت أيها الصعلوك، أهكذا ترد على أستاذك؟

هند: لماذا ذكرت اسم عُمر؟، هل عُمر مازال حيا؟

عماد: لا نعرف، نحن لم نقابل أحدا.

سمير: نعم، حي ومازال يقوم بتجاربه الخاصة بصحبة فتاة صغيرة، أعتقد أنها عشيقته.

هند: أنت تكذب يا سمير، أنت تكذب كعادتك دائما.

سمير: أقسم لك أنني لا أكذب، لقد رأيته وتحدثت معه، إنه هناك ويقوم بتجاربه، إنه يخطط لشيء ما خطيرا للغاية، ويجب علينا الحذر منه والاستعداد له.

ثم نظر إلى الكاميرا المعلقة على أحد جوانب الزنزانة وأخذ يصيح:

- أنتم تسجنونني لأنني أبلغكم بشر أسود قادم إليكم، قوى خفية ليست من صنعنا، هؤلاء القابعون خلف ذلك الثقب يمتلكون تقنيات لم تخطر على بال بشر من قبل، إن لم تتحركوا سريعا وتدمروهم فسيخرجون إلينا وحينها لن يردعهم رادع ولن تقدر حتى أسلحتكم الفتاكة على مجابهتهم، سيحتلون الأرض ويبيدوننا جميعا، أنا أحذركم قبل فوات الأوان.



داخل الثقب

كان سمير مازال متشبثا بغصن الشجرة الذي احتضنه طوال فترة الليل، حتى أنه غفى لبعض الوقت وغلبه النعاس ولكنه استيقظ عندما اشتد ضوء النهار فجأة، لم يكن هنالك تدرج بين طلوع النهار وانسدال الليل، يحدث الأمر سريعا دون تمهيد، وكأنك تشعل نور مصباح في غرفة مظلمة فتصبح منيرة في لحظة واحدة. نظر سمير أسفله وقد كان محقا في تخمينه وعدم محاولته التحرك في الظلام، لم يكن هنالك أي شيء أسفله، لقد سقط من على منحدر حاد ولم يكن هنالك أي شيء يحول بينه وبين السقوط لمئات الأمتار في ذلك المنحدر سوى ذلك الغصن، كانت تلك أول علامة جيدة يحصدها سمير من البستان منذ أن وطأت قدماه المكان.

تحرك سمير بحذر شديد ليتسلق عائدا إلى الحافة مجددا، وبالفعل تمكن من العودة وحينها قرر المغادرة والعودة إلى الكوخ حيث ترك عماد هناك ولكنه استدار ليلقي نظرة على تلك الفوهة التي خرج منها عُمر وباهر وچايدا بالأمس، وظل يفكر في تلك الفوهة الحديدية التي تبدو بأنها دخيلة على المكان وعما تحتويه من الداخل والسبب الذي جعلهم يغطون آثارها بعد رحيلهم وذلك المنحدر الذي يحوي شيء غريب بأسفله ولكن لا يمكن اكتشاف معالمه لشدة عمقه. لم يكن الوقت مناسب للاستكشاف لذا قرر سمير العودة للكوخ، على أن يعود مجددا لمعرفة ما يخفيه د.عُمر جيد وأعوانه.

عاد سمير للكوخ بعد عدة عثرات وطرق خاطئة سلكها في طريقه للعودة وعندما دخل وجد عماد يغط في نوم عميق على تلك الحصيرة

الموضوعة على الأرض، فوكزه ليوقظه ليستيقظ عماد وهو ناعس لا يدري ما حدث:

- هل أنت نائم من الأمس؟

- الأمس؟، أعتقد أنه لم تمر سوى بضع ساعات فقط.

- لا، لتنهض، يجب أن نقابل د.عُمر لنرى ماذا سنفعل.

- ألم يقل لنا أننا سننام لعدة أيام؟، لنرتاح إذا حتى تعتاد ساعتنا البيولوجية على ذلك المكان الغريب.

- وهل تنوي المكوث هنا طويلا؟، نحن هنا لاستكشاف المكان ونرى كيفية العودة مجددا.

- حسنا لتتركني أنام يوما آخر وحينها سأستعيد قوتي.

- لتنهض وتهيأ نفسك، سأنتظرك بالخارج.

وقف سمير بالخارج ينتظر عماد الذي خرج سريعا يسأل:

- ملابسهم تلك مريحة للغاية، لِمَ لم تغير ملابسك؟

- لا يهم، هيا لنذهب للبحث عن د.عُمر.

بدأ سمير وعماد في السير في طرقات البستان وسط بعض النظرات المتعجبة وأخرى مستنفرة من أهل البستان، كان الجميع متعجب من سيرهم بمفردهم هكذا دون أن يصطحبهم أحد، لاحظ عماد الأمر فتحدث لسمير بصوت خافت:

- ألا يجب أن نعود وننتظر د.عُمر أن يأتي هو؟

- لا، لننتهي من ذلك الأمر.

كانوا يسيرون لا يعلمون إلى أين يذهبون، حتى وصلوا إلى مكان خالي هادئ لا يوجد به أحد، حينها أيقنوا أنهم قد ضلوا طريقهم، لم يكن هنالك أية معالم سوى أنهم أصبحوا قريبون جدا من سفح ذلك الجبل النحيل الذي رأوه يحمل شعلة متقدة، ظلوا يسيرون حتى أصبحت الشعلة فوق رؤوسهم وحينها ظهر أمامهم أشخاص مسلحون يحملون أسلحة نارية يصيحون بهم بصوت عال ويبدو أنهم على وشك إطلاق النار.

استلقى سمير وعماد على الأرض في الفور ووضعوا أيديهم على رؤوسهم دون أن يطلب أحد منهم ذلك، ولم يفهموا كلمة مما يقال لهم، فقد ظل حاملوا الأسلحة يصيحون بهم بقوة ولكنهم لم يستطيعوا التحدث معهم أو التجاوب مع ما يقولونه، كل ما استطاع سمير قوله حينها:

- عُمر جيد، نريد عُمر جيد، عُمر، عُمر.

ظل سمير وعماد راقدين على التراب لفترة طويلة حتى أتى أحد الأشخاص بحبل مجدول وقام بالجلوس على ظهر كل واحد منهم وقام بتقييد أيديهم وأرجلهم بقوة شديدة كي لا يستطيعوا التحرك أو التخلص من قيودهم، وظلوا هكذا حتى هبط الليل فجأة على المكان وأشعل الرجال المشاعل وظلوا واقفين أمامهم لا يستطيع أي منهم فهم الآخر.

ظن سمير أنهم ينتظرون أحدهم ليبت في أمرهم لذا فهم ملقون على الأرض هكذا حتى يأت هذا الشخص ولكن يبدو أنه أساء الفهم، فلقد مرت الساعات وهم هكذا ولم يعرهم أحد أي اهتمام، حتى أن

الأشخاص المسلحين استمروا في عملهم وكأنهم لم يُلقوا القبض على شخصين منذ ساعات، حينها همس عماد لسمير وهم منبطحون على الأرض يسأله:

- ماذا سيفعلون بنا؟

- لا أعلم.

- هل نخبرهم مجددا بأمر د.عُمر جيد؟

- لا، يبدو أنهم لم يفهمونا أو لا يعرفوه.

مرت ساعات الليل وحينها غلبهم النعاس وهم مقيدون وظلوا هكذا حتى شعروا بحركة حولهم وكأن أشخاص يغادرون المكان الذي هم فيه فاستيقظوا وهم قلقون لما يحدث وظلوا يراقبوا ما يحدث.

كانت هنالك مجموعة من الأشخاص يغادرون المكان وهم يحيون هؤلاء الأشخاص المسلحين وقد تعرف سمير على أحدهم، كان يعرفه جيدا، إنه د.عاصم عالم الجيولوجيا الذي اصطحبه معه د.عُمر جيد في تجربته إلى الثقب، ما أن رأه سمير حتى نادى عليه وهو راقد مقيد على الأرض:

- د.عاصم، أنا سمير، سمير عبد العليم، عالم الفيزياء.

نظر عاصم إلى سمير نظرة اندهاش عندما رأه في تلك الوضعية واقترب منه قليلا ليتعرف عليه فعلا وتتغير معالم وجهه للفرحة وهو يبتسم في وجه سمير:

- سمير، لقد علمت بأنك هنا... ثم صمت للحظة قبل أن يدرك وضعية تلك المحادثة فأكمل... من فعل بك ذلك؟

فأشار سمير إلى الأشخاص المسلحين خلفه بأنهم هم السبب، فنهض عاصم وذهب للحديث معهم ولم يمض الكثير حتى عاد أحدهم مخرجا سكين من جانبه وقام بقطع قيود كلا من سمير وعماد وحينها تقدم عاصم ليساعد سمير على النهوض ليحتضنه بينما نهض عماد بمفرده ينفض التراب عن ملابسه دون أن يلقي حفاوة أو مساعدة من أحد وحينها وقف يستمع للحوار بين سمير وعاصم.

- لقد علمت من د.عُمر أنكم هنا في البستان.

- نعم، نحن هنا منذ ... أيام أعتقد.

- نعم أيام بالبستان، ولكنها دقائق بالأرض.

- كيف ذلك؟

- إنها الجاذبية يا صديقي، د.عُمر بالتأكيد سيشرح الأمر لك، ولكنك هنا في عالم آخر من العلوم الغير مكتشفة.

- هل أنتم مازلتم هنا لإجراء تجارب أم لأنكم لا تستطيعون العودة؟

- لا بالتأكيد كنا سنعود يوما ما، لقد اشتقت إلى دونسيار حقا، كيف أصبحت الآن؟

- جيدة، جيدة يا عاصم ... ماذا كنت تصنع في هذا المكان؟

- أنا أدرس خصائص الأرض هنا، لعلنا نستفيد من عناصرها.

- وما الشيء المهم هنا جعلكم تضعون رجالا مسلحين في تلك المنطقة بالتحديد؟

تلجلج عاصم في الإجابة وهو يرد على سمير:

- هذا الجبل من المعالم الأثرية المهمة لدى أهل البستان، لذا فهم يهتمون كثيرا بحمايته.

- حمايته من من؟

- لا أعلم يا سمير، لِمَ لا تسألهم بنفسك؟...

هنا ظهر صوت الجهاز اللاسلكي الخاص بعاصم وكان صوت د.عمُر جليا مسموعا للجميع:

- " نداء إلى كل العلماء، لقد غادر سمير وزميله مسكنهم وغير معلوم مكان تواجدهم، إن تم العثور عليهم يرجي تبليغي فورا. وبرجاء عدم مشاركتهم أية معلومات تخص البستان".

٢٢

خارج الثقب

كانت د.هند أول المغادرين من مبنى الأمن السيادي بعدما تأكدوا أنها ليست مشتركة معهم فيما فعلوه، غادرت مع توجيه تحذيرات منهم أن تخبرهم إن كانت تنوي السفر أو مغادرة دونسيار في الفترة القادمة لأنهم قد يحتاجون إليها مجددا.

غادرت هند وهي تعلم أنه غير مسموح لها العودة إلى عملها مجددا بعدما أخبروها قبل الذهاب إلى التحقيقات أنه صدر قرار من وزير علوم الفضاء بعزلها من منصبها حتى الانتهاء من التحقيق في الحادثة التي حدثت في مركز أبحاث الكون، لم تشغل هند بالا للأمر، ولم تفكر في شيء سوى أنها استعادت حريتها سريعا وتركت سمير وعماد بالداخل يستكملون التحقيق معهم.

عادت هند إلى منزلها وهي متلهفة لرؤية ابنتها، لقد تركت رسالة إلى جارتها بأن تعتني بها وهي غائبة عن المنزل، جارتها التي أخذت رقم هاتفها مصادفة في إحدى مرات لقاءاتهم العابرة في البناية التي يقطنوها، اضطرت هند إلى طلب مساعدتها عندما رحلت إلى المركز بعدما علمت بالحادث ولم تجد أي شخص يساعدها في الاعتناء بابنتها سلمى. ولكن هند تعلم ابنتها سلمى جيدا، لن تتفاعل مع أحد سواها، لذا أسرعت إلى منزلها لتطمئن على ابنتها بعدما فشلت في الاتصال بجارتها لأن هاتفها كان قد استنفذ شحنه.

وصلت هند إلى منزلها ودخلته وهي تنادي على ابنتها سلمى ولكنه لم تجدها، ظلت تبحث في كل الغرف وأصبحت نبرة صوتها متوترة عصبية خشية أن تكون سلمى قد أصابت نفسها بمكروه.

بعدما فتشت هند كل الغرف والأماكن التي تختبئ بها سلمى وفشلت حينها تذكرت جارتها، لذا ركضت إلى شقة جارتها وطرقت الباب بطريقة عنيفة لتفتح لها جارتها الباب وهي فزعة لتجد أمامها هند بحالتها الرثة وهي تبكي:

- أعتذر لك يا شيرين، ولكن هل شاهدتي سلمى مؤخرا؟

- نعم، إنها بالداخل تلعب مع أولادي.

- تلعب؟، سلمى ابنتي تلعب؟

- نعم، لتدخلي، ستفرح جدا بعودتك، لقد سألتني كثيرا عنك.

دخلت هند وهي تجفف وجهها من الدموع وبدأت تهدأ بعد حديثها مع شيرين وما إن دخلت إلى غرفة الأطفال وشاهدت سلمى أمها حتى نهضت تركض وهي فرحة للغاية تحتضن أمها بقوة وحينها انهالت الدموع مجددا من هند.

هدأ الوضع وجلست هند مع شيرين يحتسون كوبا من الشاي وأمامهم الأطفال يلعبون وظلت هند تنظر إلى ابنتها وهي لا تصدق ما يحدث فنظرت إلى شيرين تحدثها:

- ماذا فعلتي مع سلمى؟، هي لم تتفاعل مع أي شخص منذ سنوات.

- لم أفعل شيء، هي من انضمت للأطفال عندما شعرت بالأمان هنا.

- كيف استطعت أن تأخذيها من المنزل في الأساس.

- أنت من أرسلت لي رسالة للاعتناء بها حتى تعودي.

- أعلم، وأنا ممتنة لك حقا لم فعلتيه، لكنى لم أفكر ولو للحظة أن تترك سلمى المنزل وتأتي معك.

- لقد كنت أعمل كطبيبة نفسية قبل أن أتفرغ لتربية أولادي، أعلم أن سلمى تحتاج عناية خاصة فلقد رأيتها معك من قبل وعلمت أنها مريضة، لذا عندما أرسلت لي الرسالة توجهت إليها ولأصدقك القول كان الأمر صعبا ولكن بمساعدة أولادي رحبت سلمى بالقدوم معنا وهي معنا من الأمس وهي بخير كما ترين.

- لقد مررنا بعشرات الأطباء في كل التخصصات من أجل سلمى وقمنا بتجربة كل شيء، حتى أننا حاولنا ما فعلتيه مع أطفال آخرين ولكننا لم ننجح أبدا، هذا سحر.

- أعتقد بأنني مميزة جدا إذا.

- لأقصى ما تتخيلين، سلمى لم تتعامل مع أحد منذ سنوات. كيف نامت بالأمس؟

- في حضني، لقد أخبرتني بأنها تنام هكذا، وآسفة إن فعلت ذلك بدلا منك ولكنها لم تكن ....

لم تتركها هند لتكمل كلامها فاحتضنتها وبدأت في البكاء بصوت عال، لم تعرف شيرين ماذا تفعل خصوصا مع نظرة أطفالها لهم وهم في ذلك الوضع الغريب، وضعت شيرين يدها على ظهر هند تطبطب عليها لعلها تهدأ وبالفعل بعد لحظات عادت هند وهي تجفف دموعها وتعتذر لشيرين :

- أنا آسفة ولكني سعيدة بما حدث، هذا انجاز.

- أعتقد إذا أن ليست سلمى وحدها من تحبني.

خرجت ضحكة عالية من هند وهي تجيب:

- نعم، بالتأكيد، عذرا مجددا لم اتمالك نفسي.

- لا عليك... يبدو أنك مررت بحدث كبير، إن أردتِ أن تتحدثي معي عن شيء فأنا أريد الاستماع.

- لا، ليس بالأمر الجلل، لقد أوقفوني عن العمل بسبب شخص مجنون قرر أن يقوم برحلة إلى مكان خطر دون أن نعرف، وقامت قوات الأمن بإلقاء القبض علي للتحقيق معي واتهامي بأنني متورطة معه فيما فعل، بالإضافة إلى أنني قد فقدت الاتصال مع ابنتي ذات ال ٢٢ سنة والتي لا تستطيع الذهاب إلى المرحاض أو النوم أو الأكل أو التحدث إلى أحد بدوني، كل ذلك ولا أحد معي يساعدني، هجرني زوجي ولا أستطيع التحدث إلى أقربائي وليس لي أية أصدقاء أستطيع التحدث إليهم. باستثناء ذلك فأنا على ما يرام.

صمتت شيرين لسماعها ذلك الكلام من هند وحينها هي من اقتربت منها لتحتضنها تلك المرة وهي تحدثها:

- أنا صديقتك، لقد أحببتك وأحببت سلمى.

هربت بعض الدموع مجددا من هند وهي تحتضن شيرين وحينها نظرت لها شيرين وهي تحدثها:

- إن احتجت أي شيء فأنا هنا بجانبك.

- أريدك أن تعالجي سلمى، لقد فعلت ما عجز عنه الأطباء الآخرون.

- أنا؟، لا، أنا لم أزاول الطب منذ سنين، لن أفيدك بشيء.

- لتحاولي معها، لقد حاولنا كل شيء، وتم تشخيصها عند أشهر وأنبغ الأطباء ولكن كل مدى تسوء الحالة أكثر ولم نجد حلا لمرضها، سآتي لك بكل الفحوصات والإشاعات وكل تجاربنا السابقة معها، لتساعدينا من فضلك.

- لا أستطيع، لن أفيدكم بشيء ... يمكنني أن أرشدك إلى أحد الأطباء الذي سيعتني بها حقا، هل علمتي سبب المرض؟

- شخصها بعض الأطباء بأنه اختلال جيني تسبب في ذلك، والبعض شخصها بمتلازمة اسبرجر، وآخرون اعتقدوا أن لديها فصام الطفولة، ولكن ورغم محاولاتنا العديدة لعلاجها إلا أن جميعها لم يفلح.

- حسنا أعرف طبيب متخصص لحالتها، إنه أحد أعظم علماء الجينات في العالم، ولن نخسر شيئا من التجربة، ويمكنني أن آتي معكم.

- حسنا.

جلبت شيرين هاتفها لتقوم بحجز لدى ذلك الطبيب، وحينها أجابت السكرتارية لتحدثها شيرين:

- من فضلك أريد حجز موعد لدى د.ماهر مصطفى باسم سلمى

ثم نظرت شيرين إلى هند تحدثها:

- ما هو اسمها كاملا؟

- سلمى عُمر جيد.

٢٣

داخل الثقب

سار د.عاصم مع د.سمير والمهندس عماد حتى وصلا إلى كوخهما ورحل عاصم، لم ينطق أي منهم بكلمة بعدما سمعوا ما قيل عبر جهاز اللاسلكي من د.عُمر جيد. كان الوضع محرج لكلا الطرفين ولكنهم توصلوا لطريقة ما للتواصل، ألا وهو الصمت.

غادر عاصم الكوخ وجلس كلا من سمير وعماد بمفردهم وحينها وجه عماد سؤاله إلى سمير:

- لِمَ طلب د.عُمر منهم ألا يتحدثوا إلينا عن شيء؟

- هذا لأنهم يخفون شيء كبير للغاية ولا يريدوننا أن نعرفه، ولكني لن أكلّ حتى أعرف ماذا يخبئ عُمر جيد عني.

لم يمض الكثير حتى طرق د.عُمر باب الكوخ ودلف إلى الداخل وحينها دار حديث شديد اللهجة بينه وبين سمير، تلك المرة كان أشبه بالتهديد، فلقد أمره د.عُمر بألا يبرح مكانه إلا بإذن، وغير مسموح لهم بمغادرة الكوخ إلا لأضيق الحدود ويكون بمرافقة أحد الأشخاص، حتى أنه عين لهم حراسة خاصة من أهل البستان يقفون أمام الكوخ ليل نهار.

مرت أيام دون أن يبت جديد في أمر سمير وعماد حتى تسرب الملل لهم ولكن لم يكن بيدهم حيلة أخرى، مع مرور الوقت لم يستطع سمير الانتظار فقرر الخروج من الكوخ وممارسة ما يجيده دائما، إيقاع نفسه في المشاكل.

صنع سمير لنفسه فتحة للخروج من الكوخ حيث لا يراها الرجال الذين يحرسونهم، خرج في الليل واتبع الطريق المؤدي إلى المنحدر الذي رأى فيه الفوهة التي خرج منها د.عُمر ود.باهر منذ عدة ليالي، وقف سمير وانتظر خروجهم طويلا، وبعد وقت طويل من الانتظار وجدهم بالفعل يخرجون من الفوهة وحينها حاول سمير التخفي وتتبع خطوات د.باهر الذي اتجه إلى أحد المنازل الموجودة على إحدى التباب المرتفعة في البستان، حينها حفظ سمير الطريق إلى منزل د.باهر وقرر العودة إليه في يوم آخر حتى لا يتم اكتشاف غيابه عن الكوخ.

كان د.باهر عالم فيزياء متميزا، عُين في مركز أبحاث الكون مع سمير، في بداية عملهم سويا ذاع صيت سمير كثيرا لذكائه وأفكاره الجديدة المتطورة بينما كان باهر منطويا خجولا لا يتحدث لأحد، يؤدي عمله المكلف به بكفاءة ودقة كبيرة، كان ملتزما هادئا لا يسبب إزعاجا لأحد، مع مرور الوقت واكتشاف جنون سمير وتهوره، أصبح الجميع يتجهون إلى باهر لإداء العمل وإنجازه وابتعدوا عن سمير الذي ظل مستمر في تجاربه وأفكاره الشاذة، حتى عندما حان وقت إجراء الرحلة الاستكشافية بقيادة د.عُمر جيد، تم اختيار باهر بدلا من سمير حتى لا يصنع شيء يفسد لهم تجربتهم الخاصة.

عاد سمير في اليوم التالي إلى كوخ د.باهر وطرق الباب ففتح له باهر لتتغير ملامحه فجأة ويندهش لرؤية سمير أمامه، حدثه سمير قائلا:

- لقد اشتقت إليك يا صديقي.

لم يجد باهر ما يقوله، بل إنه وجد سمير يدخل إلى الكوخ دون استئذان وهو يمازحه:

- هل أدخل، أم أنك تزوجت من إحدى فتيات تلك الجزيرة؟... لا، لا أعتقد بأنك قد تتزوج أبدا، ستظل بتولا خجولا حتى تموت يا باهر.

شعر باهر ببعض الحرج وأمسك بنظارته يعدل من وضعها وهو ينظر إلى سمير منتظرا منه أن يخبره سبب زيارته إلى كوخه، حينها وقف سمير وهو يحدثه بكل ثقة:

- لقد أرسلني د.عُمر جيد لكي تخبرني بعملي الجديد، سأعمل معكم في المختبر الموجود أسفل المنحدر.

تسمر باهر في مكانه ولم يجد ما يقوله فأكمل سمير:

- ألا تصدقني؟، لقد أخبرني أيضا على سر ذلك الجبل.

فاتسعت عينا باهر أكثر ولم يصدق ما قيل ليكمل سمير:

- لم أنت مندهش هكذا؟، كيف لي أن أعرف أين تعيش، لقد أخبرني د.عُمر أن أتي إليك لتخبرني عن طبيعة العمل هنا، نحن فيزيائيون وسنعمل سويا مجددا أيها البغيض لم لا تبدى لي بعض من الفرحة، أم أنك تخاف على وظيفتك هنا؟

حاول باهر تغيير ملامحه والابتسام إلى سمير ولكنها كانت واضحة أنها مصطنعة للغاية وهنا تحدث للأول مرة وهو متردد:

- أنا سعيد جدا لرؤيتك يا سمير، ولكن د.عُمر حذرنا من التعامل معك، ولم يخبرنا بشيء آخر من حينها.

ضحك سمير وهو يحدث باهر:

- هذا بسبب موقف عابر حدث بيني وبين تلك الفتاة، چايدا، ابنة شيخ البستان، أنت تعلم أني أحب أن أمدح الجمال ولم أكن أعلم أن هذا ممنوع هنا، لكني اعتذرت وقد أصلح د.عُمر كل شيء ولن أكرر الأمر بالتأكيد.

- لكن چايدا ليست ابنة الشيخ صالح.

تغيرت ملامح سمير وحاول تدارك الأمر.

- قد أكون سمعت الاسم خطأ، لكني اعتذرت على ما فعلت وقد سامحوني وإن أردت التأكد فبإمكانك التحدث لد.عُمر عبر جهازك اللاسلكي، أليس معك؟

- نعم معي.

رفع باهر الجهاز ليتحدث به ليقترب منه سمير يحدثه هامسا معاتبا:

- هل أنت لا تصدقني حقا يا باهر؟، هل نسيت من كان من المفترض أن يكون على متن تلك الرحلة التي ستأتي إلى هنا وتبرع بمكانه من أجلك؟، هل نسيت من كان يساعدك دائما في أبحاثك المتوقفة ويجعلك في صفوة العلماء في المركز؟، هل نسيت كل ذلك؟

أنزل باهر الجهاز من يده وبدا أنه متأسف لما كان سيفعله وحينها علم سمير بأن خطته قد بدأت تؤتى ثمارها فأجابه باهر:

- أنا آسف، ولكن أنت تعلم د.عُمر يحب أن نتبع تعليماته بحذافيرها.

- وأنا هنا وفقا لتعليماته، لذا هل نبدأ؟

- حسنا لنبدأ.

- حسنا يا صديقي، لتخبرني كل شيء متعلق بالفيزياء في هذه الأرض العجيبة.

- أولا، نحن لسنا على قطعة من الأرض، نحن هنا بداخل قطعة من الفضاء.

٢٤

خارج الثقب

ظل سمير وعماد في حوزة رجال الأمن السيادي حتى انتهوا من كل تحرياتهم الخاصة، كانت تحاليلهم خالية من أية مواد مخدرة وأيضا كان تحاليل الأطعمة التي تناولوها تثبت أنهم قد تناولوا لحم الدجاج والأرز والكثير من الخضروات وهو ما أثبتته تحريات الأمن بخصوص الوجبات المقدمة في المركز وهي نفس الأطعمة التي وجدوها في تحاليلهم، كما أنهم فحصوا أثار الخدوش التي وجدوها على وجهه وتأكدوا أنها ليست ناجمة من أيادي بشرية. لكنهم لاحظوا أمرا غريبا في سمير، لقد لاحظوا التهاب شديد في جهازه التنفسي وهذا ما وضح تعبه الشديد عند وصوله إلى مكتب التحقيقات وطلب أن يأتوه بدوائه على وجه السرعة، لكنهم لاحظوا أيضا نسبة تتعدى النسب العادية من أشعة جاما تصدر من جسده، تلك الإشعاعات تصدر نتيجة إشعاع نووي أو الاقتراب من مفاعل نووي، لذا كان الأمر مريبا بالنسبة لهم، ذلك الأمر جعلهم يمدون فترة مكوثهم في التحقيقات لوقت أطول حتى يصلوا إلى حقيقة ذلك الأمر.

خضع سمير لفحوصات أكثر ولكنهم لم يصلوا إلى نتيجة حاسمة، البعض وضح أنه من المرجح أنه تعرض لذلك الاشعاع بسبب تعامله المباشر مع مسرع الإلكترونات المتطور الموجود في مركز الأبحاث ولكن بمراجعة سجلات المركز وجد أنه لم يتعامل مع ذلك المسارع منذ شهور كثيرة. حتى سمير عندما سألوه عن إن كان قد تعامل مع أحد العناصر المشعة منذ فترة أنكر الأمر ولم يعطهم أي إجابة قد تساعدهم في تحقيقهم .

في الاخير ظلت التحقيقات مستمرة ولكنها هدأت كثيرا بعدما هدأت الصحافة أيضا ولم يعد هنالك ذكر للحادثة، حينها تم إطلاق سراح سمير وعماد ولكنهم وضعوا سمير تحت المراقبة المستمرة.

خرج الاثنان ولكن حياتهما أصبحت مختلفة تماما، لأنهم بمجرد أن خرجوا تم إبلاغهم بأمر نقلهم من مركز أبحاث الكون وانتهت فترة عملهم به، تم نقل سمير إلى نقطة رصد نائية تبعد مئات الأميال عن المركز، أما عماد فتم إصدار قرار بعودته إلي وزرارة الاتصالات الرقمية مع تقديم شهادة موثقة بسوء السلوك والإهمال الشديد .

لم يستلم سمير وظيفته الجديدة في نقطة الرصد النائية رغم نداءات الاستدعاء الرسمية التي وصلته حتى أنهم هددوه في آخر نداء بأنهم سيضطروا إلى فصله من عمله ولن يتقاضى أي راتب مجددا إن لم ينتظم في عمله الجديد، كل ذلك لم يكن يهم سمير فقد كان يعلم أن الوضع في نقطة الرصد لن يروقه وسيكون هنالك صدامات كثيرة على أي حال فهو لن يجلس مكتوف الأيدي مع أجهزة عفا عليها الزمن وهو يتطلع إلى اكتشافات عظيمة ينسبها لنفسه، لذا لم يكن يجيب على تلك النداءات وأعتبرها كأنها لم ترسل، كل ما كان يرجوه في تلك الفترة هو لقاء أحد الاشخاص المهمين بالنسبة إليه، شخص هو السبب الرئيسي في ذهابه إلى ثقب الهاوية، إنه دكتور يحيى فهيم.

لم يكن هنالك وسيلة تواصل مباشرة بين سمير ود.يحيى، فالأخير هو دائما ما يصل إليه ويتواصل معه، ومنذ حدوث الحادثة الأخيرة لسمير وخروجه من قبضة الأمن السيادي لم يصل منه أي شيء ولم يأتي لزيارته مثلما كان يفعل. لذا ظل سمير منتظرا حتى جاء لقائهم المنتظر.

كان سمير يتناول فطوره في أحد المقاهي عندما مر شخص بجانبه ومرر له ورقة بخفة يد شديدة ليتفاجأ سمير بما حدث وأمسك الورقة المطوية يخفيها بحرص شديد وهو يتطلع في وجوه كل من يجلس بداخل المقهى، يعلم أنها رسالة من د.يحيى، بعض لحظات أخرج الورقة وفتحها أسفل المنضدة ليقرأها بسرعة ليجد بداخلها " أذهب إلى الحمام . أخرج من باب العمال الخلفي. سيارة خضراء قديمة الطراز. أترك هاتفك على المنضدة."

خرج سمير من الباب الخلفي للعمال وقد ترك هاتفه على المنضدة، ألقى نظرة على السيارات المتواجدة حتى وجد سيارة خضراء "ڤان" وبجوارها شخص يبدو من بنيته أنه فرد حماية. تقدم سمير إلى السيارة ففُتح له الباب ليجد سمير د.يحيى على الكرسي الأمامي في انتظاره وبالكرسي الخلفي تواجد شخص آخر نحيل يرتدي معطفا أخفى معالمه تماما ووضع قبعة على رأسه وظل ينظر إلى الأسفل فلم يستطع سمير اكتشاف ملامحه، دلف سمير إلى الكرسي الأمامي بجوار د.يحيى وكاد أن يتحدث ولكن د.يحيى بادره ووضع يده على فمه ليأمره بالصمت فظل الوضع غريبا للحظات حتى نظر د.يحيى إلى الشخص الجالس بالخلف فأومأ الشخص له برأسه، حينها بدء د.يحيى التحدث لسمير:

- حمد لله على سلامتك، لقد تأخرنا عليك بسبب المراقبة التي يفرضونها عليك.

- أعلم، ذاك الرجل في المقهى يرافقني أينما ذهبت.

- حسنا لننتهي من الأمر بسرعة حتى لا ينتبهوا لغيابك، هل معك ما طلبته منك؟

- لا، ليس معي، لكني أحتفظ به في مكان أمين.

بدا الاستياء على محيا د.يحيى ولكنه أجاب سريعا:

- حسنا، سنتواصل معك مجددا لأخذه.

- حسنا، لأنني أريد التحدث إليك أيضا.

- فيم تريد التحدث؟

- لنؤجل الأمر حين نكون بحريتنا.

ثم هم سمير يفتح الباب ليسأله د.يحيى:

- سمير، هل أخذت شيء آخر من هناك؟

- لا ، كما أمرتني، ما طلبته فحسب.

غادر سمير السيارة ليلتفت د.يحيى إلى الخلف حيث يجلس الشخص الآخر الذي لم ينتظر سؤال د.يحيى فتحدثت مصدرة صوتا أنثويا جذاب:

- إنه يكذب، لديه الشريحة، إنه يضعها بداخل إحدى كبسولات دواء الاستنشاق الخاص به.

امتقع وجه د.يحيى لما سمعه وسادت علامة الاندهاش عليه وسأل السيدة:

- لِمَ فعل ذلك؟

- لا أعلم، ليس ذلك فقط، لقد كذب عندما أخبرك بأنه لم يجلب شيء آخر من هناك، أعتقد أن بحوزته شيء ما.

٢٥

داخل الثقب

داخل الكوخ جلس عماد لا يعرف ماذا يفعل، فلقد خرج سمير منذ فترة ولم يعد، خرج متسللا دون أن يستأذن ولا يعلم عماد بماذا يخبر الأشخاص الذين يقومون بحراستهم إذا تم اكتشاف غيابه، لذا كان عماد متوترا منتظرا عودة سمير ولكن توتره ازداد عندما سمع باب الكوخ يُفتح وسمع حديث خارجي بالخارج فوقف عماد متصلبا منتظرا ذلك الضيف الذي أتي لزيارتهم وهو يلقي نظرة إلى الحفرة التي صنعها سمير للهروب من الكهف ونظرة أخرى إلى الشخص القادم حتى ظهرت أمامه چايدا مبتسمة فنسي لوهلة توتره وألقي نظرة مقربة لفتاة البستان، الجميلة چايدا .

كانت چايدا فتاة في بداية العشرينات ذات بشرة بيضاء بملامح أنثوية فاتنة، كان وجهها ممتلئا تتدفق الدماء فيه فجعل خدها أحمرا ورديا، شعرها شديد السواد طويلا تركته ينسدل على ظهرها مع خصلتين متشابكتين على كل جهة، كانت ملامحها غريبة بعض الشيء عن ملامح فتيات ذلك العصر، فرُسمت حواجبها بشكل دقيق عريض بشعر كثيف، وعينان سوداوان بجفون مكحلة ورموش مُنصلة. كانت تقف شامخة كأنها تمتلك ثقة وقوة كبيرة بداخلها، ارتدت فستانا طويلا من الكتان مطرز بحلي صغيرة جميلة ذات ألوان تتلألأ، ما أن دخلت الكوخ حتى انبعث بأرجائه عطر ذكي يسحر الفؤاد.

تقدمت چايدا حيث وقف عماد وقلبه يخفق، كانت ملامحه تفضحه أنه يخفي شيئا ما ولكن ابتسامتها خففت من وطأة الأمر قليلا وبدأت حديثها معه:

- كيف حالك مهندس عماد؟

- بخير، أنا بخير، هل هنالك أمر ما؟

- لا، لقد أتيت للاطمئنان عليكم والتأكد أنكم لا تحتاجون إلى شيء.

- نحن بخير، شكرا لك، نحن في انتظار القرار الذي سيتخذه الشيخ.

- لا تقلقوا، شيخنا رجل طيب عاقل، لن يقصد إيذائكم أبدا.

- شكرا لك، وشكرا على قدومك إلى هنا.

- لم أنت متوتر هكذا، هل هنالك أمر ما؟

- لا، لا، لا يوجد ... لكن د.عُمر أخبرنا بألا نعترض طريقك وألا نتحدث معك حتى لا يغضب الشيخ.

زادت ابتسامة چايدا وضحكت وهي تجيب عماد:

- الكل هنا يهتم بحمايتي وبعضهم يبالغ في الأمر، لكنني أستطيع تدبر أموري جيدا فلا تقلق.

ثم أكملت:

- لقد علمت أنك مهتم بعلم الخوارزميات وأنك متميز جدا بالأمر.

- نعم نوعا ما، هذا هو تخصصي الرئيسي.

- جيد جدا، لأننا لدينا بعض التجارب العلمية المتوقفة على إنشاء بعض الخوارزميات الهندسية، لقد أرسلك القدر لنا.

- هل تقومون بتجارب علمية هنا؟

- نعم، ألم يخبرك د.عُمر بالأمر؟، لدينا هنا معمل علمي نقوم به بإعداد تجاربنا واختبارها. ونحتاج إلى مساعدتك بعدما علمت بأنك من استطعت إنشاء خوارزمية تكشف أوقات فتح نافذة البستان.

- نعم، أنا من انشأتها ولكني حصلت على كل المعلومات العلمية من د.سمير، هو من قام بدراسة كل الظواهر الفيزيائية الخاصة بالثقب وأنا ساعدته فقط على تحليلها بطريقة رياضية.

تغيرت ملامح چايدا بعض الشيء وهي تجيب عماد:

- هذا شيء رائع، إذا د.سمير لديه عقل فذ هو أيضا، يبدو أنه قد بذل مجهود كبير للوصول إلى تلك المعلومات الخاصة بفتح النافذة، هل شاركته البحث منذ البداية؟

- لا، لقد قام هو بالأمور المتعلقة بالفيزياء، وأنا توليت الأمور الرياضية.

- هذا جيد، أنا أيضا أحب الفيزياء، لعلي أضطلع على معادلات د.سمير لأستفيد من علمه، هل لديك تلك المعادلات؟

- لا، لم يعطيني إياها، فقد أعطاني الأرقام التي احتاجها لإعداد الخوارزمية، يمكنك طلبها منه إن أردت.

- نعم سأفعل ذلك، أتعلم، لقد أحببت العلم بسبب د.عُمر، لقد جعلني أتقن اللغة الدونسيارية والآن أنا أساعده في تجاربه التي يجريها، سأطلب منه أن تنضم إلينا قريبا لاستكمال تجاربنا... أم أنك لا ترغب؟

- لا، سأحب ذلك بالتأكيد، ولكن فيم تقومون بالبحث؟

- لا، لا أستطيع أن أخبرك إلا بعد أن أحصل على الموافقة من د.عُمر، بالمناسبة، أين ذهب د.سمير؟

- أعتقد بأنه خرج لقضاء حاجته.

- حسنا، سأغادر وأعود مجددا لاستكمال حديثنا، لقد أحببت الحديث إليك يا عماد.

كانت چايدا في طريقها للخروج من الكوخ ولكنها استدارت لتخبر عماد قائلة:

- عماد، إن أردت أي شيء هنا فلتخبرني وسأوفره لك، وعندما أقول أي شيء فأنا أعني أي شيء.

غادرت چايدا كوخ عماد وما كاد يغلق الباب خلفه حتى وجد يد تمنع الباب من الإغلاق فنظر عماد خلفه ليجد الشيخ صالح يقف على باب الكوخ فانذعر عماد وتسرب الخوف إلى قلبه ووقف صامتا ينظر إلى الشيخ حتى بدأ الشيخ صالح حديثه:

- أريد التحدث إليك في أمر هام.

****

في الجانب الأخر جلس سمير مع باهر أمام منزل الأخير الذي أعد طعام لهم يأكلوه، انتظر سمير على المنضدة الخشبية العتيقة التي تطل على المنحدر الحاد حيث يتواجد منزل باهر، ظهر باهر من داخل الكوخ

وهو يحمل بعض الأطباق الخشبية التي نقشت بحرفية كبيرة، نظر له سمير وهو يحدثه:

- لطالما كنت تحلم بمنزل مثل ذلك يا باهر، منزل على جبل كبير ترى منه كل شيء، أليس كذلك؟

- هل تتذكر ذلك؟، نعم لقد كان ذلك من أحلامي وها أنا قد حققته.

- حسنا، تلك رائحة ذكية، ماذا أعددت لنا؟

- وجبتي المفضلة، بيتزا البيبروني.

- هل يعلمون هنا ماهي البيتزا؟، أنا أكل اللبن والخبز الجاف منذ وصولي إلى هنا.

- هذا لأنك لم تطلب أكلا آخرا، لتطلب منهم وسيأتون به لك، بل الأفضل من ذلك، أنهم سيجلبون لك المكونات والأجهزة الخاصة إن أردت إعداد طعامك بنفسك.

- كيف لهم ذلك، من أين يجلبون كل ذلك في هذا المكان؟

- چايدا ، هي من تلبي كل طلباتنا، تلك التي أخطأت بحقها .. يا لك من سيء الحظ.

-لا تتحدث عن حظي فأنا أعلمه، لكني لم أتعمد أن أتحدث معها بشيء سيء ولم أكن أعلم أنها تعلم اللغة الدونسيارية، وقد تدارك د.عُمر الأمر وأوضح أنها ابنة الشيخ ذاك.

- هي ليست بأبنته ولكنها مقربة منه للغاية ولا يرفض لها طلب، لذا أخبرك د.عُمر بذلك، وفي الحقيقة كنت لأفعل ما فعله د.عُمر معك،

لن يرضى أحد بأن يتم إهانة چايدا بأي حال من الأحول، إنها أميرة البستان، ولكن لأخبرك أمرا، قلبها النقي سيدفعها للعفو عنك عما فعلته.

- دعك من كل ذلك ولتخبرني عما اتفقنا عليه .. ما هذا المكان؟!

- حسنا، ولكن أتمنى ألا تقاطعني حتى انتهي لأنني ما سأقوله لك هو درب من الجنون.

- لن أقاطعك.

- حسنا، نحن هنا بداخل قطعة من الفضاء وقعت على الأرض منذ ملايين السنين، إنها جرم سماوي ولكن ليست كأي جرم سماوي نعرفه، لأننا لا نستطيع رؤيته لنحاول استكشافه، تلك القطعة أتية من مكان يبعد عنا ثلاث شهور ضوئية، إنها آتية من منطقة حزام كايبر أو سحابة أورط، أتعلم أمر تعاقب الليل والنهار هنا، ما هو إلا مصباح يُضيئ تلك القطعة لوقت معين ثم ينطفئ ليسود الظلام، لا تعبر أشعة الشمس أو انعكاسات القمر ذلك المكان، ذلك المكان مُحصّن، إنه يمتص كل الموجات المختلفة ولا يعكس أي منها، لديه غلاف جوي حصين، شفاف لا تستطيع رؤيته ولكنه أقوى من الفولاذ لا تستطيع اختراقه، الجاذبية هنا مختلفة، لا تتأثر بأي شيء حولها، هذا المكان يتأقلم حسب موازينه الخاصة، لديه أسرار لو ظللنا قرونا فلن نستطيع حصرها.

- يبدو أنك فقدت عقلك يا باهر، هل ذلك كلام يخرج من فم عالم فيزياء نابغ؟

- كنت أعلم أنك ستقول لي ذلك.

نهض باهر من جلسته وأمسك بمعلقة في يده وتركها من يده فجأة لتسقط على الطاولة الخشبية لتبدو علامات الاستفهام على وجه سمير، فتحدث باهر:

- تلك الجاذبية الأرضية العادية ... ولكن دعنا نجرب جاذبية ذلك المكان.

وهنا اقترب باهر من المنحدر الحاد وقفز منه.

خفق قلب سمير بشدة وهو ينهض بسرعة ليقترب من المنحدر ليتفحص صديقه الذي هوى بجسده منذ لحظات من على منحدر شاهق، كان سمير يعلم بأنه من المستحيل أن ينجو أحد من تلك القفزة أبدا لكنه رمى ببصره إلى أسفل ليجد باهر يطفو في الهواء تدريجيا حتى اقتربت قدماه من الأرض فأخذ يسير عليها مجددا وكأنه قفز من على درج لا يتعدى السنتيمترات.

نظر باهر إلى سمير بالأعلى وهو يحدثه:

- هيا، هذا دورك يا سمير لتجرب الأمر ولا تخف.

وقف سمير أمام حافة المنحدر وهو يتابع باهر الذي ظل يحثه على القفز ليجرب أمر الجاذبية بنفسه. في الواقع رغب سمير بشدة في تجربة الأمر وكان على مقربة من القفز هو أيضا ولكن تجاربه السيئة وسوء الحظ الذي لازمه منذ أن وطأت قدماه البستان جعلاه يتراجع عن قراره، فقد لا ينطبق الأمر عليه ويسقط صريعا أسفل ذلك المنحدر، لذا قرر عدم المغامرة واكتفى بانتظار باهر أن يصعد المنحدر مجددا ليسأله سمير بمجرد وصوله للأعلى مجددا:

- ما الذي حدث هنا؟، ولا تخبرني أن ذلك طبيعي؟

- بالطبع ليس طبيعيا، لذلك ذلك المكان مميز، هذا المكان يتكيف مع كل شيء بداخله وخصوصا الإنسان، إن شعر بأن هنالك سقوط حر يحدث فإن الجاذبية تقل حتى تصل إلى السُدس، مثل الجاذبية على القمر، لذا فقد بدأت بالسقوط الحر بجاذبية الأرض وعندما شعر البستان بسقوطي بدأت الجاذبية تتلاشي حتى بدوت وأنني أطفو كما شاهدت.

- هذا جنون، كيف لذلك أن يحدث؟

- تلك نقطة واحدة من أصل نقاط كثر، لدينا الكثير من الأمور التي تحتاج إلى تفسيرات علمية ونحن جميعا هنا نقوم بدراستها وعلى رأسنا د.عُمر جيد، هنا يوجد اكتشافات عظيمة ستجعلنا نتطور بطريقة مذهلة، وبما أنك انضممت لنا فأنا أخبرك أنك ستنبهر بدرجة لا يمكن تخيلها.

- لقد أخبرتني أن ذلك المكان هو قطعة من الفضاء، إذا كيف وصلت كل تلك النباتات والحيوانات إلى هنا ونحن وسط المحيط وكل تلك المخلوقات لا تستطيع السباحة لكل تلك المسافة؟

- هذا الأمر يحتاج د.عاصم لشرحه لك، ولكنه بعد دراسة المكان فقد توصل إلى أن هذا المكان موجود منذ أكثر من ٤٠٠ مليون سنة وهذا يعني أنه موجود منذ كانت الأرض عبارة عن قارة واحدة ملتصقة ببعضها تسمي بانجيا وذلك قبل أن تنفصل أجزاء الكرة الأرضية إلى قاراتنا الحالية، لذا فقد كنا متواجدين على اليابسة وحينها استطاعت الحيوانات عبر ملايين السنين أن تجتاز الغلاف بطريقة ما وتتواجد هنا.

- كيف استطاع د.عاصم أن يقيم تلك المدة بدون أجهزته الخاصة؟

- من أخبرك أن تلك الأجهزة ليست هنا؟، بل هنا الأكثر تطورا والأعلى تقنية من تلك التي نعرفها، كلها متواجدة في المعمل الذي أخبرك به د.عُمر. ألم يخبرك به؟

- لا، لا، لقد أخبرني به وأعلم مكانه ولكني لم أدخله بعد، كما أخبرتك إنه يريدك أن ترشدني لأبدأ العمل معك... حسنا، ولكنك لم تخبرني كيف لكم أن تتيقنوا بأن تلك الأرض قادمة من الفضاء وليست تجربة سرية لأحد الدول العظمي؟

- هذا لأننا تحدثنا مع الفضائيين.

- تحدثتم مع فضائيين؟

- نعم، إنهم يبعدون عنا بثلاث شهور ضوئية كما أخبرتك ...عندما وصلنا إلى هنا وجدنا طريقة للدخول لذلك المعمل وحينها وجدنا أجهزة إرسال واستقبال تعمل هناك، في البداية لم نكن نعلم كيفية استخدامها أو ما التقنية التي يستخدموها لأنها كانت متطورة للغاية، لكن د.عُمر وچايدا استطاعوا أن يفكوا شفرة تلك الأجهزة بعدما تعلموا لغة الفضائيين وحينها أصبحت الأمور أكثر سهولة.

- هل تتحدثون للفضائيين بلغتهم؟

- نعم، لقد وضعوا دليلا مبسطا للغتهم على كل جدران المعمل حتى يسهل التعريف بلغتهم، ومنذ ذلك الحين ود.عُمر جيد يراسلهم ويستقبل منهم المعلومات، أينعم الرسالة الواحدة نتلقى ردها بعد ٦ أشهر كاملة بتوقيت دونسيار ولكننا أيقنا أنهم يستطيعون التواصل معنا.

- هل ذلك المعمل وتلك الأجهزة متواجدة منذ ملايين السنين؟

- نعم، هل لك أن تتخيل أن هنالك من لديه تلك الأجهزة والتي اخترعت منذ ملايين السنين ومازالت تعمل بكفاءة؟

- هذا هراء، هذا كذب، لا يمكن لذلك أن يكون صحيح، أعتقد أنكم قد جننتم.

- أعلم ما يدور في رأسك، كلنا كنا مثلك في البداية ولكن دعني أريك شيئا.. (أخرج باهر صورة من جيبه ليريها لسمير)، اتعلم ما أول شيء أرسلته لنا الكائنات الفضائية؟، إنها صورة اللوح الذهبي للمسبار فوياجر١ الذي أطلقته ناسا عام ١٩٧٧، اللوح الذهبي الذي وضع للتواصل مع الكائنات الفضائية والذي يحتوي على تعريف كوكب الأرض ومكانه بين النجوم ، لقد وصل إليهم. اتعلم ماذا يوجد في خلفية تلك الصورة؟، إنه كوكب زحل بحلقاته المميزة، هل تعتقد أن أحد استطاع التقاط صورة لفوياجر١ أثناء مروره بكوكب زحل؟

- هنالك شيء خاطئ، لا يمكن لذلك أن يكون حقيقة.

- نحن هنا لكي نتعرف على كل تلك الاستكشافات العظيمة، هل تظن أننا جئنا هنا بالصدفة، بالتأكيد لا، نحن هنا لسبب ما، لذا يجب علينا استكمال الطريق واكتشاف المزيد، هكذا العلم، لا تنتهي أسراره أبدا.

- لماذا لم تحاولوا العودة ومشاركتنا كل تلك الأمور إذا، هل كنتم تبحثون عن الشهرة والمجد لأنفسكم؟

- ومن أخبرك أننا لم نرسل أبحاثنا إليكم، يقوم د.عُمر جيد بتجميع كل الأبحاث العلمية منّا جميعا ويرسلها مع الطائرة مع كل نافذة تفتح. ألم تكن على علم بذلك الأمر؟، لقد كان يرسلها إلى د.هند وكانت ترسل إلينا تعليماتها دائما.

٢٦

خارج الثقب

مرت أيام وبدأ حينها المهندس عماد الانتظام في عمله الجديد، كان يُعامل فيه معاملة الخائن، فمن يتم فصله أو طرده وإعادته إلى وزارته الرئيسية فهو بالتأكيد قام بفعلة عظيمة لا تُغتفر، لذا فقد ظن جميع من معه أنه خطر عليهم لا يجب أن يتعاملوا معه وإلا وضعوا في دائرة الاتهام أيضا، وقد أيقن عماد من ذلك عندما وجد مكتبه يقع في جانب بعيد ومنطوي عن باقي زملائه، حتى رئيسه بالعمل لم يكن يوجه له مهام تجعله ينخرط معهم فيما يقومون به.

أما في منزله فكان والده ووالدته يساعدونه على قدر ما استطاعوا أن يخرجوه من حالته السيئة التي أصبح بها، لم تكن تلك الأمور تخطر على بال عماد، لم يفكر أبدا بأنه سيصبح مذموما غير مرغوب في وجوده هكذا، لم يرغب أحد في جذب طرف الحديث مع عماد إلا شخص واحد فقط، د.هند، فقد كانت تبحث عن حقيقة ما حدث فعلا في الثمان ساعات التي اختفاها عماد وسمير بالقرب من منطقة ثقب الهاوية.

جلس عماد في منزله ليلا يشاهد التلفاز دون تركيز فلا تمر دقائق إلا وتظهر له ومضات سريعة مما حدث له في الثقب، رجال البستان، الشيخ صالح، د.عُمر، ظل يفكر في الأمر والسر الكبير الذي يخفيه عن الجميع، تذكر كلام الشيخ صالح معه وعما سيحدث للبستان إن تم اكتشاف المكان "لقد تعاهدنا يا عماد يا بني، أنا وأجدادي على حماية البستان بحياتنا. نعلم أننا دخلاء عليه أيضا وليس هو موطننا الأصلي ولكننا وجدنا فيه كل خير يجعلنا نحافظ عليه ونفتديه بدمائنا أمام أي شيء يسعى لهدمه. لذا أريدك أن تستمع لحديثي هذا لما توسمته فيك من

خير، أطلب منك إن رغبت في الرحيل والرجوع إلى دونسيار فإنك لن تخبر أحد بأن هنالك حياة بداخل الثقب، ستكذب حماية لأهل هذا المكان الجميل الذي لم يدنسه غدر وقسوة البشر بعد، إن علموا بإمكانيات ذلك المكان فسيأتون بجيوشهم الجرارة لينهبوا ما في البستان من خير ولن يتركوه إلا وهو أرض بور مقفرة بدون قيمة وسيتخلصون من أهل البستان قبل أي شيء وحينها سيصبح البستان مجرد رقعة أرض ضمن حدود دولة ما، بل وقد تنشب حروب بين شعوب من أجله وبسببه سيموت الأبرياء، لقد اتخذت قرارا بحسن استقبال أي إنسان يصل إلى هنا ولم أبخل عليكم بشيء، ولن أكذب عليك، أنتم أول من علم كيفية الدخول هنا بطريقة علمية مدروسة، أنتم تعدون خطرا على البستان وكان يجب التخلص منكم حتى لا ينكشف سرنا ولكني أمرتهم بعدم التعرض لك، كل ذلك من أجل ألا أنكس بعهدي مع أجدادي، ألا أقتل نفسا مسالمة، لكن في المقابل أطلب منك إخفاء تلك الدراسات التي قمت بها وتحتفظ بها لنفسك وألا تستخدمها مجددا".

كانت تلك الكلمات تتردد مرارا وتكرارا في ذهن عماد وتجعله في حيرة من أمره، قد كانت الأمور لتختلف تماما إن اعترف بوجود حياة خلف الثقب ودلهم على طريقة الدخول وحينها كان من الممكن أن يصبح بطلا قوميا ومكتشفا عظيما ينسب له فضل اكتشاف البستان وما فيه من مصادر لم يعرفها الإنسان من قبل، لكنه اقتنع بحديث شيخ البستان وعلم أن ذلك المكان لن يعود على العالم إلا بالحروب والدمار وقتل شعوب بريئة مسالمة، لذا كان قراره الصمت وتكذيب حديث سمير وإخفاء تلك الخوارزمية حتى لا يستخدمها أحد مجددا وقد فعل ذلك فعلا ولكنه لم يكن يضمن غدر سمير.

خرج عماد من شروده عندما نكزته أمه وهي تصيح به:

- عماد، ماذا بك، هنالك من يريدك بالخارج.

- أنا؟، من يريدني؟

- سيدة، تقول أن اسمها هند وهي جالسة في الخارج بانتظارك.

اندهش عماد عند معرفته أن هند في بيته وتنتظره، لم يكن يعلم سبب مجيئها ولكنه نهض من جلسته وهيأ نفسه لمقابلتها.

توجه عماد لتحية هند ودعاها للجلوس مجددا، كانت هند في حالة مزرية هي أيضا فقد تم إقالتها من منصبها وهي الآن تجلس في المنزل مع ابنتها دون عمل، نظرت هند إلى عماد تبدأ حديثها:

- أعتذر عن قدومي بدون ميعاد مسبق ولكن كان علي مقابلتك وجها لوجه.

- تفضلي د.هند، ماذا تريدي أن تعرفي؟

- حسنا، أعلم أن سمير محترف في الكذب والمراوغة، لقد تعاملت معه لسنين طوال وأعتقد أنني استطيع كشفه إن كان يكذب أم لا، لكنه عندما أخبرني أن عُمر مازال حيا، فإنه لم يكذب، لذا أنا هنا لأسألك وليس لي مغزى أو غرض آخر سوى أن أعرف ... هل عُمر مازال حيا حقا؟

تغيرت ملامح عماد وبدأ يصاب بالتوتر الشديد ولم يُجب على الفور، بل بدا أنه يفكر بداخله عن الإجابة التي سيقولها وحينها أجاب بصوت متلعثم:

- لا أعرف د. هند إن كان حيا أم لا.

- أرجوك يا عماد لتخبرني، لي الحق في معرفة الحقيقة، لا أريد معرفة تفاصيل عما حدث، فقط أريد أن أعرف إن كان عُمر حيا وقابلتموه أم لا؟

- اعتذر منك د.هند ولكني لست من يستطيع إجابتك على ذلك السؤال.

شعرت هند بالخذلان ووضعت رأسها في الأرض وانتظرت للحظات قبل أن تضع يدها في حقيبتها وتخرج منها ورقتين تمررهم لعماد ليفتحهم وهي تخبره:

- أنا لست هنا بصفتي عالمة فلك تبحث عن زميلها، أنا هنا كزوجة وأم تبحث عن زوجها وأبو ابنتها المريضة الذي تركنا ورحل منذ سبع سنوات ولم يعد.

اتسعت عينا عماد وهو يقرأ وثيقة الزواج المعقود بين د.عُمر ود.هند وشهادة ميلاد ابنتهم سلمى عُمر جيد، تلك معلومة جديدة لم يكن يتوقعها أبدا، نهضت هند من مجلسها وهي تستعد للمغادرة قائلة:

- إن أردت التحدث فأنا في انتظارك.

كانت هند في طريقها للمغادرة عندما نهض عماد فجأة وهو يحدث هند:

- هل أنت حقا لا تعلمي إن كان د.عُمر حي أم لا؟

نظرت له هند بكل آسف:

- نعم، لا أعرف، هل تخبرني أنت.

- هذا عكس ما أعلمه، فأنت تعلمين أين هو؟

- عُمر؟، هل هو حي؟

- نعم، وقد أخبرني أنه يرسل إليك كل معلومات البستان وأنك تجيبينه دائما.



٢٧

داخل الثقب

استكمل سمير وباهر حديثهما حول تلك الأشياء العجيبة الموجودة بداخل البستان، ظل باهر يسرد على سمير كل شيء يخطر على باله قد حدث بداخل البستان، لم يستصيغ سمير كل تلك الأمور وظن أن صديقه قد جن عقله.

- هذه الأشياء لا أستطيع تصديقها، قطعة من الفضاء سقطت من الفضاء منذ ملايين السنين وبها العديد من الأجهزة المتطورة؟، لنكن عقلانيين، ما هو مصدر الطاقة الذي لا ينضب والذي يجعل كل تلك الأشياء تعمل لملايين السنين دون توقف؟

نظر باهر إلى سمير وأدار بجسده وهو يرفع بيده ليشير إليه ذلك الجبل ذو الشعلة المضيئة أعلاه.

- هذا هو مصدر الطاقة الذي يمد كل شيء هنا بالطاقة، وأعلم سؤالك القادم ولكن للأسف غير مسموح لنا بدراسة هذا الشيء، إنهم يقومون بحماية ذلك الجبل ولا يسمحون لأحد أن يقترب منه ولا دراسة أي شيء يخصه.

مد سمير يده في جيبه ليخرج مسحوقا بني اللون والذي كان أشبه بالتراب، حين رأى باهر ما في يد سمير حتى ارتجف وظل ينظر يمينه وشماله وهو خائف، ويسأل سمير:

- هل هذا هو العنصر الذي يمد المكان بالطاقة؟

- لتخبرني أنت، هل هو؟

- اللعنة، كيف حصلت عليه، إن رأنا أحد من رجال الشيخ فنحن هالكون.

- لا تخف، إنهم أغبياء كشيخهم، هذا المسحوق يملأ نعال أحذيتهم وقد كانوا يتجولون حولي وأنا مستلقي أمامهم على بطني لفترة طويلة بجوار منطقة الجبل ولم يلحظوا أنني قد حصلت على هذا المسحوق.

- لا، لا يمكن أن نغامر بالأمر، يجب أن نتخلص من ذلك المسحوق حالا.

- ألا تريد أن نجري تجاربنا العلمية على ذلك الشيء؟، أين شغف العلم لديك، هذا هو أهم شيء هنا، إنه أساس كل شيء يا باهر.

- هنالك آلاف الأشياء المسموح لنا باكتشافها عدا هذا الأمر، لن أساعدك في الأمر، وإن علم د.عُمر بذلك فلن يسمح لك بأن تعمل معنا وسيطلب إبعادك عن فريقنا.

- حسنا، أريد أن أخبرك شيئا يا باهر ولكن لا تُسئ فهمي، أنا لم أحصل على موافقة د.عُمر جيد من الأساس.

- ماذا تقصد؟

- لم يطلب مني د.عُمر جيد أن أنضم لفريقكم، وأنا هنا دون أن يخبرني بأن آت إليك، وأنت أخبرتني بكل تلك الأمور التي لا ينبغي علي معرفتها، لذا فأنت ستعاقب معي على ما فعلت.

تجمد باهر في مكانه ولم يجد ما يقوله، يعلم فداحة ما قام به وحينها بدا وأن دموعه ستغلبه وتنهمر بسبب الخديعة التي وقع بها، وحينها أكمل سمير حديثه:

- سأكتم سرنا هذا ولن أفصح عن شيء مما قلته لي، نحن أصدقاء منذ زمن بعيد، لكن في المقابل سأطلب منك طلب بسيط.

ظل باهر صامتا لا يتحدث فأكمل سمير:

- أريد قطعة صحيحة من ذلك العنصر لأعود بها إلى دونسيار.

****

جلس عماد أمام الكوخ بعدما طالت مدة غياب سمير، تعاقب الليل والنهار عدة مرات عليه ولم يعد صديقه الذي أخبره أنه لن يتأخر عليه، أصابه الملل من جلسته تلك حتى أنه كان يفكر في الانطلاق للبحث عن صديقه إلا أن هذين الشخصين المكلفين بمراقبتهم لن يرحموهم إن لم يجدوا أحد بداخل الكوخ، لذا ظل وحيدا حتى وجد أحد الأشخاص قادم إلى الكوخ من بعيد، خفق قلب عماد ووقف مستعدا منتظرا هذا الشخص الذي ظهرت ملامحه شيئا فشيئا وألقى السلام على عماد:

- مرحبا يا عماد، كيف حالك؟

- بخير د.عُمر، أنا بخير وفي انتظار القرار الذي ستصدرونه.

- لا تقلق، المشكلة تكمن في سمير الذي أتى مصابا إلى البستان، أنت لا مشكلة معك، حتى أن چايدا أتت لتخبرني أنك على استعداد للانضمام إلينا في تجاربنا، لقد علمت أنك متميز في الرياضيات المتقدمة، ستكون عونا جيدا لنا.

- شرف لي أن أساعدكم سيدي ولكننا أتينا هنا للبحث عنكم ولم يكن في مخططاتنا أن نمكث لوقت أطول، يمكننا العودة مجددا بعدد أكبر من العلماء لاستكشاف المكان إن أردت.

اقترب عُمر من عماد بشكل مريب مما أثار تعجبه، وتحدث عُمر:

- هل هند هي من أرسلتكم؟

- د.هند؟، لا هي لا تعلم أي شيء عن رحلتنا تلك.

- يمكنك التكلم بحرية لا أحد يسمعنا، لقد أرسلت لها طريقة الدخول هنا وكيفية احتلال المكان، ولكنها لم تنفذ تعليماتي على ما يبدو وأرسلتك أنت وسمير كعناصر استكشاف على ما يبدو.

- سيدي، نحن هنا بسبب د.سمير، هو من أراد البحث عنك، وها قد وجدناك ومن المفترض أن نعود مجددا لدونسيار لإخبارهم أن هنالك مكان به حياة هنا.

- لا، لا، لن نستطيع، الشيخ صالح لن يسمح لنا بذلك، هو يعلم أن ذلك يعني أن البستان سيصبح تحت سيطرة دولة ما وحينها سيتم تهجيرهم وطردهم من البستان، سيقتلنا قبل أن يغادر أحد من هنا، قد يبدو طيبا متسامحا لكنه لن يتسامح في اكتشاف أمرهم... اللعنة، لقد أخبرت هند بكل ذلك في الرسائل المشفرة التي أرسلتها لها، وقد أجابتني بأنها ستتحرك بسرعة كي تأت إلى هنا وفي الأخير ترسل لي بسمير جالب المشاكل.

صمت عماد لم يتحدث فعلم عُمر أنه قد وبخ أستاذ عماد للتو فحاول تدارك الأمر:

- لا تغضب، أنا لا أقصدك أنت، فأنا أعلم سمير منذ سنين طوال وأعلم أنه كذاب ومضلل، يفعل أي شيء في مقابل أن يحصل على ما يريده، لم أرى كذابا مقنعا مثله في حياتي، بالرغم من نبوغه وتفوقه العلمي الشديد، إلا أن أنانيته وحبه لنفسه جعلوه أسوء شخص قد تتعامل معه في حياتك. أتعلم، كان من المفترض أن أخذه معي في رحلتي إلى هنا ولكني فضلت باهر عليه رغم تفوق سمير عليه علميا، لكني لم أكن لأثق به في رحلة كتلك لذا قررت اصطحاب باهر وتركه هو في دونسيار، ولكنه لم يستطع تقبل الأمر على ما يبدو وأتى يبحث عن مجده الشخصي مجددا.

- د.عُمر، أنا لا أعلم شيء عما تخبرني به، ولم ترسلنا د.هند أيضا، ولا أعلم شيء عن رسائلك تلك.

- حسنا، يجب ألا تتحدث مع أحد هنا عما أخبرتك به حتى تأتي هند إلى هنا، أنا متأكد أنها ستصل عما قريب، وحينها يمكننا توفير مكان خاص للشيخ وأهله، لكن هذا المكان يجب أن يكون خاص بالعلماء فقط لا غير، أنا أحاول أن أجعلهم ينخرطون في العلم معي، لم أفلح إلا مع چايدا، هي من تحمست للأمر وقمت بتجنيدها حتى تصبح معنا، لكنها لا تعلم أي شيء عما نخطط له وعن قدوم الجيش إلى هنا لإجلاء أهلها.

- هل كنت تخطط لقدوم جيش دونسيار إلى هنا؟

- حسنا، هذا كلام سري للغاية ولكنك دونسياري وستتفهم الأمر. هذا المكان هو قطعة من الفضاء يحتوي على أسرار وتقنيات تسبقنا بملايين السنين، إن توصلت إحدى الدول إلى تلك التقنيات فستمتلك قيادة العلم ولن يستطيع أحد أن يوقفها، أبسط أمر، هل تعلم أنه هنالك غلاف خارجي شفاف لذلك المكان إن تم قصفه بكل القنابل النووية

الموجودة في العلم لن تحدث به خدشا واحدا؟، وهذا أبسط شيء هنا، وانظر من يتحكم في كل تلك القوى؟، شيخ درويش وجماعته الذين لا يعرفون شيئا سوى الزراعة وبعض الحرف البدائية، لديهم كل هذا وهم لا يقدرون ماذا لديهم.

- معذرة سيدي، هل قلت أننا في قطعة من الفضاء؟

- نعم وأنا على تواصل مع الفضائيين، نحن هنا في مركبة استكشافية أرسلت للأرض لاستكشاف الحياة هنا وقد استطعت أن أستخدم أجهزتهم والتواصل معهم ومعرفة مكان تواجدهم، إنهم على حافة الغلاف الشمسي وعلى بعد ثلاث شهور ضوئية، إنهم في سحابة أورط.

سادت علامات الذهول على وجه عماد الذي لم يصدق ما قيل له للتو:

- سيدي، أنا لا أرى أي شيء غريب هنا سوى جمال الطبيعة وبدائيتها وذلك قد يعود لعدم وصول البشر إلى تلك المنطقة فقط، إنما ما تقوله هذا لا يصدقه أي عاقل.

- هكذا ظننا عندما قدمنا إلى هنا، ولكني أخبرك أننا بداخل مكان فضائي متطور للغاية، هل تساءلت لماذا الجو هنا بارد ومنعش رغم أن الجو في دونسيار شديد الجفاف حاليا، لِمَ الماء نقي للغاية رغم أن حاويات النفط تلقي مخلفاتها في المحيط على مقربة من هنا؟

نهض عُمر وامسك بمشعل النار واقترب من كوخ عماد وبدء في إشعال النار به مما دفع عماد للصياح به:

- ماذا تفعل د.عُمر؟

لم يستمع د.عُمر لصياح عماد وظل يشعل النار في أجزاء عدة في الكوخ وحينها بدأت النيران تزداد وتشتعل ثم فجأة وفي لحظة واحدة انطفأت، ذُهل عماد مما حدث ولم يصدق ما حدث حينها.

جلس د.عُمر مجددا وهو ينظر إلى عماد يحدثه:

- هذا المكان مميز، ويجب علينا حمايته.

تجهم عماد وظل ينظر إلى أثار الحرق الذي خلفته الشعلة ولكن الحريق لم ينتشر لباقي الكوخ حينها، ظل هكذا حتى عاد ببطء يجلس أمام د.عُمر ينظر إليه ويحدثه:

- أنا مشوش، لا أعلم ماذا أصدق.

- لا عليك، كنا جميعا كذلك عندما أتينا هنا، ودعني اؤكد لك ما أخبرتك به، لكن الأهم ألا تفصح عما أخبرتك به طالما لا تعرفون شيئا عن رسائلي مع هند، وبالتأكيد سمير يجب ألا يعرف عن الأمر، لأنني لا أثق به أيضا، هل لي أن أستأمنك على ذلك؟

- نعم بالتأكيد سيدي.

- بالمناسبة، أين سمير؟

تلجلج عماد في الإجابة ولكنهم سمعوا صوت يأتي من خلفهم آت من الكوخ يتحدث:

- أنا هنا د.عُمر، لقد كنت نائم لبعض الوقت.

نظر له عُمر وهو يعلم بأن سمير يكذب كالمعتاد ولكنه لم يدخل معه في جدال فقط نظر إليه واقتضب في حديثه:

- لقد جئت لأبلغك بأن الشيخ أعد اجتماع غدا ليصدر قراره حيالكم.

غادر د.عُمر وهو ينظر لعماد نظرة فاحصة وكأنه يؤكد عليه الاتفاق الذي حدث بينهم، وما أن اختفى عن الأنظار حتى نهض عماد وهو مستاء غاضب من سمير:

- اللعنة، أين كنت كل ذلك الوقت؟

- لقد كنت عند باهر، لقد عرفت كل شيء يحدث في هذا المكان وأصبحنا قريبين جدا من المغادرة.

- هل سنغادر بدون د.عُمر جيد وزملائك؟

- يجب علينا المغادرة بدونهم.

- لماذا؟

- أنظر إلى هذا الشخص كيف يمشي.

نظر عماد إلى حيث أشار سمير، كان يشير إلى د.عُمر وهو يغادر راحلا، فسأله عماد:

- ماذا به؟

- د.عمر كانت لديه إصابة برجله اليمني، كان يعرج دائما وهو يمشي، هل يبدو لك ذلك الرجل بأنه يعرج؟

- ماذا تقصد؟

- أعتقد بأن ذلك الشخص ليس هو د.عُمر جيد.

٢٨

خارج الثقب

عادت هند لتجلس على كرسيها ولم تغادر منزل عماد بعدما أخبرها بأنه يعلم بأن د.عُمر مازال حي، بل زعم عماد بأن د.عُمر على تواصل معها ويرسل لها كل الاكتشافات العلمية والأبحاث التي يجرونها داخل البستان بشكل دوري. كان الحوار بين هند وعماد معقدا بعض الشيء، فهي تريد معلومات أكثر وأن يحدثها عماد عن د.عُمر وحياته بعد اختفائه، أما عماد فكان يريد اعتراف من هند أنها تعلم أن د.عُمر يراسلها كل تلك السنوات وكان الأمر سريا وأنها لن تفصح عن شيء يخص ذلك الأمر، لذا كان الحوار بينهم صعب، فكان يجب على أحدهم أن يعترف بكذبه وتغييره للحقائق ولكن ذلك لم يحدث.

استمرت هند في إلقاء الأسئلة على عماد ولكنه لم يترك لها مجال لتنفرد بأسئلتها فوجه لها عدد من الأسئلة هو أيضا، وازداد الأمر صعوبة بعدما بدأ عماد يخرج عن شعوره ويتملكه الغضب وأخذ يصيح في هند:

- لم لا يوجد شخص واحد يقول الحقيقة؟، هل أصبح الصدق سلعة نادرة؟، كل من يتحدث عن الأمر يتلو أكاذيب، لم أعد أعلم من الصادق ومن الكاذب، هل أصدق د.عُمر وأكذبك، هل أصدق سمير - رغم كذبه الدائم - في رغبته في عودة أستاذه وهو لم يطرح عليه الموضوع من الأصل ونحن هناك، بل إنه كان يرغب في ترك د.عُمر في البستان في نهاية المطاف، هل أصدق چايدا ومعاملتها الحسنة معنا أم أنها كانت تريد شيء آخر منا؟، أنا لا أعلم حقا من أصدق الآن.

شعرت هند بأن عماد بدأ يدخل في حالة صدمة وهو يكمل حديثه:

- لقد عرضت حياتي للخطر من أجل لا شيء، لا يخصني سمير وما فعله، لقد ساعدته فقط من باب الفضول العلمي، لم أكن أعرف من هو عُمر جيد من الأصل، فقدت وظيفتي وحياتي فقط لمجرد أن أحفظ سرا ولا أعلم إن كان ذلك حقيقيا أم مجرد كذبة أخرى، أعتقد بأنني أكثر شخص ساذج بالكون، كل من أراد استغلالي مرحب به، تريدين استكمال اللعبة، لا ، لن أنصاع إليك، لن أقع في نفس الأمر مجددا، كفاكم كذبا.

اقتربت هند منه وهي تعلم أنه فقد رباطة جأشه:

- عماد، آسفة لم حدث لك، ولكني أخبرك أنني لست على علم بأي شيء فعلتموه بداية من تخطيطكم للذهاب إلي الثقب، حتى عودتكم إلى دونسيار، لم أكن جزءا من خطتكم لكنني تحملت خطائكم في النهاية، هل تعلم ماذا كُتب في تقرير عزلي عن العمل؟، " غير قادرة على السيطرة على بيئة العمل"، لكني غير مهتمة الآن بذلك لقد أغلقت تلك الصفحة، أنا هنا أبحث عن إجابة واحدة، هل زوجي حي؟

نظر لها عماد بآسف وهو يجيب:

- نعم، وأخبرني بأنها يراسلك دوما.

- سحقا لما يقوله، لقد أخبرني أنه سيعود من تلك الرحلة سريعا، لقد أخبرني أنه سيهتم بنا وابنته ولم يفعل، لقد أخبرني أنه لن يتركنا بمفردنا مجددا، أتعلم ماذا حصلت منه في النهاية؟، أنني لا أعلم هل هو حي أم ميت، هل أعتمد على نفسي فقط في تربية وعلاج ابنتنا الوحيدة أم انتظر مساعدته، هل تظن أنني كنت أرغب في رحيله إلى الثقب؟، لقد فعلت كل شيء ممكن حتى أجعله يعدل عن الأمر لكنني لم أنجح، عُمر جيد هو عُمر جيد، لقد ساعدته بكل ما أوتيت من قوة حتى لا يلقى حتفه هناك ويعود إلينا مجددا بعدما أيقنت أنه مقدم على فعل ما

سيفعله، والخطأ ليس عليه لطالما كان العلم هو حبه الأول والأخير، كنت أظن أنني يمكنني تغيير ذلك لكني لم أستطع، أنا هنا سيدة يائسة بائسة تتمسك بشعرة أمل ولست هنا كي أكذب عليك.

اعتدل عماد في جلسته بعدما رأى بعض الدموع تهرب من هند فحدثها بصوت متأدب تلك المرة:

- إن لم يكن يرسل إليك شيئا فأين كانت تذهب كل تلك الأبحاث؟

- لا أعلم، لا أعلم ماذا يحدث بالداخل.

- هنالك أمور غامضة كثيرة نحتاج إلى كشفها، ولكن د.عُمر يظن بأنك تراسلينه، هذا ما أنا على يقين منه، أعتقد أن هناك أحد آخر تصل له تلك الرسائل.

- من قد يصله تلك الرسائل ويعترضها، بل يقوم بالإجابة نيابة عني!

- شخص له مصلحة بأن يظل د.عُمر بالداخل ويكمل أبحاثه ولا يعود إلا بعد انتهائه من شيء ما لا نعرفه.

- أنا لا أفهم، ماذا تقصد؟

- لقد أعطاني د.سمير بعض البيانات الخاصة بالثقب وطلب مني صنع خوارزمية تكشف ميعاد فتح الثقب، وهي السبب في دخولنا إلى الثقب. كانت البيانات تحتوي على ثابت عددي لم أره من قبل وقمت بالبحث عنه لم أجده متعارف عليه من قبل، لقد أعطاني قيمته ولكنه رفض إخباري طريقة حسابه، اعتقدت بأنه لا يريدني أن أعرف ما توصل إليه، كنت أضع الثابت في معادلات خاصة ومنها ظهرت النتيجة المثالية، هل توصلتم أنت ود.عُمر أثناء بحثكم إلى ذلك الثابت الرقمي؟

- لا، لم يكن هنالك أي ثابت رقمي غريب في تجربتنا، كما أنني قد بحثت فيما فعله سمير عندما أبلغني بنيته الذهاب للثقب ولم أعثر على ما تقوله ذلك، يبدو أنه قد محى كل البيانات الخاصة بتجربتكم.

- حسنا، هل تظني أن سمير قد يصل إلى ذلك الثابت قبل د.عُمر وقبلك؟

- لا أعلم، لكن عُمر كان عقل فذا، لا أظن أن يصل سمير إلى شي لم يكن عُمر ليصل له.

- حسنا، أنا أظن أن هنالك من أرسل سمير ليقوم برحلته إلى الثقب وأمده بكل تلك البيانات.

- من أجل ماذا؟

- من أجل الحصول على عنصر الجاردينيوم؟

- جاردينيوم؟، لا يوجد عنصر يسمى جاردينيوم.

- هذا لأنه عنصر فضائي، وجدناه بداخل الثقب، اسماه سمير بذلك نسبة إلى البستان، هكذا يسمون الثقب بالداخل، يسمونه البستان.

- ماذا يفعل عنصر الجاردينيوم إذا ليخاطر الإنسان بحياته من أجله؟

- إنه عنصر فضائي، كل البستان قادم من الفضاء، لكن الجاردينيوم لديه القدرة على خلق هالة كبيرة من الطاقة القابلة للتشكل، لم نكن نستطيع الدخول إلى الثقب بسبب الغلاف الجوي المستخدم هنالك، لأنه مصنوع من الجاردينيوم، غلاف شفاف ولكنه أصلب من أقوى

المعادن صلابة، لا يمكنك المرور منه إلا بشروط خاصة، حاول سمير طوال مكوثنا داخل البستان أن يقوم بدراسة ذلك العنصر لكن أهل البستان كانوا يرفضون ذلك دائما، كان كل اهتمام سمير منصب على جلب ذلك العنصر والعودة به إلى دونسيار لإجراء المزيد من التجارب عليه.

- من هي چايدا، وثانيا أنتم لم تمكثوا هنالك سوى ثمان ساعات فقط، كيف لكم أن تفعلوا كل ذلك؟

- تلك ميزة أخرى في البستان، الوقت هناك مختلف تماما عن وقتنا هنا، نعم مكثنا ثمان ساعات بتوقيت دونسيار لكنهم ستة أشهر بداخل البستان.

- هذا جنون، لا يمكن لذلك أن يحدث، هذا مخالف للعلم.

- هنالك علوم مختلفة تماما عما نعلمها، لكني الآن أحاول تجميع المعلومات ببعضها البعض.

- ماذا تظن إذا؟

- أعتقد بأن هنالك منظمة تعلم بالبستان وإمكانياته، استخدمت سمير وأنا معه ليذهب لسرقة ذلك العنصر من أجل إجراء تجارب ما.

- اللعنة، هل ذلك ممكن؟ ،لا ، لم يكن حينها سيقوم سمير بالاعتراف بما فعله للأمن السيادي، كان سينكر أن هنالك حياة في الثقب وينكر كل ما حدث.

في تلك اللحظة صمتت هند عن الحديث واتسعت عيناها وهي تنظر إلى عماد برعب شديد، وحينها اتخذت قرارها بالركض خارج المنزل تاركة حقيبتها ومتعلقاتها الشخصية.

٢٩

داخل الثقب

اجتمع كل من في البستان أمام بيت الشيخ صالح في انتظار إصدار القرار بشأن كلا من سمير وعماد، كان الجميع يقف في تأهب منتظرين القرار النهائي، فالكل يعلم أن سمير كان مصابا لذا كانوا يشعرون أنه فأل سيء على البستان ويجب التخلص منه أو طرده.

لم تطل المدة كثيرا حينها خرج الشيخ من كوخه وخلفه كانت چايدا تساعده على الحركة، ما أن رفع الشيخ يده حتى خرجت بعض الصيحات من رجال البستان يرحبون بقدومه ويهللون لظهوره، بادلهم الشيخ التحية وأمرهم بالجلوس فأسرع الجميع يجلسون على الأرض منتظرين الشيخ أن يبدأ حديثه:

- لطالما كنا محبين للسلام ونسعى لنشره هنا، المحبة والتسامح هي صفاتنا وعادتنا، نحب الجميع ونقّوم من يحيد عن ذلك، لا نؤمن بالخرافات وإن حدثت، نظن الخير في الجميع حتى يظهروا عكس ذلك، هكذا تعلمت من أجدادي وهكذا توارثها أجدادي من أجدادهم الآخرين، لذا فنحن نرحب بكل من أتى إلى وطننا طالما لا يريدون شرا لنا، بستاننا يسع كل من أتى ومن سيأتي، سنوفر له طعاما حتى لو من طعامنا ومسكن أفضل من مسكننا، هم ضيوفنا هنا حتى يغادروا، وإن أرادوا البقاء والتقلد بعاداتنا وقيمنا فأهلا بهم وهم منّا ونحن منهم، لذا فإن هذين الشابين هم ضيوفنا ومرحب بهم في المكان وحلت عليهم بركتنا، فساعدوهم ولا تدعوا الخرافات تقودكم إلى شيء مكروه، هم إخوتكم فارشدوهم إلى كل شيء جيد في البستان، وهم عليهم اتخاذ قرارهم بالبقاء أو الرحيل.

أنهى الشيخ حديثه لينهض الجميع مجددا لتنطلق الصيحات ويبدأ سكان البستان في الركض على سمير وعلي لحملهم والطواف بهم احتفالا بهم، لولا وجود الطبيب بجوارهم يترجم لهم ما يقوله الشيخ لظنوا بالتأكيد بأنهم يحملوهم ليقوموا بقتلهم ولكن سرعان ما اكتشفوا بأن تلك هي تقاليدهم وأنهم يفعلون ذلك بهم سعادة للانضمام إليهم في البستان.

ظل الأشخاص يطوفون بهم لفترة حتى تم إطلاق بوق ذو صوت معين وحينها زادت التهاليل والصيحات، كان ذلك صوت يشير إلى بدء مأدبة الطعام التي أقامها الشيخ لكل من في البستان، في لحظات قليلة وجد سمير وعماد أنهم وحيدون وقد غادرهم الجميع للحاق بالطعام، تقدمت چايدا وهي مبتسمة إليهم وهي تحدثهم:

- مبارك عليكم، أنتم الآن ضيوفنا وبإمكانكم التجول كيفما شئتما في البستان.

رد عليها سمير:

- لما أنت هنا؟، من فضلك لتغادري لا نريد الوقوع في مشاكل أخرى.

- لِمَ قد أفعل ذلك، لم أقم بالإبلاغ عما قلته سابقا، وإن كنت فعلت فحينها كانت الأمور ستختلف ولن تكونوا واقفين هنا معنا نحتفل بكم.

تدخل عماد سريعا في الحديث:

- ونحن نقدر لك ذلك يا چايدا، ذلك كان أمر غير مقصود ونحن آسفون على ذلك.

أكملت چايدا وهي تقترب من سمير توجه حديثها لسمير:

- أعلم أنك مختلف عن الباقين، أرى ذلك، لذا سنحاول جاهدين أن نتعرف عليك بشكل أفضل.

أجابها سمير بصوت جاف خشن:

- نريد المغادرة، ذلك هو قرارنا.

نظر عماد إلى سمير متعجبا وكأنه مندهشا لما قاله، حينها سألته چايدا:

- لماذا تريد المغادرة، لتنتظر قليلا، أنت لم ترى روعة البستان بعد، يمكنك الانضمام لفرق البحث العلمي معنا أيضا، هنالك ستكتشف العديد والعديد من الأمور العلمية المتطورة للغاية.

- لا، لا أريد أن أمكث هنا، لقد قال شيخكم أن باستطاعتنا الرحيل، هل ستقومين بإيقاعي في مشكلة أخرى كي أمكث هنا؟

- لا، لن أفعل ذلك، أنت حر فيما ستقرره ولكن أعتقد بأن عماد لم يقرر بعد.

- ليس لك شأن بعماد، أتينا سويا وسنغادر سويا.

رحلت چايدا وهي مستاءة من طريقة تعامل سمير معها وحينها نظر عماد إلى سمير يحدثه:

- لماذا تحدثت معها هكذا، لقد أنقذت حياتنا ولم تخبرهم بما قلته، ولِمَ أخبرتها أننا سنغادر؟، نحن لم نتخذ قرارنا بعد.

- هل تريد البقاء؟

- لم أتخذ قراري بعد، وأنت ألم تأت من أجل د.عُمر؟، هل ستتركه وتغادر؟

في ذلك الوقت لمح سمير باهر يتجول في المكان وهو يبدو عليه الهم فقام بالتحرك وهو يجيب عماد:

- سنتحدث بالأمر فيما بعد، سألقاك بالكوخ بعد قليل.

رحل سمير وترك عماد وحيدا ليذهب إلى باهر الذي ارتعد لرؤية سمير، فنظر له سمير متجهما وهو يحدثه:

- هل أنت كذلك منذ لقائنا الأخير؟، سيكشفونك على الفور أيها الغبي.

- أنا لم أغادر منزلي منذ لقائنا، لقد أتيت الآن لأخبرك أنني لن أساعدك في أي شيء، وسأخبر د.عُمر بكل شيء وما فعلته معي.

- حسنا، جيد أنك لم تخبره، لقد أصبحت حرا هنا وقد أخبرتني تلك العاهرة چايدا بأنني يمكنني الانضمام إليكم في تجاربكم، لذا فليس عليك ذنب، كنت سأعرف كل شيء أجلا أم عاجلا.

- هل عرضت عليك چايدا ذلك حقا؟، أم أنك تكذب علي مجددا؟

- عندما ننتهي هنا يمكنك الذهاب لسؤالها، لن أمنعك، لكن الآن أريدك في الأمر الأخر. هل استطعت الحصول على تلك المادة؟

- لا، ولن أفعل ذلك، يكفي ما حدث يا سمير، ذلك الأمر سيؤدي لمقتلنا فلتنس الأمر بالله عليك.

- لا لن أنساه، وستساعدني في الأمر.

لمح سمير چايدا وسط الحشد وهي تتحدث وتبتسم لهم في ذلك الاجتماع فنادى عليها:

- چايدا.

فنظرت له چايدا عن بعد ووجهت تركيزها له فسألها سمير:

- متى أستطيع الانضمام إليكم في تلك التجارب العلمية التي تجرونها؟

- اليوم إن أردت د.سمير.

نظر سمير إلى باهر وهو يغادر متوجها إلى مأدبة الطعام وأخبره:

- لتكن هناك لأننا سنقوم باكتشاف ذلك العنصر الفضائي اليوم.

في ذلك اليوم استطاعت چايدا أن تُدخل كلا من سمير وعماد إلى المعمل المتطور الموجود في البستان، لم يرغب د.عُمر في البداية أن ينضم سمير إليهم لأنه كان يعلم بأن شخصيته لن تتغير وحينها سيصبح مصدر قلق لهم، لكن چايدا كانت لها طرقها الخاصة في الإقناع وبالفعل حصل كلا من سمير وعماد على أماكن لهم وسط ذلك الصرح الذي جعلهم ينظرون إليه نظرة إعجاب في كل يوم تطأ قدمهما فيه.

اصطحبت چايدا كلا من سمير وعماد بجولة داخل المعمل، كان المعمل عبارة عن عدة طوابق سفلية ممتدة تحت الأرض، كل طابق يحتوي على أجهزة متطورة للغاية لكل مجال، كان علم الفلك هو أول طابق في المبنى وفيه كان عمل د.عُمر جيد ومنه يتم التواصل مع

الكائنات الفضائية، والطابق الذي يليه كان خاص بعلم الفيزياء حيث كان يعمل باهر والتحق به سمير فيما بعد، ثم بعد ذلك طابق المهندسين، ثم توالت الطوابق فكان طابق علماء الجيولوجيا حيث كان يتواجد د.عاصم في الطابق العاشر. وامتدت الطوابق لعدد كبير للأسفل وكان لكل طابق عالمه الخاص به.

كان عماد مذهولا بما يراه فهو لم يرى شيء كهذا طوال حياته، كانت أيامه الأولى مقتصرة على متابعة ما يحدث حوله، لقد اصطحبته چايدا في جولة سريعة لتريه المكان وما يفعلونه به، كان كل شيء مبهم بالنسبة لعماد، فكل الأجهزة ليست كمثيلاتها التي صنعها الانسان، يبدو استخدامها مماثل لما صنعه البشر ولكنها مختلفة تماما في طريق عملها، فهذا التلسكوب الذي ينظر به د.عُمر إلى العالم الخارجي لم يكن سوى فوهة صغيرة ينظر من خلالها ليري الفضاء السحيق، لم يستطع اكتشاف التقنية التي يعمل بها ولكنه بواسطته قام باكتشافات عدة تفوق ما قد توصل إليه البشر لمئات السنين.

توالت الأيام عليهم في البستان وحينها وجدوا شيء جديدا محمسا كل يوم حتى أنهم نسوا أمر المغادرة ولم يذكروه مجددا، كانوا أغلب وقتهم بداخل المعمل وحين يغادروه ويعودوا للكوخ يتحدثون عما اكتشفوه ووجدوه في ذلك اليوم، كل شيء كان يسير على ما يرام عدا سمير الذي كلما خلى بنفسه حتى تذكر ذلك العنصر الذي حذره الجميع منه ألا يقترب منه أبدا.

كانت چايدا تتولى أمر تعليم عماد كل شيء بالمعمل واهتمت به كثيرا، حتى أنها قامت بتعليمه بعضا من كلمات لغة البستان بالإضافة لتعريفة كيفية فك شفرة لغة الفضائيين المنتشرة على جدران المعمل وكُتبت بها إرشادات العمل على كل الأجهزة.

أما سمير فقد انطلق مع د.باهر يحاول تطويعه معه لإجراء تجاربهم الغير شريعة، كان سمير في حديثه مع باهر دائما ما يحاول فتح الأمر مجددا معه ويدفعه إلى الاقتناع أن يقوموا بدراسة ذلك العنصر ومعرفة أسراره. كان باهر في البداية يبدي رفضه القاطع والحاسم في الأمر ولكن سمير كان لديه طرقه الملتوية وخططه البديلة للحصول على ما يريد وبالفعل مع عدة استجوابات لباهر وباقي زملائهم العلماء وبعض المراقبات الخاصة التي قام بها دون معرفة أحد علم طريقة معينة للدخول إلى المعمل دون أن يكون عليه رقيب، فأعد خطته واستعد للأمر واستغل أحد الأيام عندما انتهى العمل بداخل المعمل ورحل الجميع ثم عاد هو بمفرده ولديه خطته الخاصة.

دخل سمير من فوهة المعمل وأخذ يهبط إلى الطوابق السفلية حتى وصل إلى آخر طابق بالمعمل، كانت يحتاج إلى كلمة سر معينة، أخرج ورقة من جيبه قد أخفاها جيدا منذ وصوله إلى البستان، قام بوضع كلمة السر لينفتح الباب ويهبط سمير الدرج ليتجه إلى مكان معين يفتحه ويخرج منه حقيبة صغيرة بحجم كف اليد من الكتان، فتحها سمير ليجد بداخلها شريحة رقيقة صُنعت من عنصر الجاردينيوم ومسحوق لونه أبيض وضع في علبة صغيرة، كان سمير يضطلع على محتويات الحقيبة في يده حينما سمع صوت آت من خلفه يحدثه:

- كنت أعلم أنك أتيت للبستان لسبب ما.

خفق قلب سمير بشدة وهو يعلم جيدا من صاحب ذلك الصوت، فأدار وجهه وهو يخفي الشريحة بجيبه لتكمل چايدا:

- كنت أعلم بأنك لم تتوصل لإحداثيات الدخول إلى البستان بنفسك، هنالك من أعطاك إياها لتأت إلى هنا.

- أنتِ تراقبنني إذا!

- لست في حاجة إلى مراقبتك، أعلم كل شيء يحدث هنا، ألم يخبرك ذلك من أرسلك لسرقة الشريحة؟

- لم يرسلني أحد لسرقة شيء، أنا هنا عالم فيزيائي أحاول الدفاع عن بلدي ضد من يقوم بتلك التجارب التي من شأنها أن تضر العالم.

- أنت تكذب. لقد أرسلتك چودل هنا من أجل الشريحة، هل هي تحتضر من دونها؟

- من چودل هذه؟

- أنت لا تكذب. هي لم تخبرك عن حقيقتها أليس كذلك؟

- لتصمتي، أنا مغادر، لدي عمل في المعمل.

- لن تغادر حتى تعيد ما أخذته، لن تغادر البستان وتلك الشريحة معك.

- ليس معي أي شيء، ولتتنحي جانبا حتى لا يتهموني بالتحرش بك تلك المرة.

- الشريحة موجودة في جيبك الخلفي الأيمن، لا تكذب علي لأنني أعرف، ولديك مسحوق الخروج أيضا. لقد أعطتك سيدتك الخطة الكاملة لسرقة الشريحة. لِمَ لم تأت هي بنفسها لأخذها؟، لتخرج الشريحة وتعطيني إياها وإلا جلبت الأمن وحينها سيكون الأمر مختلفا، أمامك فرصة لتنجُ بحياتك.

- من أنت لتتحدثي معي هكذا؟

مدت چايدا يدها أمامها طالبة من سمير أن يخرج الكبسولة من يده لكنه رفض وبدأ في إكمال طريقه للخروج وهو على عجلة من أمره فأخرجت چايدا الجهاز اللاسلكي من يدها لتتحدث إلى الأمن فإذا بسمير يمد يده يضرب الجهاز بالأرض ليسقط قبل أن تتحدث چايدا به وتوعدها:

- يبدو أنك لن ترحلي حية من هنا.

- لتعطني الشريحة ولنرحل كلانا دون أية مشاكل ولن أذكر أي شيء لهم.

- أنت حالمة، سأغادر ولن يستطيع أحد إيقافي.

حينها أخرجت چايدا سكينا من بين طيات ملابسها ووجهته إلى سمير قائلة:

- لن تغادر بتلك الشريحة أبدا.

- لتحاولي إيقافي اذا.

حينها انطلقت چايدا مسرعة في اتجاه سمير محاولة إصابته بالسكين ولكنه تفادى تلك الضربة وعيناه مندهشتان مما تفعله چايدا وحينها تحولت تعابير وجهه للغضب وهو ينطلق نحوها ينزع السكين من يدها ويأخذه ويتجه إلى الخارج ولكن چايدا لم تتركه فقامت بالقفز على ظهره وهي تخدش وجهه بأظافرها فتألم سمير لما حدث له وحاول التخلص من أظافرها واستدار بوجهه ليواجهّا وهو يحمل السكين في يده يحدث چايدا قائلا:

- لتتركيني أرحل وإلا قتلتك.

- يجب عليك قتلي حقا.

وسارعت چايدا إلى الانقضاض على سمير الذي وجد نفسه تلقائيا يهوى بالسكين بيديه على جسد چايدا ولكن وجد يديه معلقة في الهواء وكأن شيء يمسك بها فلم يستطع تحريكها وحينها انقضت چايدا عليه ليسقطا الاثنين أرضا.

حاول سمير النهوض وهو غاضب بشدة:

- هذا البستان اللعين يدافع عنك إذا، حسنا، فلنكتشف من سينتصر أيتها العاهرة.

نهضت چايدا مجددا وهي تحاول استجماع قواها للانقضاض مجددا على سمير وبالفعل ركضت مجددا في اتجاهه ولكنه تلك المرة ظل واقفا وانتظرها واضعا السكين في وضع أفقي أمام صدره حتى قفزت عليه ليخترق النصل صدرها فوقفت تنظر إلى سمير مذهولة.

فزع سمير لما حدث ولم يتمالك نفسه عندما رأي الدماء تتساقط منها وحينها قام بدفعها لتسقط أرضا ولاذ بالفرار.

٣٠

خارج الثقب

توالت الأيام وانتظر سمير اللقاء الثاني الذي سيلتقي به د.يحيى فهيم، لم يكن يذهب للعمل فأرسلوا له رسائل وخطابات رسمية بأنه محال للتحقيق ويجب عليه الحضور وإلا سيتم فصله نهائيا عن العمل. لم يكن سمير يهتم بذلك الأمر بل كان يسعى لشيء آخر، أخرج هاتفه وظل ينظر له، كان يفتح صفحة محادثة بينه وبين زميله دكتور عادل زايد، كانت المحادثة تجري من اتجاه واحد وهو سمير، ظل يرسل له بعض الرسائل النصية ولكن لم يجد لها أي رد، كان عادل يراها ولكنه لا يجيب، كان سمير يريد معروفا من د.عادل، لقد كان يريد إجراء تجربة علمية على أحد أجهزة مركز الأبحاث المتطورة ولكنه لا يستطيع الدخول دون مساعدة أحدهم، لذا كان عادل هو أمله الأخير في مساعدته على الدخول خلسة للمعمل لإجراء تلك التجربة، لكنه طوال تلك المدة لم يلق أية إجابة من عادل.

ظل سمير ممسكا بهاتفه لبعض الوقت ينتظر رد زميله ولكنه لم يأت وحينها رن الهاتف برقم غير معروف، أجاب سمير ليجد أحد الأشخاص يحدثه:

- السيارة التي طلبتها لتوصيلك وصلت يا سيدي، هل أنت جاهز؟

كاد سمير أن يجيب على الرجل يخبره أنه لم يطلب سيارة إلا إنه تذكر حديث د.يحيى معه وأنه سيرسل له من يأتي به لمقابلته مجددا. فأجاب سمير:

- حسنا، أنا في طريقي إليك، سأُعد نفسي.

هبط سمير من شقته ليجد سيارة وبها سائق ينتظره، ركب السيارة وانطلق لتنطلق خلفه السيارة المعنية بمراقبته، نظر سمير إلى السائق يسأله:

- أين د.يحيى؟

- لم يجبه السائق ولم يرد على سؤاله.

فأكمل سمير:

- إلى أين سنذهب؟

لم يرد السائق مجددا. واستمر في القيادة حتى وصل إلى أحد الطرق المزدحمة وحينها تحدث السائق بلهجة آمرة:

- اترك هاتفك هنا ولتغادر السيارة حالا وتسلك ذلك الزقاق، عندما تنهيه ستجد سيارة بيضاء في انتظارك، هيا.

تعجب سمير من أوامر السائق ولكنه استجاب له وفعل ما أمره وغادر السيارة واتبع ما قاله له السائق، وبالفعل أصبح سمير بداخل تلك السيارة البيضاء وقد فقده مراقبيه الذي ترجل أحدهم من سيارة المراقبة وتتبعه سيرا ورأه وهو ينطلق بالسيارة البيضاء عديمة اللوحات المعدنية.

وصل سمير إلى مكان مهجور وحينها توقف سائق السيارة أمام أحد المنازل المهجورة حيث خرج أحد الرجال الضخام وتقدم ليفتح باب سمير يحثه على الخروج من السيارة. خرج سمير من السيارة وحينها أمره الرجل الضخم بأن يرفع يديه ويفارق بين ساقيه حتى يقوم بتفتيشه فانصاع سمير له وهو يحدثه:

- لِمَ لم تجعلوا اللقاء في أحد كازينوهات وسط البلد بدلا من كل هذا الإرهاق؟

- لم يجبه الرجل الذي انتهى من تفتيشه وبعدها تقدم الرجل يسبق سمير إلى المكان حيث يتواجد د.يحيى.

دخل الرجل الضخم ومعه سمير إلى الغرفة حيث يتواجد د.يحيى والسيدة ذات القبعة معه مازالت مرتدية قبعة وتنظر إلى الأرض، ما أن رأى د.يحيى سمير حتى تحدث إليه قائلا:

- هل جلبت ما نريد؟

- ألا يمكنني أن استريح أولا؟

- جلس سمير على أول كرسي أمامه ونظر إلى د.يحيى يخبره:

- سأتناول كوبا من القهوة، هل تخبر أحد رجالك بأن يجلبها لي فضلا؟

- سمير لا وقت للمماطلة، أين هي الشريحة.

- الشريحة؟، هل يمكنك تذكيري بشكلها؟

هنا تحدثت السيدة من خلف د.يحيى:

- إنه يُخبئ مسجل صوتي في بنطاله.

أومأ د.يحيى إلى الرجل الضخم الذي تحرك باتجاه سمير الذي بدا مرتعدا وأخذ يصيح:

- ماذا تفعلون، ليس معي شيء، لقد فتشتوني بالخارج.

تحدثت السيدة:

- إنه يخفيه في ملابسه الداخلية.

فتقدم الرجل الضخم يجذب سمير لينهض من كرسيه، ليتحدث سمير بصوت عال:

- حسنا ، سأخرجه ، لا داعي لما ستفعله.

مد سمير يده في بنطاله وأخرج المسجل الصوتي ومد يده يعطيه للرجل الضخم الذي أشار له بإلقائه على الأرض ففعل سمير، فجلب الرجل كرسيا وانهال بأحد أقدامه على المسجل ليتهشم أمام الجميع.

رفع سمير يده مشيرا أنه يأسف لما فعل ولكن السيدة ذات القبعة لم تمهله وقتا حين تحدثت قائلة:

- والشريحة موجودة بداخل إحدى كبسولات دوائه.

تغيرت ملامح سمير وبدى أنه أصبح بلا أي قيمة بعدما اكتشفوا مكان إخفائه الشريحة، أمسك سمير بقوة على أحد جيوبه حيث كان يخفي الشريحة ولكن الرجل الضخم لم يجد أي صعوبة في إزالة يده وإخراج الدواء واستخراج الشريحة الصغيرة منه وإعطائها لد.يحيى.

ظل سمير يصيح عاليا وهو يوجه كلامه لد.يحيى:

- أكذلك يكون رد الجميل د.يحيى؟، لقد كنت أظن أنني من رجالك، هكذا يكون رد الجميل، لقد خاطرت بحياتي من أجلك ومن أجل تلك الشريحة، وفي الأخير تعاملوني هكذا؟

- لقد أخذت المقابل لكل ذلك يا سمير، يمكنك أن تأخذ نقودك وتغادر دونسيار وحينها ستكفيك حتى نهاية عمرك فلا تخبرني أنك فعلت ذلك دون مقابل، كان الاتفاق واضحا صريحا، أن تأخذ النقود ونعطيك كل البيانات الخاصة بدخول الثقب وأمددناك بكل المعلومات الخاصة وأعطيناك الفرصة لزيارة أستاذك السابق واكتشاف عالم جديد، كل ذلك من أجل أن تحضر لنا شريحة واحدة معينة من العنصر، في الأخير تأت لنا وتحاول أن تسجل حوارنا وتمتنع عن إعطاءنا الشريحة؟، من هو من نكس بوعده الآن؟

- لقد كنت أؤمن نفسي، واعترف لك بأن ذلك كان خطأ كبير مني، ولكني فعلت تماما ما أمرتني به، ولم أخبر أحدا بأن هنالك عالم متطور بداخل الثقب، هذا لأنني أثق بأنك تعد أمرا كبيرا من أجلنا، أليس كذلك، ألست أنا أحد رجالك د.يحيى؟

- لقد زعزعت تلك الثقة يا سمير.

- لا، أقسم لك بأنني لن أكررها مرة أخرى، لتعفو عني تلك المرة.

- حسنا، سأفكر في الأمر ولكن لتجيبني بصدق، هل أخذت شيء آخر معك من الثقب؟

- لا، هذا كل ما أخذته كما طلبت مني.

تحدثت السيدة من الخلف: إنه يكذب.

صاح سمير وهو يرد على السيدة:

فلتصمتِ أيتها اللعينة، من أنت لتعرفي كل تلك الأشياء؟... اللعنة، هل أنت الهاربة التي أخبرتني بها چايدا؟، هل أنت چودل؟

تغيرت حينها ملامح د.يحيى وبدى عليه التوتر قليلا وهو يرد على سمير:

- لتتحدث معي أنا، هل جلبت أي شيء آخر من هناك؟

- لا، لم أجلب شيء.

- حسنا سنعرف ذلك، يمكنك الرحيل الآن، وإن احتجنا إليك سنرسل لك.

نهض سمير وهو يلملم شتات نفسه وتحدث مع د.يحيى:

- أنا أعتبرك أبي د.يحيى، أعذرني على ما فعلته، وسأنتظر المهمة التالية لأنفذها.

- حسنا، ولا تتحدث مع أحد مجددا عن الثقب.

- بالتأكيد، هذا سرنا.

غادر سمير المكان وحينها نظر د.يحيى إلى السيدة ذات القبعة وهو يعطيها الشريحة يسألها:

- كم ستعطينا تلك؟

- ثلاثون عاما.

- حسنا، جيد.

- لم يكن من المفترض أن ترسله إلى الثقب ونبلغه بكل تلك المعلومات.

- هل كان هنالك حل آخر؟، كان يجب أن يذهب أحد لجلب الشريحة.

- إلى متى سنبقى هكذا يا يحيى؟، لن أبقى إلى الأبد مهما طال الوقت.

- دعنا من هذا الحديث الآن ونحتفل بما حصلنا عليه، كان من المفترض أن أكافئ سمير عما فعله ولكنه غبي أفسد كل شيء بما صنعه.

- هل تثق به يا يحيى؟

- سمير؟، بالتأكيد لا، ولكن لم يكن أمامنا غيره، لقد كبرت في السن ولا أستطيع فعل ما فعله، كما أنه لم يحصل إلا على معلومات بسيطة جدا عن الثقب ولن تفيده بشيء، حتى كل المعلومات التي أعطيناه إياها لن يستطيع استخدامها مجددا للدخول إلى الثقب، أليس كذلك؟ ألم تخبريني بأنها تستخدم لتلك النافذة التي فُتحت فقط؟

- نعم، لكنني لست خائفة من ذلك.

- وما هو ما تخافي منه إذا؟

- أخاف أن يكون قد حصل على بعض ذرات من الجبل بالداخل، حسنها سيكون الأمر خطيرا على الكون بأكمله.

****

عاد سمير إلى منزله وهو يستشيط غضبا بعد ما حدث له، فلقد أضاع الشريحة التي كان ينوي أن يساوم د.يحيى عليها كما أنه لم يستطع تسجيل الحوار الذي حدث بينهم وكل ذلك بسبب السيدة ذات القبعة.

أخرج سمير هاتفه بعدما استعاده أثناء رحلة رجوعه وقام بفتحه لينظر في الرسائل فلم يجد إجابة من د.عادل مجددا حينها انفلتت أعصابه وقام بإرسال مقطع فيديو لد.عادل وكتب أسفله:

- إن لم تجيب فسيكون هذا المقطع لدى كل العاملين في المعمل وسأرسله إلى زوجتك وأولادك أيها العاهر.

كان الفيديو يحتوي على تسجيل مرئي لد.عادل وهو يشاهد أفلاما إباحية وهو في أحد المكاتب أثناء عمله بمركز أبحاث الكون. أرسل سمير المقطع ورمى هاتفه ودخل إلى غرفته وفتح أحد الأدراج وأخرج منه بنطالا له، مد يده في أحد جيوبه ليخرج قطعة قماشية وفتحها ليطمئن أن ذرات الجبل مازالت بحوزته.



داخل الثقب

خرج سمير من المعمل وهو يركض مذعورا لما فعله، لقد ترك چايدا وهي تنزف بعدما قام بطعنها، رحل دون أن يقدم لها المساعدة، الآن أصبح الأمر لا رجعة فيه، لقد قتل فتاة البستان المدللة، لم يرى أحدا لا يحبها، لقد كانت هي روح البستان وقلبه النابض وقد طعنه سمير منذ قليل، كان سمير يركض وهو يحاول بقدر استطاعته أن يرتب أفكاره وعما سيفعله حينها، كان يخطط لأخذ تلك الشريحة ومغادرة المكان دون أن يلاحظه أحد ولكن ذلك لم يعد متاح بعدما ترك جثة خلفه، وأي جثة، جثة كان يعتبرها شيخ البستان أنها ابنته، لذا لم يكن هنالك سوى خيارين أمام سمير، إما الهرب من البستان قبل أن يكتشفوا جريمته وإلا سيلقى حتفه لا محالة.

وصل سمير إلى الكوخ وهو يفتح الباب بعنف شديد جعلت عماد ينتفض فزعا من نومه وهو مذعور، اتجه سمير إلى عماد يجذبه من يده بقوة وهو يحدثه:

- يجب أن نرحل حالا.

- ما الذي حدث؟

- يجب أن نرحل، لن يسمحوا لنا بالعيش هنا ولو لساعة واحدة أخرى.

- ما الذي تقصده، ماذا حدث؟

- سأخبرك في الطريق لكن لتأت معي الآن.

خلّص عماد زراعه من قبضة سمير وتوقف أمام باب الكوخ ونظر له وهو مستاء:

- لن أبرح مكاني حتى أعرف ما الذي يحدث.

وقف سمير وهو يحاول أن يأخذ نفسا طويلا بعدما ركض لمسافة كبيرة دون توقف وحينها نظر بتأسف وهو يخبر عماد:

- لقد قتلت چايدا.

تجمد وجه عماد لما قاله سمير ولم ينطق بكلمة واحدة وظل واجما لا يصدق ما قاله سمير حتى أكمل سمير:

- أنا لم اتعرض لها أقسم لك، هي من هاجمتني بسكين. كل ما حدث كان دفاعا عن النفس.

لم يُجب عماد على سمير وظل واقفا وكأن عقله قد تعطل عن العمل ولم يكن يعلم ماذا يفعل أو يقول، اقترب سمير من عماد ليجذبه من زراعه مجددا ليجد عماد متصلبا في مكانه ورفض الانصياع لأمر سمير وحينها استعاد تركيزه وهو ينظر لسمير بعين غاضبة يحدثه:

- ذلك جرمك أنت، فلتهرب بمفردك، لتواجه مصيرك وتتحمل عواقب ما تفعله، سأنتظر هنا ولن أرحل. لقد اكتفيت من مرافقتك.

- عماد، أعلم بأنك مستاء مني ولكنهم لن يرحموك عندما يعلمون ما حدث لفتاتهم، أنت مربوط معي بكل شيء، سينتقمون منك.

- أنت لعنة، أنت لعنة على كل شيء يحيط بك.

صمت سمير وبدى أنه استاء بعض الشيء من كلام عماد له وحينها دوى صوت مفاجئ في المكان وكأنه صوت إنذار انتشر في المكان وبدأ يعلو بقوة وهنا خفق قلب سمير وعلم أنهم قد اكتشفوا ما فعله فنظر بغضب إلى عماد وهو يصرخ به:

- تلك آخر مرة سأطلب منك القدوم فيها، هل ستأتي معي؟

- وأين سنذهب؟ كيف سنخرج من هنا؟ نحن هالكون.

- أعلم طريقة للخروج من هنا.

ركض سمير وعماد بسرعة كبيرة في طرقات البستان، لم يتوقفا أبدا حتى وصلا إلى البحيرة، أخرج سمير لوح خشبي من خلف شجرة قريبة وقام برميها في البحيرة واستلقى عليها وأمر عماد بالركوب بجواره.

لاحظ عدد من رجال البستان سمير وعماد وهم يتحركون بالقطعة الخشبية في اتجاه المياه وهم يغادرون البستان، ركضوا بسرعة ونزلوا إلي البحيرة يسبحون خلفهم وهم يصيحون بلغتهم للإمساك بهم.

علم سمير بأنهم لن يتمكنوا من الفرار بتلك الطريقة فقام بالنهوض ومحاولة التجديف بقوة ليبتعدوا أكثر عن رجال البستان وما أن رأه عماد حتى بدأ في مساعدته وبالفعل بدأوا يبتعدون شيئا فشيئا وحينها أخرج سمير من جيبه علبة المسحوق الأبيض ووضعها على يده ونثرها على جزء من الحائل الداخلي الذي يفصلهم عن دونسيار ليبدأ المسحوق بالتفاعل مع ذلك الحائل وحينها بدا وكأنه يتآكل أمامهم وفُتح شق بداخله وحينها صاح سمير بعماد:

- لتجدف بسرعة لنخرج قبل أن ينغلق هذا الشق.

بالفعل ما أن عبر سمير وعماد حتى عاد كل شيء كما كان وانغلق الشق مجددا وسط ذهول عماد مما حدث، حينها ظهر أمامهم مياه المحيط تلطمهم بشدة وهم متشبثون بالقطعة الخشبية التي كانت هي أملهم الوحيد في النجاة من ذلك المحيط الثائر وكائناته التي تنتظر سقوطهم من على القطعة الخشبية ليلتهموهم.

ظل سمير وعماد على القطعة الخشبية حتى ظهرت من العدم مروحية تقترب منهم وحينها فتحت أبوابها وبدأ رجال الإنقاذ في انتشالهم من المحيط ودلفوا إلى داخل المروحية ليجدوا د.هند جالسة أمامهم وهي كاظمة غيظها.

****

في البستان كان د.عُمر نائم واستيقظ على طرق خفيف على بابه، نهض من فراشه وتوجه إلى الباب ليفتحه ليجد چايدا أمامه مبتسمة وهي تحمل طبق من الفاكهة الطازجة تعطيه إياه:

- صباح الخير د.عُمر، لقد صنعت لك طبق الفاكهة بنفسي.

- أشكرك چايدا، تبدين أنيقة للغاية اليوم.

- شكرا لكلامك اللطيف، لقد جئت لأخبرك بأن د.سمير وعماد قد غادرا البستان بالصباح الباكر، لقد طلبا الرحيل ولقد لبى الشيخ رغبتهم ورحلا إلى موطنهم.

- حقا؟!، لم يخبرني أحد منهم بذلك، لقد كانا يريدان البقاء، خصوصا عماد، لقد أحب المكان وبدأ في الانخراط معنا.

- يبدو أنهم أصيبوا بداء الوطن، لقد رحلا دون أن يودعا أحد.

- نعم، أعتقد أن سمير له يد في ذلك الأمر بالتأكيد، هو دائما مشاكس لا يرغب في التقيد بشيء.

- نعم أعتقد أن د.سمير هو من أثر على عماد، لقد كنت بدأت أشعر أن عماد أصبح واحد منا فعلا وأحببت الحديث معه، إنه ذكي وفطن مثلك د.عُمر، أظن أنك كنت مثله في شبابك.

- نعم، كنت كذلك... لقد رأيت نظراتك إليه، هذا الغبي قد أضاع فرصة ثمينة من بين يديه، لقد ترك الألماس من أجل التراب.

ابتسمت چايدا إلى د.عُمر وهي تتحدث بحياء شديد:

أريد الحصول منك على مكان عملهم. قد أزور عماد في وقت ما قريبا.

٣٢

خارج الثقب

تواصل سمير مع د.عادل وتمت المقابلة، مقابلة ابتزاز مقنّعة، حيث أبدى سمير أسفه واعتذاره لعادل عما بدر منه وإرساله ذلك الفيديو المصور لعادل وهو يشاهد أفلاما إباحية في العمل، تحدث سمير بأنه لم يكن أبدا ليفكر بأن يرسل ذلك المقطع لزوجة عادل مثلا أو لأولاده، لم يكن ليرسله لرؤساء عادل في العمل ليفضحه ويضره في مسيرته الوظيفية، ولم يكن ليرسله إلى العاملة التي تحرش بها عادل منذ سنوات وتقدمت بشكوى ضده ولكن تم حفظ الشكوى حينها لعدم وجود أدلة كافية، كان حديث سمير لعادل بتلك الطريقة كاف لأن يجعله يخضع لطلبات سمير ويصنع له ما يريده، فلقد أوضح له ما ينوى فعله بطريقة متوارية.

انتهى ذلك اللقاء بموافقة عادل على تسهيل دخول سمير إلى المركز دون علم أحد، كان الاتفاق يشمل دخول سمير إلى المركز لمرة واحدة فقط وستكون تحت مراقبة عادل مع امتثال سمير إلى ما سيأمره به عادل دون أن يفعل سمير أي شيء يجعل سرهم ينكشف وتسوء الأمور أكثر، لكن ذلك لم يحدث، فكل نوبتجية وُضع بها عادل في المركز كان يرافقه سمير، يدخل معه في سيارته ويجلس في قاع الكرسي الخلفي تجنبا أن يراه أحد من الأمن، وما أن يكون بداخل المركز يتركه عادل يفعل ما يريد حتى انتهاء النوبتجية ويخرج معه مثلما دخل.

حاول عادل التخلص من سمير وجعله ينهي عملية الابتزاز التي يمارسها معه ولكنه لم ينجح في ذلك، وظل سمير يتردد على المركز ليقوم بتجاربه على عنصر الجاردينيوم ليكشف عما يمكنه فعله بها. ولم

يكتشف أحد تسلل عماد المتكرر إلى المركز إلا بعد أن ارتكب سمير حماقته المعتادة.

كان سمير يحاول الوصول إلى غرفة مسارع الإلكترونات المتطور، لكن الأمر كان خارج سلطة عادل، فالأمر يحتاج موافقة مدير المركز مع تقديم سبب وجيه لاستخدام ذلك المسارع وهو مالم يكن موجود، كان سمير يعلم بأنه يحتاج الوصول إلى ذلك المسارع بأي وسيلة لتجربة ما يفعله ولكن في المقابل يعلم أنه لن يستطيع في حالته تلك، وقد كان على علم أنه إن وصل إليه فستكون التجربة متاحة لمرة واحدة فقط ولن تتكرر ،لذا يجب أن تكون ناجحة وإلا سيكون قد أنهى علاقته بالأمر ولن يستطيع دخول المركز مجددا أبدا.

لذا وفي إحدى النوبتجيات وبعد تسهيل دخول سمير إلى المركز، في تلك المرة وفي تلك النوبتجية، جلس عادل في استراحته بينما كان سمير يسلك طريقه متجها إلى غرفة المسارع بعدما خطط للدخول وتنفيذ تجربته، وبالفعل وباستخدام بطاقة عادل التعريفية التي سرقها منه دون أن يشعر قام بالوصول إلى غرفة المسارع.

أعد سمير كل شيء وقام بالفحوصات اللازمة وكان على يقين أنه على موعد مع اكتشاف أمر عظيم، أمر يستطيع به إرجاع اسمه ووظيفته اللذين سُلبوا منه، بل إنه كان يسعى لشيء أكبر، لقد كان يريد أن يكون اسمه متواجدا مع العلماء الكبار المخلدين في الكتب والمراجع العلمية بأنه أول من توصل واكتشف ذلك العنصر الجديد الذي سيغير كل شيء على وجه الأرض.

دخل سمير إلى المسارع ولكنه قبل أي شيء قام بإحكام إغلاق الغرفة حتى لا يقاطعه أحد أثناء عمله، بدأ سمير بتشغيل المسارع

وحينها ظهر تنويه لكل من بالمعمل بأن المسارع بدأ يعمل ويجب عليهم تجنب التواجد في الغرف الغير مؤمنة حتى انتهاء العمل به.

كان عادل في استراحته يقوم بمحادثة إحدى الفتيات التن تعرف عليهن على الإنترنت، وما أن سمع عادل التنويه حتى خُلع قلبه، ونهض يركض في اتجاه غرفة المسارع، لقد كان يعلم من بالداخل هنالك، وصل عادل سريعا ونظر من الباب الزجاجي وهو يصيح في سمير ليتوقف ولكن سمير لم يُعط اهتمام لصياح عادل بل استمر في تجهيز التجربة، وضع بعض ذرات الجاردينيوم في حامل زجاجي وأعد تجهيزاته التي استمرت لشهور يعمل عليها وتوجه إلى الحاسوب الخاص بالمسارع يدخل البيانات الخاصة بالتجربة العلمية التي ستُجري.

كان عادل بالخارج يحاول جاهدا أن يصل إلى الغرفة ولكن سمير كان قد أغلق الغرفة يدويا بواسطة قطعة حديدية تمنع أي شخص من الدخول له، صاح عادل للحاسوب "جيد":

- "جيد"، فلتنهِ تلك العملية وتغلق المسارع حالا.

- آسف د.عادل، ليس لي تحكم على المسارع.

صاح عادل بسمير:

- لا تفعل ذلك يا سمير، بالله عليك لا تفعل.

لم يستمع سمير لكلام عادل وحينها قام بضغط زر البدء لينطلق شعاع ضخم من المسارع مصوب باتجاه ذرات الجاردينيوم وحينها صمت عادل وحاول النظر إلى ما يحدث ولكن لم يكن هنالك وقت كاف لمعرفة ما حدث بعدما انهار الطابق الذي تجرى به التجربة وبدأ مبنى المركز يتداعى شيئا فشيئا وينهار وكأن هنالك شيئا خفيا غير مرئي

يدمر كل ما حوله، حاول عادل الهروب ولكنه لم يستطع، فقد كان قريب جدا من ذلك الانهيار الذي بدأ يُصدر بعض الشرارات الكهربائية من حوله وبدأت الطوابق العليا تنهار من أعلى ولكنها لم تُصب أي شيء بداخل الطابق حيث يقف سمير، كان الركام يتساقط من حول ذلك الشيء على شكل دائري ولا يخترقه، كان الأمر يبدو وكأن الحطام لا يستطيع اختراق الهواء، بدأت باقي الطوابق في الانهيار ونشب حريق في جوانب المركز وحاول طاقم النوبتجية الهروب مما يحدث لينجوا بحياتهم، كل ذلك وسمير يقف بداخل تلك الكرة الشفافة التي التهمت المبنى في ثوان وهو لا يصدق ما الذي فعله للتو.

الفصل الثالث

الحائل



امتلأ محيط مركز الأبحاث بعناصر الشرطة الداخلية، جذب انهيار الجزء الجنوبي من المبنى العديد من رجال الصحافة والأخبار بعدما علموا بما حدث، كانت الحادثة بعد منتصف الليل بساعات قليلة، بدأت عناصر الحماية المدنية تصل إلى موقع الحادث وكلا بدأ عمله، بدأت الشرطة في إخلاء المبنى من الأشخاص وحددت عربات الإطفاء أماكن الحريق الذي نشب جراء الانهيار، وساعدت عربات الاسعاف في تقديم الخدمات الطبية العاجلة للمصابين.

وصل ضباط البحث الجنائي إلى المكان للتحقيق في الحادث، كانوا يسألون عناصر الأمن المحلي المعين في المكان عما حدث عندما جاء أحد أفراد الإطفاء وهو يركض نحوهم يلهث وهو يحدثهم:

- هل أنتم من البحث الجنائي؟، يجب عليكم أن تروا هذا.

انطلق الإطفائي يركض مجددا، حاول الضباط السير بسرعة حفاظا على وضعهم ولكنهم وجدوا بأنهم سيضيعون أثر الإطفائي فركضوا خلفه حتى انتهى أحد أجناب المبنى وظهر أمامهم شيء لم يره أحد من قبل.

لقد رأوا جزء من الطابق الرابع والخامس قد وصل إلى الأرض ولكنه كان في حالة صحيحة لم يتهدم مع باقي المبني، فارق الأمتار بين الطابقين موجود ولكن دون أعمدة تحمله، كان الطابقان يبدوان أنهم يطفوان من على الأرض، والإنارة بالداخل مازالت تعمل، حتى تقسيم الغرف بالطابق مازال بهيئته، بالداخل وفي منتصف الطابق الرابع وقف سمير مذعورا ينظر إلى كل من جاء ليشاهد ذلك الأمر، وفي الغرفة المجاورة له تواجد

المسارع وتواجد معه شيء متلألأ يشع ضوءا، كان ذلك هو عنصر الجاردينيوم في طوره الجديد.

وقف ضباط البحث الجنائي مدهوشين لما رأوه لقد هُدم كل شيء أعلى وأسفل ذلك الطابقين بينما بقى هذان الطابقان كما هما دون مساس، هبط الطابقان داكين الطوابق السفلية أسفلهم متفادين الطوابق العلوية التي سقطت من أعلى دون أن تلحق ضرر بما أسفلها.

ظل الوضع محيرا لبرهة وعندما خفت الصدمة لديهم اتجه أحد الضباط محاولا الوصول إلى سمير عن طريق تسلق ذلك الركام الموجود، حينها اقترب منه الإطفائي يحدثه:

- لا يمكنك الوصول إليه، بيننا وبينه حائل لا نستطيع اختراقه.

لم يستمع ضابط البحث الجنائي لما قيل له واستمر في طريقه، حتى أنه أخرج مسدسه ووجه باتجاه سمير مشيرا إليه أن يرفع يديه حيث يراهم وينبطح أرضا بهدوء وبالفعل فعل ذلك سمير وحينها تقدم الضابط بهدوء شديد حتى انتهى الركام ووصل لبداية الطابق الرابع فإذا به يطير بالهواء للخلف لمسافة كبيرة وكأن صاعقة كهربية قد رمته بعيدا.

ملأ الذعر المكان، كان الأمر مخيفا مرعبا لهم لما رأوه، ركض ضابط البحث الجنائي الآخر ورجال الإطفاء يطمئنون على الضابط الذي سقط فاقدا للوعي لا يعلمون ماذا أصابه، صاح الضابط في المسعفين ليحضروا بسرعة وحينها تحدث الإطفائي الذي حذرهم منذ قليل قائلا:

- لقد كنت أقف حيث وقف بالضبط ولم يحدث لي شيئا، ما الذي يحدث هنا؟

نهض الضابط وهو غاضب مشهرا سلاحه واتجه إلى سمير حيث مازال منبطحا خائفا مما يحدث، كان الجميع يقف في ترقب شديد وهم يشاهدون الضابط الآخر يقترب من النقطة حيث صُعق صديقه وطار في الهواء، كان على بعد خطوتين من أن يحدث له مثل صديقه ولكن صوت من الخلف ناداه:

- سيدي الضابط، فلتتراجع عما تفعله، سنتولى الأمر منك من هنا.

نظر الضابط إلى الرجل الذي كان يقترب منه وهو يحدثه بغضب:

- ومن أنت حتى تأمرني بالرحيل؟

تحدث الرجل وهو يخرج بطاقته التعريفية:

- عقيد أشرف هاشم من الأمن السيادي. يجب عليك الرحيل الآن وأذهب للاطمئنان على صديقك.

صمت الضابط فجأة ولم يعقب، فقط نظر نظرة أخيرة على سمير المنبطح أرضا واتجه إلى صديقه الذي بدأ المسعفون إفاقته وحملته إحدى العربات استعدادا للذهاب به إلى المشفى.

توجه العقيد أشرف إلى منطقة قريبة من المنطقة الخطرة واستكشف الوضع وحينها قام بالاتصال برئيسه بالعمل وانتهت المكالمة وبدأ العمل يتخذ مسلكا آخر، فلم يمر إلا وقت قليل حتى وصلت عربة كبيرة محملة بحوائط خرسانية طويلة وبدأ العمال بإنزالها حول تلك المنطقة لتصنع ساترا أمنيا حولها لا يستطيع أحد رؤية ما يحدث في الداخل، بعدها وصل لودر ضخم ذو أسنان حديدية عملاقة لانتشال الهدم الموجود وأيضا محاولة الوصول إلى المنطقة حيث تواجد سمير، انتهى اللودر من عمله مع المبنى المتهالك وأصبح الطريق

إلى المنطقة المراد التعامل معها مفتوح، تلقى السائق التعليمات من العقيد أشرف ليكمل عمله وبالفعل انطلق السائق وهو يوجه الأسنان الحديدية باتجاه المنطقة ليصدر صوت ارتطام قوي جعل الرجل يتوقف عن المضي قدما ويتراجع بسرعة لينظر العقيد أشرف إلى مقدمة اللودر حيث اختفت أسنانه تماما وبدت أنها قد انصهرت وذابت على الأرض، هنا علم العقيد أشرف أنهم أمام شيء غير طبيعي ويجب عليهم معرفة ماهيته أولًا قبل أن يتعاملوا معه.

مر الوقت وازداد أفراد الأمن السيادي التي وصلت إلى المكان، رغم كل المحاولات إلا انهم لم يستطيعوا اختراق ذلك المكان، كانوا يتشاورون فيما سيفعلونه وكيف لهم أن يتعاملوا مع الأمر، فتم استدعاء علماء الفيزياء لمساعدتهم في اكتشاف الأمر ولكن لم يكن لدى أحد إجابة واضحة عما يمكنه فعله مع هذا الحائل، كان الأمر جديدا ومبهرا للجميع، حتى أن العقيد أشرف اقترب من رئيسه يسأله:

- هل يجب أن نخبر السيد رئيس الأمن السيادي بالأمر؟

- إنه يعلم بالأمر فعلا وهو متابع لم نفعله كله.

صمت الجميع عن الحديث عندما رأوا أحد الضباط يتقدم إليهم، تقدم يؤدي التحية العسكرية لرئيسه وهو ممسك بهاتفه يتحدث:

- لقد صور أحدهم ضابط البحث الجنائي وهو يطير في الهواء بعد وصوله للمنطقة الخطرة سيدي وأصبح الجميع يتداول المقطع تحت خبر انفجار مبنى مركز أبحاث الكون.

في تلك الأثناء اقترب سمير أكثر لحافة الكرة وقد أمسك بيده هاتفه كُتب عليه شيء فتقدم العقيد أشرف يقرأ ما كتب فوجده عبارة "لتجلبوا المهندس عماد علوان".

عاد أشرف إلى رئيسه يخبره بما كتبه سمير ليصدر أوامره:

- لتجلبوا هذا المهندس في الحال.

ما كاد ينطلق أشرف حتى وجد أحد علماء الفيزياء يتجه نحوهم ويبدو عليه التوتر يتحدث إليهم:

- لقد رصدنا زحزحة لهذا الحائل بأجهزتنا، أعتقد بأنه يتحرك باتجاه الشمال الشرقي.

٣٤

تحركت قوة أمنية سريعة متجهة إلى منزل عماد، اقتحموا منزله ودخلوا إلى غرفته يوقظوه ويجذبوه بقوة وهو لا يعلم ماذا يحدث، تم أخذه بملابس النوم ولم يحصل على إجابة على أسئلته إلا بعدما وصل إلى موقع الحادث حيث كان ينتظره العقيد أشرف الذي جذبه من يديه وتحرك داخل موقع الحادث حتى وقف الاثنان أمام تلك الكرة الغامضة وحينها وقعت عين عماد على سمير وهو محتجز بالداخل.

كانت تلك المرة الأولى التي يرى فيها عماد سمير مرة أخرى منذ عودتهم من الثقب، لم يتقابلا بعدها ولم يرغب أيًا منهم في رؤية الآخر ولكن يبدو أن مصائرهم أصبحت مرتبطة ببعضها البعض. تحدث العقيد أشرف إلى عماد:

- هل تعلم كيف نُزيل ذلك الحائل؟

- لا، لا أعلم، ماذا حدث هنا؟

- ليس هنالك وقت للتفاجؤ، لقد كتب سمير بأنك من تستطيع مساعدته.

- أنا؟!، أنا لم أره منذ إخلاء سبيلنا بعد نجاتنا، لا أعلم ماذا فعل.

نظر عماد إلى سمير بالداخل والغضب يتملكه، حينها أخرج سمير هاتفه مجددا وكتب عليه" الجاردينيوم" ، ثم أشار بإصبعه الى الغرفة المجاورة لتتسع عينا عماد ويتجمد في مكانه وعجز عن الرد على أسئلة العقيد أشرف الذي أيقن أن عماد لديه ما يخفيه، لذا أمر أحد الضباط باقتياد عماد إلى غرفة الاستجواب التي صنعوها في مكان الحادث، دخل

عماد إلى الغرفة وتم غلق الباب عليه، وترك وحيدا لفترة منتظرا ما سيحدث له.

دخل أشرف إلى غرفة رئيسه الذي كان بانتظاره ليمده بالأخبار الجديدة، فدخل أشرف وهو يتحدث بما فعله مباشرة:

- لقد حضر المهندس عماد وأعتقد أنه تعرف على ذلك الشيء المتلألئ الموجود بداخل تلك المنطقة، سأقوم بالتحقيق معه الآن لمعرفة حقيقة ما يحدث.

- حسنا لتقم بذلك بسرعة وتخبرني بالأمر... ماذا عن خبراء القوات المسلحة وقوات الدفاع الجوي الذين انضموا إلينا، هل اكتشفوا شيئا؟

- قامت قوات الجيش بتحليل الطيف الترددي للمنطقة ولم يستطيعوا تحديد شيء، يقولون أنه يبدو كأنه هواء طبيعيا ولا يوجد شيء يظهر على أجهزتهم، وقامت قوات الدفاع الجوي بمسح المنطقة ولم تُظهر أجهزة الرادار أن هنالك شيء، لم يظهر حتى أن هنالك طابقين مدمرين، ظهر وكأنهم يقومون بمسح أرض خالية، وكأن ذلك الشيء وما بداخله غير موجودين؟

- اللعنة، هل ذلك شيء متطور لتلك الدرجة؟

طرق أحد الضباط الباب ودخل الغرفة ووجهه شاحب يتحدث الى رئيسه:

- سيدي، تحتاج إلى مشاهدة ذلك.

نهض اللواء هادي ليغادر مكتبه وتبعه العقيد أشرف والضابط الآخر ووصلوا إلى مكان الحادث ليجدوا قطا بداخل المنطقة الخطرة، نظر اللواء هادي يسأل من بالموقع:

- من أين أتى ذلك القط؟

أجابه أحد عمال المركز:

- هذا قط د.سمير اعتاد أن يعطيه الطعام وهو في المركز، لقد رأى د.سمير ودخل إليه ليعطيه طعام مثلما يفعل.

- هل كان القط بالخارج ومر إلى الداخل؟

- نعم، لقد رأيته بالخارج منذ قليل ولكني تفاجأت بوجوده بالداخل مع د.سمير الآن.

صاح اللواء هادي في كل الضباط الموجودين:

- لتبحثوا في كل الكاميرات، أريد أن أعرف كيف وصل هذا القط اللعين للداخل.

ثم نظر اللواء هادي إلى أشرف يأمره:

- لتجهز أحد رجالك لمحاولة الدخول مجددا.

- راجع الجميع كل الكاميرات المتاحة التي مازالت تعمل واكتشفوا المكان الذي دخل منه القط وحينها قاموا بتعيين أحد الضباط للدخول واستكشاف المنطقة من نفس مكان دخول القط، كان الضابط تابع لقسم اكتشاف الألغام فارتدى بذلته الخاصة وتقدم في حذر يحاول الدخول ووقف الجميع بالخلف يراقبون في توتر.

تقدم الضابط واتخذ نفس مسار القط وعندما وصل إلى حافة المنطقة وجد يده ترتطم بحائل غير مرئي، حاول دفعه بحذر وكان يبدو بأنه يحاول دفع الهواء بيده ولكن دون فائدة، ظل يحاول أن يمر ولكن لم يفلح الأمر، تحدث له أشرف في جهاز الإرسال:

- لتحاول تمرير يدك فقط من نفس مكان مرور القط.

- جثى الضابط على ركبتيه وحرك يده بشكل دائري في المكان حيث مر القط ولكن الأمر لم ينفع أيضا كان الحائل متواجدا ولا يوجد أي ممر ليده، حينها أنهى أشرف التجربة وأمر الضابط بالعودة مجددا، وتقدم اللواء هادي يحدث العقيد أشرف:

- لتذهب وتستجوب ذاك المهندس، سأستمع إلى التحقيق:

- حسنا سيدي، وأستأذنك سأقوم باستدعاء د.هند حافظ أيضا، المديرة السابقة للمركز، وقائد الطائرة الذي أوصل سمير وعماد الى الثقب، أعتقد ان الأمر له علاقة بتلك الحادثة.

- لتستدعي أي شخص يساعدنا في الأمر، لقد أبلغت رئيس الأمن السيادي أن الأمر تحت السيطرة ولا داعي للقلق، وينتظر مني محادثة تفصيلية عما حدث، لتسرع في عملك.

أدى أشرف التحية لرئيسه واتجه مباشرة إلى غرفة التحقيق حيث يجلس عماد، دخل أشرف ووجهه غاضب حانق لا يبشر بالخير، بدأ حديثه وهو يجذب كرسيا بقوة ويضعه في مواجهة عماد:

- أعتقد بأنك كذبت علينا أول مرة ونجحت في ذلك، لكنك هنا لتخبرنا بالحقيقة، الحقيقة الكاملة.

- سأخبركم بكل شيء، وأتمنى أن تتفهموا لِمَ فعلت ذلك.

٣٥

كانت هند تجلس في منزلها تعد الفطور لها ولسلمى عندما طرق الباب بطريقة مفزعة، تسرب التوتر والخوف إليها عندما بدأت سلمى تصرخ بشكل عال ولم تتوقف، خرجت هند من المطبخ وهي تنظر إلى سلمى التي تصرخ وتنظر إلى باب منزلها الذي مازال الطرق مستمرا عليه، فتحت هند الباب لتجد رجال الأمن السيادي يقفون أمامها يحدثونها:

- د.هند لتأتِ معنا حالا.

- لماذا؟، أنا لم أفعل شيء.

- نحن هنا لجلبك، لا نعرف شيئا آخرً.

- ابنتي تحتاج عناية خاصة، لا أستطيع تركها.

- ذلك ليس من شأننا، وأنت ستأتين معنا الآن، لديك ٥ دقائق لتغيير ملابسك، سننتظرك أمام الباب.

دخلت هند لتهدأ من روع سلمى ولكنها لم تستطع ومرت الدقائق والرجال يحثونها على الإسراع، لم تعرف هند ماذا تفعل ولكنها وجدت شيرين تنسل من بين رجال الأمن السيادي وتدخل المنزل وتقترب لسلمى تحتضنها وتحدثها:

- سلمى، هل نترك أمك تذهب لعملها ونحن نذهب لنكتشف ألعابا جديدة مع أطفالي.

وافقت سلمى بإيماءة وهي مازالت تبكي، فنظرت شيرين إلى هند وهي تحدثها:

- لتذهبي لتنهي الأمر، لا تقلقي على سلمى، سأعتني بها.

شكرتها هند ونهضت لترتدي زيا سريعا وتخرج مع رجال الأمن وسط نظرات بعض من سكان العمارة لها وهم يقتادونها إلى إحدى سيارات الميكروباص الخاصة بهم.

وصلت هند إلى مكان مركز الأبحاث، لم تعد إليه منذ أن قاموا بإقالتها، لم تفهم ما الذي يحدث وما سبب تواجد تلك السواتر الخرسانية الموضوعة أمامه فهي لم تكن تتابع الأخبار، لذا دخلت السيارة إلى مبنى المركز لتكتشف هند أن هنالك جانبا كاملا قد سقط منهارا وانتشرت عناصر الأمن في المكان، كل ذلك وهي لا تعلم سبب إحضارها إلى المكان. توقفت السيارة وهبطت هند منها وتم اقتيادها إلى إحدى الغرف وأُغلق الباب وعينت حراسة عليه، وانتظرت هند حتى يفرغ العقيد أشرف من التحقيق مع عماد.

في الغرفة الأخرى اعترف عماد بكل ما حدث داخل الثقب، منذ اللحظة التي هبطوا بها داخل البحيرة وقابلهم رجال البستان ومقابلتهم للشيخ صالح، حتى قتل چايدا وهروبهم وخروجهم من البستان، ذلك حين تم انتشالهم من الماء، جلس العقيد أشرف يستمع لكل حديث عماد وما أن انتهى حتى نظر له أشرف وهو حانق:

- هل تتعاطى شيئا ما؟، هل تظن أنني سأصدق ما قلته؟

- أقسم لك بأن ذلك ما حدث حقا، ولقد كذبت في أول الأمر ظنا مني أنني أحمي أهل البستان من تهجيرهم أو أخذ أرضهم عنوة ولكن سمير لا يتواجد في مكان إلا وجعله خرابا على الجميع، لقد قتل فتاتهم وسرق الجاردينيوم واستخدمه ليصنع أرضا مماثلة لأرض البستان.

- حسنا لندعي أن ذلك ما حدث، كيف لنا أن نزيل ذلك الحائل ونصل إلى سمير؟

- لا أعلم، لقد كان معه مسحوقا أبيض اللون جعلنا نخرج من شق صغير في الحائل هناك أما عن إزالة الحائل بأكمله فلا أعرف كيف، هو من قام بدراسة منطقة الثقب، أنا مجرد مهندس قمت بتصميم خوارزمية خاصة ترشده على أفضل مكان لدخول الثقب وفقا للبيانات التي أعطاها لي.

- أين نستطيع إيجاد ذلك المسحوق الأبيض؟

- لا أعلم من أين أتى به، ويجب أن يكون معه بالداخل وليس معنا هنا على حد علمي.

- لماذا إذا كتب اسمك للحضور؟

- لا أعلم، إنه لعين، يريد توريطي في كل خطأ يرتكبه.

- إذا لتأت معي لنسأله شخصيا.

جذب أشرف عماد من يديه واقتاده إلى مكان تواجد سمير بداخل الحائل وهو في الممر قام بالسؤال عن د.هند فعلم أنها حضرت فطلب جلبها إلى حيث يذهبون وبالفعل خرجت هند واقتادها أحد الرجال لتصل إلى حيث يقف العقيد أشرف وعماد وكادت أن تسأل أشرف عن سبب تواجدها ولكن عيناها وقعت على الطابقين المحتفظين بهيئتهم دون أعمدة تحملهم لتتسمر مكانها وتظل واقفة متجمدة لا تستطيع الحديث.

- مرحبا د.هند، أظن من تعابير وجهك أنك لست على علم بما يحدث.

لم تُجبه هند.

- وفق حديث المهندس عماد، فلقد أجرى د.سمير تجربة علمية باستخدام عنصر جديد غير معلوم يسمى جاردينيوم وتلك نتيجة تجربته، جانب مهدوم من مركز أبحاث الكون وجثتان والعديد من الإصابات، وحائل كروي لا نستطيع المرور من خلاله.

تحدثت هند باندهاش:

- كيف لا تستطيعون المرور، لا يوجد حائل بيننا وبينه، ماذا تقصد؟

أخرج أشرف هاتفه ليريها بعض المقاطع المصورة لما تم فعله لاختراق الحائل ولم يستطيعوا. شاهدت هند المقاطع لتزداد دهشتها ولم تصدق ما يحدث. اقترب أشرف من سمير الذي نهض عندما رأي أشرف يقترب منه، فأخرج أشرف هاتفه وكتب عليه" هل تستطيع إيقاف ما فعلته؟"، أشار له سمير وهو يهز رأسه نافيا بعدم قدرته إيقافه، فكتب له أشرف مجددا "لتقم بغلق المسارع عن العمل" فكتب له سمير " إنه متوقف منذ انهيار المبنى، لم يعد يعمل"، خاب أمل أشرف وعاد حيث يقف عماد وهند ويبدو عليه الغضب لأن الحلول التي أمامه قد بدأت تنفذ.

تحدث أشرف إلى عماد مجددا يحاول الضغط عليه لمعرفة طريقة قد تفيدهم في إنهاء ذلك الأمر فلم يجد إجابة ولكن هند تدخلت في الأمر حينها وقالت:

- تلك المادة تشبه التي اكتشفها عُمر جيد في نطاق حزام كايبر.

- ها قد عدنا إلى حديثك السابق، هل لديك شيء مفيد نستخدمه؟

- نعم، أحتاج إلى تحليل طيفي للمكان أولا.

- لقد أجراه أحد علمائنا وأخبرنا أنه لا يوجد شيء قد يفيدنا .

- لا، أريد أن أحلل الطيف الترددي للحائل وهو يتعرض للهجوم.

- هجوم؟، لم نوجه أي هجوم عليه، لا نعرف ماذا سيحدث إن قصفناه لذا ذلك الحل غير مطروح في الوقت الحالي.

- إن قصفتموه لن يحدث له شيء، وكلمة هجوم التي قلتها أقصد بها أن الحائل يشعر بأن هنالك خطر قادم عليه لذا يتحول إلى حالة الدفاع عن منطقته، ذلك ما حدث عندما تقدم زميلكم في البداية بسلاحه الناري، هذا يعتبر خطر لذا قام الحائل بصعقه، وأيضا حدث عندما توجه اللودر بأسنانه الحديدية لاختراقه فقام بإذابتها، وعلى العكس عندما شعر بأن الدخيل ليس خطرا فإنه لا يتخذ وضعية الدفاع بل يصبح مسالما فإما يرفض دخول الدخيل دون أن يؤذيه وهو ما حدث مع الإطفائي الأعزل، و إما يستقبل الدخيل ويسمح له المرور مثلما حدث مع القط حيث لم يمثل له أي تهديد.

استمع أشرف إلى كلام هند ووجد صعوبة كبيرة في تصديقه ولكنه أكمل حديثه معها:

- من أين جئت بتلك النظرية؟

- لأنني شاهدتها من قبل، هذا نفس ما فعله الجرم السماوي الذي رصدناه أنا ود.عُمر عند حزام كايبر.

- لكن هذا الشيء ليس بجرم سماوي، هذا من صنع سمير.

- أعلم. لكنه استخدم عنصر فضائي لصنع ذلك الشيء.

ثم أشارت بيدها إلى تلك الشعلة المتلألئة المضيئة.

- حسنا د.هند، ماذا تريدينا أن نفعل الآن؟

- أريد ضخ كمية من الماء باتجاه الحائل وبعدها سنقوم بضخ كمية من الكيروسين لنثبت صدق ما قلناه فالماء لا يعد خطرا، أما الكيروسين فيعتبر مادة مشتعلة، لنجرب الأمر.

- الماء وعربة الإطفاء متواجدين هنا، وبالنسبة للكيروسين فدقائق ويكون لديك خزان كيروسين جاهز.

أصدر أشرف تعليماته لتتحرك الضباط في تنفيذها، لحظات وتحركت عربة الإطفاء باتجاه الحائل وهبط منها الإطفائي ليخرج خرطوم الماء يوجهه ناحية الحائل وأعطى إشارة البدء لزميله ليخرج الماء مندفعا بقوة كبيرة باتجاه الحائل ليصده الحائل ويمنعه من العبور للداخل، نظر أشرف إلى هند وهو يشير إليها أن تجربتها لم تجدي نفعا فأمسكت هند مكبر الصوت الذي يوجه به الناس من يد أشرف وتحدثت إلى الإطفائي:

- هل يمكننك إطلاق الماء في السماء ليسقط على الحائل كأنه مطرا؟

أشار لها الإطفائي بيده وقام بتوجيه مسدس المياه إلى أعلى ليندفع الماء في السماء ويعود على شكل زخات مطرا على الحائل وحينها مرت قطرات الماء من خلال الحائل ووصلت إلى ما بداخله.

أعادت هند مكبر الصوت إلى أشرف وهي مبتسمة تحدثه:

- لننتظر التجربة على الكيروسين إذا.

لم تمض دقائق حتى وصلت سيارة محملة بالكيروسين إلى الموقع وبدأ العمال في تجهيزها لضخ الكيروسين على الحائل مثلما فعلوا بالماء. قام أحد الرجال بتوجيه المسدس إلى الأعلى وبدأت عملية الضخ ليرتفع الكيروسين في الهواء وبدأت قطراته تتساقط على الحائل حتى وجدت ما يمنعها من المرور فلم تعبر الحائل وظلت قطرات الكيروسين تهبط من على جوانب الحائل لتصدق رواية هند ويتحقق ما قالته.

نظرت هند إلى أشرف تحدثه:

- أتصدقني الآن؟

لم يُجبها أشرف لأنه وجد أحد العمال يركض باتجاهه يحدثه:

- لقد تسرب الكيروسين للداخل عبر فتحة بأعلى هذا الحائل سيدي.

أسرع أشرف ومن خلفه هند ينظرون إلى تلك الفتحة عن قرب وبالفعل تأكدوا أن الكيروسين يمر إلى داخل الحائل عبر منطقة معينة في الحائل، حينها صاح أشرف بالعمال المتواجدين:

- أريد رافعة حالا، لتمرروا حبلا عبر تلك الفتحة وتخرجوا سمير منها الآن وبسرعة.



في منزل د.يحيى فهيم، جلست چودل تشاهد الأخبار حتى عثرت على ذلك المقطع الذي يبين صعق ضابط البحث الجنائي من شيء غير معلوم، وظهر سمير وهو يقف في موقع الحادث، حينها علمت چودل أن ما توقعته قد حدث وأن هنالك حائل جديد قد تم خلقه بواسطة سمير، فنهضت چودل وهي تسرع بخطواتها توقظ د.يحيى فهيم من نومه لتريه المقطع وهي تخبره بلوم:

- ألم أخبرك أنه يخفي شيء ما؟، ألم أحذرك مما قد يفعله؟

استيقظ د.يحيى فهيم وهو يستجمع قواه للنهوض وهو يشاهد المقطع ليتحدث بصوت مكظوم:

- أيها اللعين.

ثم نظر إلى چودل يحدثها:

- كيف صنع ذلك الحائل، كيف له أن يعرف ذلك؟

- لا أعلم، لقد دخل المعمل هناك بالتأكيد، قد يكون قد توصل إلى بعض المعلومات هناك عن إنشاء الحائل، ولقد أخبرتك أنه قد أتى بشيء معه من البستان، لقد سرق ذرات الجبل.

- لم أكن أتخيل أن يستطيع سمير فعل ذلك، لقد قللت من قدراته.

- ما حدث سيخل بتوازن كوكب الأرض يا يحيى، ذلك الحائل الجديد يجب أن يدمر بأسرع وقت ممكن.

- كيف نفعل ذلك؟ لقد أنهار مبنى أبحاث الكون ومن المؤكد أن قوات الأمن تملأ المكان حاليا، كيف سندخل لتدمير الحائل؟

- لا أعلم ولكن كل دقيقة تمر فإن ذلك سيجعل أيامكم على الأرض معدودة.

- حسنا حبيبتي، سأفكر في الأمر وسنجد حلا، أعدك بذلك.

- لقد حذرتك مرارا من تلك العملية يا يحيى، أخبرتك بأنني لا أحتاج إلى تلك الشريحة، وحذرتك من سمير وكذبه المتكرر، لقد غدر بك في الأخير.

- هذا الوغد بعدما صنعت به معروفا كبيرا وكان من القلائل الذين حصلوا على دوائي وجعلته ينبغ في مجاله وأول شيء يصنعه هو الغدر بي!... ولكن أيضا لم يكن أمامي سواه يا چودل، هل كنت أتركك تموتين؟

- أنا لست مثلكم يا يحيى، لقد عشنا شبابنا سويا ومررنا بحياة جميلة مع بعضنا البعض، فلتتركني أسكن في صمت.

- هل لأنني أصبحت كهلا لا أستطيع السير دون عصا وأنت مازلت في شبابك لم تشيي فسيجعلك هذا تهربين مني؟

قالها وهو يضحك لتجيبه چودل:

- تلك العلاقة كانت يجب ألا تتم منذ البداية، لا أعرف ما الذي حدث لي.

- لقد وقعتِ في حبي وقررتِ مغادرة البستان معي، لقد كنت فتى تقع في حبه كل الفتيات الشابات.

- نعم الفتيات ولست أنا، لقد كسرت كل الحواجز والقواعد من أجلك، لا أعلم ما عقوبة ذلك.

- لقد قدمنا نحن الاثنين تضحيات كبيرة، ولم أتردد لحظة لإعداد خطة لجلب تلك الشريحة من أجلك، ولو استمر بي العمر لثلاثين عاما آخرين فسأبحث لك عن شريحة أخرى لك لتظلي بجانبي حتى أموت.

صمتت جودل بعد سماعها كلام يحيى وهدأت قليلا قبل أن تتحدث مجددا:

- أنا لا أريد الدمار لكوكبكم، يجب علينا أن نجد طريقة سريعة لإعادة التوازن على كوكب الأرض مجددا.

****

في موقع الحادث بمركز الأبحاث حضرت الرافعة وتم ربط حبلا قويا بها، قاموا بإمرار الحبل عبر تلك الفتحة التي اكتشفوها ليمر الحبل دون عائق وكان بانتظاره سمير الذي ربط نفسه بسترة نجاة مشبوكة بنهاية ذلك الحبل وبدأت الرافعة في الارتفاع والكل يترقب خروج سمير من الحائل وبالفعل نجحت الخطة وخرج سمير وكان أشرف أول من قابله بنظرة حادة غاضبة يحدثه:

- العقاب لم يبدأ بعد د.سمير.

وحينها أمر أحد الضباط بتقييد سمير واقتياده إلى مكتب التحقيقات.

انتهى أمر سمير وتبقى أمر الحائل فاتجه أشرف إلى هند يسألها:

- ماذا الآن، كيف نتخلص من ذلك الحائل؟

- نتخلص منه؟ لا، أريد دراسة الطيف الترددي للحائل في حالة الدفاع الصريح.

- ماذا تريدينا أن نفعل؟

- سنقوم بإلقاء صخرة ضخمة على الحائل وحينها سيتحول الحائل إلى خاصية الدفاع، حينها سألتقط قراءاتي الخاصة.

- تتحدثين عنه وكأنه جهاز ردع.

- هذا لأنه كذلك حقا.

- حسنا، سأتحدث مع رئيسي لنجهز لك ما أردت، هل تريدين شيء آخر؟

- نعم، أريد هاتفي الذي أخذوه مني حتى اطمئن على ابنتي سلمى.

تجهزت كل القوات استعدادا لتنفيذ خطة د.هند بعدما تم الموافقة عليها وتم إنقاذ سمير وإخراجه من الحائل وحينها بدأت تجاربهم الخاصة عليه، تم إعداد كتلة خرسانية يجتاز وزنها الطن، تم إنشائها على الجانب المتهدم من المركز المطل على الحائل، وقفت هند بجوار أشرف تعاين ما سيحدث وتقوم بتحديد أماكن الأجهزة التي ستلتقط التردد الطيفي الناتج عن الحائل، ساعدها في ذلك الحاسوب" جيد" الذي عاد إلى العمل مجددا بعدما تولى عماد إصلاح بعض الأجزاء التي تضررت جراء الهدم.

أشار كل فريق على جاهزيته وحينها أعطى أشرف الضوء الأخضر لبدء التجربة فبدأت هند بالحديث إلى الحاسوب:

- "جيد"، لتقوم برصد التردد الطيفي للمنطقة المحددة قبل وبعد إلقاء ذلك الحجر.

نظر لها أشرف وهو يتحدث بسخرية:

- حجر؟، هذا الحجر كتلته ١٠٠٠ كجم.

- لقد طلبت أن يكون أكبر من ذلك.

- تلك لدواع أمنية، هل تضمنين لي ما سيحدث؟ ضابط بحث جنائي طار في الهواء لعشرة أمتار بسبب ذلك الحائل، فلن نغامر بكتلة أكبر من تلك. كما أن الطابق فقد جزء من أعمدته الخرسانية وذلك الوزن هو المتاح لك حاليا.

أطاعت هند كلام أشرف وقامت باستكمال ارتداء ملابسها الواقية مثلما فعل كل من بالموقع وبعد انتهائها صاح أشرف في المكان ليحتمي الكل في الأماكن المُعدة لهم لحمايتهم وبعدها أمر ببدء التجربة.

تم ربط الكتلة الخرسانية بسلسلة حديدية وقام اللودر بالأسفل بجذب السلسلة لتتدحرج الكتلة الخرسانية في اتجاهها للسقوط على الحائل ووقف الجميع يترقب ما سيحدث وحينها هوت الكتلة الخرسانية على الحائل ليدوي صوت انفجار ضخم بالمكان وتنفجر الكتلة الخرسانية مخلفة آلاف الشظايا التي انتشرت في المكان.

انبطح كل من بموقع الحادثة وظلوا منبطحين وهم يشاهدون باقي فتات الكتلة الخرسانية تتساقط من السماء كأنها مطر خرساني. نهض

أشرف بسرعة وهو يأمر الجميع بالاحتماء وخرج من موقع الحادث يأمر سائقي السيارات بالابتعاد عن مكان الحادث ولم تمض ثوان حتى بدأت السماء تمطر صخورا صغيرة على السيارات وعلى المارة محدثة إصابات متفرقة للجميع، فزع أشرف بم يحدث وظل يساعد المصابين ويحاول إرشادهم للاختباء حتى تنتهي تلك الزخات.

مرت دقائق حتى انتهى الأمر وأصبح الوضع مستقرا بالمكان واطمئن أشرف أنه ليس هنالك إصابات خطرة بين الناس وحينها عاد إلى هند وهو غاضب بشدة لما حدث.

وصل إليها ليجدها تقف أمام شاشة عملاقة كبيرة والحاسوب العملاق يجيبها "التردد الطيفي متطابق بنسبة ٩٩٪"، استدارت هند لتجد أشرف في وجهها ووجهه حانق وهو يحدثها:

- لقد كدنا نقتل المارة بسبب تجربتك.

- لا ، كنت أعلم بان الحجر سيتحول إلى قطع متناهية الصغر لن تسبب أذى لأحد.

- وكيف كنتي تعلمين ذلك؟

- لأنني شاهدته من قبل، ألم أخبرك؟

ثم أشارت له هند بيدها إلى الشاشة العملاقة وتحدثت:

- الصورة اليمنى تلك هي كتلتنا الخرسانية وهي تنفجر لحبات صخور صغيرة، والصورة اليسرى هي الجرم السماوي الغير مرئي وهو يصطدم بأحد المذنبات في الفضاء. الاختلاف هنا أن تلك الصورة حدثت أمام أعيننا وقمنا بتجربتها، أما الأخرى حدثت بعيد عنا بثلاث شهور ضوئية.

حاول أشرف كظم غيظه وحاول مواكبة ما تقوله هند:

- وماذا يعني ذلك؟

- يعني أن الجرم السماوي الذي رصده د.عُمر جيد منذ سنوات وتم تكذيبه أصبح لدينا مثيله الآن على أرضنا ونستطيع إجراء تجارب عليه.

في ذلك الحين جاء أحد الضباط وهو مذعور يتحدث لأشرف:

سيدي هنالك اتصال من السيد رئيس الأمن السيادي لدونسيار.

وقفت هند بجوار أشرف وهو يجيب:

- نعم سيدي، لا لم يتعرض أحد للخطر، الجميع بخير هنا، مجرد حطام سقط على أسقف سيارات المارة.

- حسنا سيدي، سأتأكد بنفسي أنه لا يوجد أية إصابات.

تجهم أشرف فجأة ولم يرد على الهاتف ولكنه بعض لحظات أخفض الهاتف بعدما أنهى المكالمة ونظر إلى هند وهو يخبرها:

- د.هند لقد انتهى عملك هنا، لا يمكننا إجراء إي تجارب أخرى هنا.. وشيء آخر، ما حدث هنا هو سري للغاية، وسأقوم بإخلاء سبيلك لتعودي إلى منزلك وابنتك ولكن إن قمتي بالتحدث عن الأمر لأحد فسيكون هنالك عواقب كبيرة ستقع عليك.



غادرت هند موقع الحادث وعادت مجددا إلى منزلها، عرجت قبلها على منزل شيرين جارتها حتى تأخذ سلمى، طرقت هند الباب لتجد شيرين تفتح لها الباب وهي تضع يدها على فمها إشارة منها لهند ألا تصدر أية أصوات، علمت حينها هند أن الأطفال قد ناموا، تسربت السكينة إلى قلب هند عندما علمت بأنها أصبحت فارغة عن العمل لباقي الليل بعد نوم سلمى، اجتذبت شيرين يد هند تحثها على الدخول لتناول كوبا من مشروب ساخن ستعده بيدها، أحست هند بأن شيرين تتصرف معها وكأنهم أصدقاء منذ الطفولة، كانت شيرين على سجيتها تماما معها وتظهر لها العطف ولا تتأفف أبدا من طلباتها، لم تقابل هند شخصا كهذه طوال حياتها المضطربة المتقلبة.

أعدت شيرين كوبين من الكاكاو وجلست بجوار هند مبتسمة تحدثها:

- حمد لله على سلامتك، تلك المرة انتهيت سريعا من هؤلاء الأشخاص.

- نعم، تلك المرة كنت في صفهم أساعدهم عكس المرة السابقة.

- هل هؤلاء من قوات الأمن؟، لقد سمعت أحدهم يتحدث إلى رئيسه بصفة رسمية رصينة.

- نعم، ذلك كان الأمن السيادي، لقد كنت في مهمة قومية كما أخبروني.

- ماذا فعلتي؟، لتخبريني؟

كادت هند أن تتحدث ولكنها تذكرت حديث أشرف معها وعن سرية ما حدث ولكنها نظرت إلى شيرين وشعرت بأنها تحتاج إلى من تحكي له وتفضفض عما في مكنوناتها الداخلية، فسردت لها كل شيء دون أن تنسى حرفا.

جلست شيرين ترتشف من كوب الكاكاو وهي تستمع لهند وكأنها تشاهد فيلما خيالا علميا ممزوج بالأكشن، أبدت اهتمام كبير لكلام هند، الامر الذي جعل هند تستفيض في شرحها وتخبرها بكل شيء، حتى أن الأمر تطور وبدأت تسرد لها كل التجارب العلمية التي اشتركت بها مع عُمر جيد وأن تلك التجارب قد تثبت صحتها إن استطاعوا الربط بين ذلك الحائل الذي صنعه سمير وبين منطقة ثقب الهاوية، حينها اندمجت شيرين في حديثها مع هند وبدأت حتى في تقديم حلولا وتفتح أحاديث جديدة محاولة منها في مساعدة هند في إثبات نظريتها.

امتد الحديث بين هند وشيرين واجتاز الخمس ساعات دون أن يشعروا، كانت هند هي بطلة الكلام في ذلك الحديث ولم تهدأ وتنظر في ساعتها إلا بعد أن وصلت مكالمة إلى شيرين جعلتها تتوتر واضطرت إلى الاستئذان لتجيب عليها، غادرت شيرين ولاحظت هند احتدام الحديث بين شيرين ومن يحدثها بالرغم من أنها قد انعزلت في غرفة بعيدة عن هند، انتهت المكالمة وعادت شيرين إلى هند تحاول الابتسام قائلة:

- آسفة، هذا زوجي، يحدثني كل يوم ليخبرني أن أُتمم على كل شيء معه على الهاتف، هذا أمر غير محتمل.

- إنه قلق عليك بالتأكيد، يبدو أنه يحبك.

- أعلم أنه يحبني ولكن ما الفائدة في مراجعة قابس المكواة وأنا لم استخدمها طوال اليوم، هل أتى عفريت ليضعها ونحن لا نعلم، إنه

يحدثني فقط من أجل ذلك، وقد يصل هوسه بان أفتح له الكاميرا ليراجع معي كل شيء قبل أن ينام وعندما ينتهى لا يحدثني كلاما لطيفا حتى، يخبرني بأنه سيخلد للنوم وينام فعلا، أعتقد بأنه لا يثق بي.

تحدثت هند بنوع من اللطف :

- لا، لعل ذلك نوع من الوسواس القهري، أنت من يخبرنا بذلك فأنت من هي الطبيبة النفسية هنا، أليس كذلك؟

- نعم، أعلم بأنه قد يكون مصاب بوسواس حقا، ولكن لننس الأمر ونكمل حديثنا، لقد أخبرتني أنه يمكنك مطابقة ذلك الطيف الترددي للحائل مع منطقة ثقب الهاوية وحينها تستطيعي إثبات نظريتك لكنك لا تستطيعين ذلك لأنهم أنهو عملك في مركز الأبحاث.

- نعم، كل أبحاثي متواجدة هناك ، لا أستطيع الاضطلاع عليها.

صمتت هند فجأة ثم نظرت إلى شيرين وبدا وكأن حماس شديد يعتريها حتى أنها قامت لتقبل شيرين من خدها وهي تخبرها وهي تركض نحو باب الشقة:

- لتشكري زوجك نيابة عني.

رحلت هند من منزل شيرين تاركة الأخيرة في حالة تعجب مما حدث وما كادت تنهض من كرسيها لتغلق الباب حتى وجدت هند أمامها تحدثها بلهفة:

- هل يمكن لسلمى أن تبيت عندك اليوم؟، لدي بعض الأعمال التي يجب أن أفعلها.

أجابتها شيرين في ذهول:

- بالطبع، لا مشكلة.

ألقت هند قبلة أخرى على خد شيرين وانطلقت إلى منزلها تفتح حاسوبها، تذكرت أنها عندما أمرت الحاسوب "جيد" عندما عادت الى المركز امتثل لأوامرها ونفذها، لقد نسوا أن يعطلوا صلاحياتها في استخدام النظام، وعندما تحدثت شيرين مع هند عن زوجها وقلقه الشديد بمراجعة الأشياء حينها تذكرت بأنها يمكن أن تتأكد إن كان مازالت قادرة على الوصول إلى بيانتها الخاصة الموجودة في مركز الأبحاث. لذا جلبت الحاسوب وولجت إلى موقعهم الخاص واستخدمت المساعد الشخصي لتتحدث إلى الحاسوب:

- "جيد"، هل أنت موجود؟

- وانتظرت لحظات وهي في ترقب لتجد ردا على رسالتها:

- د.هند لمن الرائع سماع صوتك مجددا، بم أستطيع خدمتك؟

- تهللت أسارير هند وهي فرحة وقد علمت أن باستطاعتها الوصول إلى كل أبحاثها القديمة، بل تستطيع استخدام إمكانيات الحاسوب الخارق في بحثها القادم.

طلع الصباح وانتصف اليوم ولم تأت هند لاصطحاب سلمى فتسرب القلق إلى شيرين وذهبت إلى منزل هند تطرق الباب لتجد هند تفتح لها وهي تحمل اللاب توب بيدها ويبدو أنها مغادرة فسألتها شيرين:

- ألم تنامي من الأمس؟

- لا، لقد كنت أعمل على شيء هام، سأذهب لمقابلة شخصا ما وأعود، هل أستطيع أن أترك سلمى لديك اليوم أيضا؟

- نعم ، لكن ألن ترتدي حذائك حتى؟

نظرت هند إلى قدمها لتجدها مرتدية خُفيها، فعادت وارتدت حذاء كلاسيكي على ملابسها الرياضية وغادرت دون أن تغلق الباب متجه إلى العقيد أشرف في مكتبه في مبنى الأمن السيادي.



وصلت هند إلى مبنى الأمن السيادي بمدينة نالة، تقدمت إلى البوابة الأمنية ليقابلها أحد أفراد الأمن يسألها عن سبب اقترابها من بوابة الأمن فأجابته هند بأنها ترغب في مقابلة العقيد أشرف في أمر هام للغاية، اصطحبها فرد الأمن إلى غرفة الاستقبال حيث قابلها أحد المساعدين وهو يخبرها أن العقيد أشرف غير موجود ولم يترك تنويه لهم بأن أحد سيقابله وأن يجب عليها المغادرة ولا تأت إلا بميعاد مسبق، حينها تحدثت هند وهي تهدد المساعد:

- أنا أعمل مع العقيد أشرف في القضية الحالية، وإن جعلتني أغادر ولم تخبره أنني قد أتيت في أمر بالغ الأهمية وشيء سيساعده في حل القضية فأعتقد بأنه سيستاء جدا من الشخص الذي جعلني أغادر دون أن ألقاه، أليس كذلك؟

صمت المساعد وشعر بشيء من الحرج والخوف، لم يعرف كيف يتصرف في ذلك الأمر، فأجابها قائلا:

- لتنتظري وسأحاول التواصل معه.

خرج المساعد ولم يطل الأمر حتى عاد وهو يشير لأحد أفراد الأمن:

- لتصطحبها إلى مكتب السكرتارية وهناك سيصطحبوها إلى مكتب العقيد أشرف.

ابتسمت هند في وجه المساعد ابتسامة خبيثة وكأنها تخبره أنها قد انتصرت، حينها نهضت هند وسارت خلف فرد الأمن حتى وصلت إلى

شخص آخر الذي بدوره اصطحبها إلى مكتب صغير في غرفة خالية من الأثاث انتظرت هند فيها قدوم العقيد أشرف.

توجه العقيد أشرف إلى مكتب رئيسه لإبلاغه بأمر حضور هند إلى مكتبه في أمر بالغ الأهمية، طرق الباب وانتظر إذن الدخول ليطلب رئيسه منه الدخول. ما أن دلف أشرف إلى المكتب حتى وجد ضيفا مع رئيسه فاعتذر أشرف:

- هل آتي لسيادتك في وقت آخر؟

- لا لتدخل يا أشرف كنت سأرسل لك، هذا د.محمد عارف، مستشار السيد رئيس الجمهورية لعلوم الفضاء، لقد كلفه السيد الرئيس بمتابعة أمر الحائل وتقديم تقرير يرفعه لسيادته في مقره بالعاصمة غدا.

- نعم أعرف د.محمد عارف جيدا، كنت أتابع برنامجه التلفزيوني عن أسرار الكون منذ سنوات.

أومأ له د.محمد عارف وابتسم لسماعه ذلك الكلام، فأكمل رئيس أشرف:

- د.عارف يريد كل البيانات التي حصلنا عليها بخصوص ذلك الحائل وما تم من تجارب حتى الآن، لنساعده فيها حتى يستطيع إنهاء عمله بسرعة لعرض الأمر على السيد رئيس الجمهورية.

- بالتأكيد سيدي.

- كدت أنسى، لماذا جئت إلى مكتبي في الأساس؟

- حسنا، لقد أتت د.هند حافظ إلى المبنى تريد مقابلتي وأخبرتهم بأن لديها معلومات هامة تخص الحائل.

هنا تدخل د.محمد عارف يستفسر:

- د.هند حافظ المديرة السابقة لمركز أبحاث الكون؟

أجاب أشرف:

- نعم سيدي.

أكمل رئيس أشرف:

- لقد ساعدتنا تلك العالمة في بحثنا الأولي عندما وقعت الحادثة في المركز، قدمنا شكرا لها على مجهوداتها، ولكن يبدو أنها لم تكتفي بذلك ومازالت تبحث في الأمر.

تحدث د.محمد عارف:

- د.هند تتلمذت على يد د.عُمر جيد مثلنا جميعا، بل كانت أكثر العلماء قربا له، لذا إن كانت تقول بأن لديها معلومات فأنا أثق بأنها معلومات هامة قد تفيدنا.

ثم أكمل د.عارف حديثه:

- هل تسمح لي سيدي أن أستمع إلى حديثها مع العقيد أشرف؟

- بالتأكيد، نستطيع الاستماع لحديثهم ونحن هنا في مكتبي، أم تريد توجيه أسئلتك إليها؟

- لا، أعتقد أن أستمع للأمر من بعيد سيكون أفضل.

حينها أعطى رئيس أشرف الإذن له وسمح له بالمغادرة لإجراء تلك المقابلة مع د.هند.

لم تمكث هند وقتا كثيرا حتى دلف العقيد أشرف من باب الغرفة ويبدو عليه الحنق وهو يتحدث إليها:

- تعملين معي في القضية؟، تلك حجتك لمقابلتي؟

- آسفة لقولي ذلك ولكن كان يجب آن أراك.

- لماذا يجب أن تراني، لقد شكرتك على ما فعلتيه والمعلومات التي أعطيتني إياها، وفي المقابل أنت لم تشكريني على أنني أطلقت سراحك لتعودين إلى منزلك معززة مكرمة، كان يجب علي أن اتحفظ عليك مع زملائك.

- ولحسن حظك أنك لم تفعل، لأنني عندما عدت إلى منزلي حصلت على معلومات جديدة ستفيدكم في قضيتكم، صحيح، ماذا فعلتم بالحائل؟

- ليس لك دخل بما لا يخصك وقد يضعك في مشاكل... ما هي تلك المعلومات التي وصلتي إليها؟

- حسنا ولكن أولا أريد موافقة منك أنني سأكون مشاركة معكم في العمليات الاستكشافية.

- هل أنت هنا تتشرطين؟، لن تحصلي على شيء هنا سوى ما نريده نحن وإن أخفيت شيئا عنا فستعرضين نفسك للسجن.

- حسنا، حسنا، لا داعي لذلك الحديث لقد أتيت بنفسي إليك لأخبرك أنني قمت بدراسة طيف الحائل وقارنته بما قمنا بدراسته عن منطقة ثقب الهاوية.

- حسنا وماذا بعد ذلك؟

- أولا لقد حصل عماد على بعض المعادلات الرياضية من سمير، وأخبره سمير أنها تخص العبور من الثقب وبها الزمان والمكان المحددين للعبور، تلك المعادلات لم أرى لها مثيل من قبل، حتى أنها قائمة على نظريات لا نعلمها نحن كعلماء وبحثت عنها في كل مكان ولم أجد أصلها، الشيء الآخر هو استخدام معامل ذو قيمة محددة في تلك المعادلات، لقد أخبر سمير المهندس عماد بأن يستخدم ذلك الرقم في التعويض عنه في المعادلات، هذا الرقم هو عامل رئيسي في تلك المعادلة ولكنه لم يخبر أحد من أين أتى هذا الرقم وكيف وصل إليه، أعتقد بأن هناك شخص آخر قد أعطى ذلك الرقم لسمير ليستخدمه ليدخل إلى الثقب به لسبب ما.

- تعتقدين؟!، حسنا أشكرك على إضاعة وقتي، سنستجوبهم ونعلم منهم ماذا حدث ومن متواطئ معهم في الأمر، يمكنك المغادرة الآن.

- ولكن ذلك ليس سبب مجيئي، هنالك شيء آخر.

- الصبر من عندك يارب، ماذا هنالك أيضا.

- حسنا فلتركز معي فيما سأقوله، بعد دراسة الطيف الترددي لمنطقة ثقب الهاوية في الوقت الحالي اكتشفت أن هنالك نافذة مفتوحة للعبور إليه بالرغم من أنها لم تكن موجودة من قبل، هل تعلم متى فتحت تلك النافذة؟، في نفس توقيت إنشاء سمير للحائل في مركز

الأبحاث وعندما قارنت أماكن النافذتين في الحائلين وجدت أنهم يقعان على خط واحد وكأنها قناة اتصال بينهم، وعملية الزحزحة التي حدثت للحائل في مركز الأبحاث، أعتقد بأنها قوى تنافر ناشئة بين الحائلين، لذا فأنا أوكد لك أن هناك تواصل ما بين المنطقتين وتلك النوافذ هي طريقة التواصل.

- هل أنت متأكدة من وجود نافذة مفتوحة لدى منطقة ثقب الهاوية؟

- نعم ويمكننا اختبار الأمر إن أردت، سيمكننا إرسال طائرة مسيرة تستكشف المكان إن أردنا ولن تخسر شيئا ولكن هنالك شيء آخر.

نظر لها أشرف بضيق وغضب فاعتذرت هند وأكملت:

- بالنظر إلى حجم النافذة التي فُتحت في حائل مركز الأبحاث والنافذة التي فتحت في منطقة الثقب فإنهما متساويتان وقد كانتا ذي قطر يقدر بثلاثة أمتار هنا وهناك، وباعتبار أن مساحة الحائل بالمركز أصغر بكثير من منطقة الثقب في المساحة فان حجم الفوهة يتبع المساحة الأصغر وفي حالتنا تلك كان حائل مركز الأبحاث، وبمراجعة البيانات التي سجلت عند عبور سمير وعماد من الثقب كان قطر الفوهة التي عبروا منها يقدر ب ٩٠٠ متر ، وكان اتجاهه إلى السماء واستمر لمدة ثمان دقائق ثم بدء يغلق مجددا.

- أنا لا أفهم شيء منك، لتفسري الأمر بصورة أوضح؟

- هنالك حائل أكبر من حائل منطقة الثقب ب٣٠٠ ضعف يدور في مدار حول الأرض في الفضاء ولا نراه وعندما يقترب مداره من الأرض تُفتح نافذة في منطقة الثقب مع ذلك الحائل وبمقارنة المسافات مع

بعضها البعض فأنا أخبرك بأن هذا الحائل الضخم يبعد عن الأرض بمسافة ٣٠ دقيقة ضوئية، أي إنه يتواجد في نطاق حزام الكويكبات.

- انتظري، انتظري، هل تخبرينني أن هنالك حائل أكبر ولا نستطيع رصده وهو موجود في السماء الآن ويدور في مدار حول الأرض وهنالك تواصل بين الحوائل بعضها البعض؟

- نعم بالضبط.

- هل تريدينني أن أخبر رئيسي بذلك الأمر؟

- نعم، يمكنني أن أشرح له تفصيليا إن أراد.

- أنت مجنونة، أنا شخصيا لا أصدق ما تقوليه.

- لدي كل المعلومات الخاصة بذلك على تلك الفلاشة يمكنكم عرضها على علمائكم هنا وسؤالهم إن أردتم.

نهض أشرف من كرسيه وهو يشير إلى هند بالبقاء في مكانها وما كاد يخرج من الغرفة حتى نادته هند:

- سيدي، لقد طلبت منك في البداية أن أشارككم ذلك الاستكشاف، أريد إيضاح شيء بسيط، أريد المشاركة فقط لأبحث عن زوجي د.عُمر جيد، لقد علمت بأنه مازال حيا هناك.



غادرت هند مبنى الأمن السيادي بعدما أخذت وعدا من أشرف بأن يتواصل معها إن توصل إلى أية معلومات أخرى متعلقة بشأن د.عُمر جيد، وعرضت عليه هند تقديم مساعداتها دون أي مقابل وتعهدت له بأنها ستحتفظ بكل المعلومات التي أخبرتها له ولن تتحدث مع أحد عن الأمر إلا تحت إدارتهم.

اتجه أشرف إلى مكتب رئيسه حيث استمع د.محمد عارف إلى المقابلة كاملة، ما أن دلف أشرف إلى المكتب قام د.عارف بتحيته وشكره على هذا اللقاء وعن تلك المعلومات التي حصّلها من د.هند، حينها طلب د.عارف الاضطلاع على الفلاشة التي أعطتها هند له، نظر أشرف إلى رئيسه وكأنه يستأذنه إن كان يعطى الفلاشة لد.عارف أم لا، حينها تحدث رئيس أشرف:

- لا مشكلة سنعطي لك نسخة ويبقى الأصل لدينا.

- أستميحك عذرا يا سيدي، لكن أستطيع أخذ نسخة منها هنا، لدي حاسوبي الشخصي معي.

- حسنا، لكن يجب أن أخبر السيد رئيس الأمن السيادي بدونسيار أولا.

- حسنا، وأنا سأتصل بالسيد رئيس الجمهورية لأطلعه بالأمر أيضا.

وبالفعل قام د.عارف بالاتصال بمكتب السيد الرئيس وطلب منهم تحويله بسيادته وبالفعل تم تحويله وحينها تحدث د.عارف مع رئيس جمهورية دونسيار ليخبره بأنه أتم الزيارة وحصل على بعض المعلومات

الهامة وسيعرضها على سيادته في الصباح الباكر ولكن بعض المستندات تحتاج إلى بعض الموافقات الأمنية. حينها صمت د.عارف وفجأة أعطى الهاتف إلى رئيس الأمن الذي نهض متفاجئا بما يحدث وهو يجيب الهاتف:

- أفندم، مع سيادتك رئيس مكتب الأمن السيادي بمدينة نالة.

أجابه الرئيس:

- فلتعط د.محمد عارف كل المستندات اللازمة وتساعدوه في مهمته.

- عُلم وينفذ سيدي.

انتهت المكالمة وبدا على رئيس الأمن التوتر لما حدث للتو ولكنه استدرك الأمر فتحدث إلى أشرف :

- لتعطه الفلاشة، وسنخبر رئيسنا بعد مغادرة د.عارف المكان.

تحدث أشرف بصوت متوتر:

- ألن نعطي رئيسنا معلومية بالأمر؟

أجابه رئيسه بصوت غاضب:

- لقد أخبرتك بأن تسلم الفلاشة وتنصرف.

تغيرت ملامح وجه أشرف وهو يسلم الفلاشة لد.عارف وأدى التحية لرئيسه وانصرف.

تحدث د.عارف:

- آسف إن كنت تسببت لك في إحراج ولكن ذلك تسريعا للإجراءات فقط لا غير حتى أستطيع اللحاق بتقديم تقرير شاملا لسيادته في الصباح.

- لا، لا تتأسف د.عارف، كنا سنساعدك في أي شيء تريده بالتأكيد.

أخذ د. عارف الفلاشة ليأخذ منها نسخة على حاسوبه وغادر مدينة نالة عائدا إلى العاصمة حيث استعد لتقديم تقريرا يتم عرضه في الاجتماع الأمني الخاص بأمر حادثة مركز الأبحاث.

قام رئيس الأمن السيادي بنالة بالاتصال برئيس الأمن السيادي بدونسيار ليستشيط الأخير غضبا لما حدث وانهال عليه بسيل من التوبيخ لما حدث متهما إياه بالتقصير وترك المعلومات تخرج من مكتبه بتلك السهولة، رغم تبرير الأمر بأن رئيس الجمهورية هو من أمره إلا أن ذلك لم يكن شفيعا له لدى رئيس الأمن السيادي وانتهت المكالمة بتحويل رئيس أمن مدينة نالة إلى التحقيق مع وعد بإقالته في أقرب فرصة ممكنة.

أغلق رئيس أمن مدينة نالة الهاتف وقلبه المضطرب جعل جسده ينذره بشيء ما يحدث، حينها ضغط على زر بهاتفه ليطلب السكرتارية تستدعي الإسعاف على الفور.

****

في مدينة العاصمة وفي قصر الحكم وخلال اجتماعي أمني ترأسه رئيس الجمهورية ورئيس الأمن السيادي ووزير الدفاع العسكري ود. محمد عارف مستشار السيد الرئيس لعلوم الفلك والفضاء، بدأ الاجتماع

بحديث د.عارف عما حدث، بداية من الحائل الذي أنشأه د.سمير وربط الأمر بمنطقة الثقب واستبعد فرضية أن هنالك أجراما فضائية غير معلومة في الفضاء لذا لم يذكرها في الاجتماع، أنهى د.عارف عرضه وحينها طُلب منه المغادرة لاستكمال الاجتماع الأمني الذي تم فيه عرض اعترافات المهندس عماد الذي أكد بأن هنالك حياة بداخل الثقب وأن هنالك تطور كبير ومجالات علمية متطورة لم يكن يعرفها أحد.

بعد عدة مباحثات في الاجتماع والاستماع إلى الآراء، انتظر الجميع قرار السيد الرئيس الأخير في الأمر، أخذ الرئيس وقته ووجه حديثه إلى وزير الدفاع يأمره:

- إن كان هنالك نافذتان تربطان حائل مركز الأبحاث ومنطقة الثقب، فلتقم بتفجير المنطقتين من الداخل وفي نفس التوقيت، لا أريد شيئا مغلقا هنا لا نعلم عنه شيء، ولتقوموا بإعداد لجنة من علمائنا لتقوم بدراسة ذلك العنصر الفضائي وتحديد مهامه ووظائفه التي يستخدم بها وتحديد أي دولة أخرى اكتشفته قبلنا وفيما تستخدمه وهل ذلك الأمر يتضمن التجسس علينا أم لا، يجب أن يتم ذلك في أقرب وقت ويجب علينا مسح المنطقة بالكامل واكتشاف ما بداخلها واستجواب كل من له علاقة بالأمر، كل ذلك تحت ستار السرية التامة.

بعدها نظر السيد الرئيس إلى رئيس الأمن السيادي يحدثه:

- مهمتك هي الحفاظ على سرية المهمة، سيكون الاستجواب في مكاتبكم الخاصة وتطلعني على كل جديد باستمرار.

حينها تحدث رئيس الأمن السيادي يبدى بعض ملحوظاته:

- ألا يمكننا استكشاف المكان من الداخل أولا دون تفجيره سيدي؟، لأننا إن فجرناه سيكون قد أضعنا معلومات كثيرة لا نعلمها عنه، كما أننا لسنا متأكدين عمن أنشأ تلك الحوائل.

- تلك أرضنا وأيا كان من فعل ذلك فغير مسموح به، سنفجر الحائل لنخبره أننا نسيطر على ذلك المكان وألا يقترب منها مجددا.

- يمكنني معرفة ماهية الأمر وطبيعة ذلك المكان سيدي الرئيس، لتعطني بعض الوقت وسيكون هنالك تقرير شامل وكامل عن منطقة ثقب الهاوية.

- المنطقة لديك منذ سنين ولم تكتشفوها، لقد أصدرت القرار، ليتم تفجير الحائلين، وليكن الأمر غدا وسأنتظر ردا منكم عما تم، انتهى الاجتماع.

غادر رئيس الأمن السيادي وهو حانق ولم ينتظر التنسيق مع وزير الدفاع الذي كان مسئولا عن تفجير الحائلين بأسرع وقت، وبالفعل تم التنسيق بين الجهات المعنية واستعدت طائرة مقاتلة للتحليق بالقرب من الثقب وهي مستعدة لإطلاق أحد صواريخها وتواجد صاروخ آخر موجه إلى الحائل المتواجد في مركز الأبحاث وكلاهما أخذوا تعليمات بتوجيه ضربتهم باتجاه نقطة معينة بداخل الحائلين وأن تكون الضربتان في نفس التوقيت بالظبط.

أعطت القوات تمام استعدادها وكانوا في انتظار الأوامر وقد أتت سريعة لينطلق الصاروخان لينسفوا هدفهما في نفس اللحظة ليتلاشى الحائلين في نفس الوقت وتصبح المنطقتين ممهدتان لدخول القوات لتمشيطها ومن بعدها وصل العلماء لاستكشافها.

****

مرت سبعة أيام على عملية تفجير الحائلين دون علم هند بما حدث، كانت هند في منزلها تلعب مع سلمى عندما وجدت جرس المنزل يرن، نهضت هند وفتحت الباب لتفاجئ بالعقيد أشرف أمامها وخلفه رجلين ضخام البنية فانقبض قلبها وشعرت بخوف من تلك الزيارة، تحدث العقيد أشرف:

- هل لنا بدقيقة من وقتك؟

أجابت هند وهي متوترة فزعة:

- بالطبع.

- بالداخل إن سمحت لنا.

سمحت لهم هند بالدخول وأمرت ابنتها سلمى بالدخول لغرفتها ونظرت إلى العقيد أشرف تنتظر ما سيقوله:

- هل هنالك مكان تستطيعين ترك ابنتك فيه؟

خفق قلب هند وهي تسأل والرعب يتملكها:

- لِمَ؟

- لقد تم اختياري واختيارك كأعضاء في لجنة من رئاسة الجمهورية للذهاب لاستكشاف منطقة الثقب بعد إزالة الحائل.

- هل تمت إزالة الحائل؟، متى حدث ذلك؟، وعُمر؟، هل وجدتموه؟

- لهذا جئت إليك، لقد طلب د.عُمر جيد رؤيتك.

الفصل الرابع

السر

٤٠

تحركت هند مع العقيد أشرف ورجال الأمن السيادي بعدما أعدت حقيبتين كبيرتين مليئتين بالملابس، واحدة لها والأخرى لسلمى. قبل الرحيل عرجت هند على جارتها شيرين، ما أن رأتها شيرين حتى فطنت لما تريد، حتى سلمى لم تدع لها فرصة للحديث فاندفعت إلى داخل المنزل باحثة عن الأطفال لتلعب معهم. ونظرت هند إلى سلمى نظرة اعتذار وكأنها تخبرها أنها مضطرة للأمر، لم تعقب شيرين لما يحدث ولكنها اكتفت بكلام هند لها وهي تخبرها:

- سأخبرك بكل شيء عندما أعود.

أغلقت شيرين باب منزلها ورحلت هند مع أشرف وحينها ومن باب الفضول سألها أشرف:

- ما قصدك بجملة سأخبرك بكل شيء عندما أعود؟

- لا، تلك جملة نقولها نحن السيدات إذا كنا في موقف محرج. لكن لا، بالطبع لم ولن أخبرها بأي شيء يخص مهمتنا.

صمت أشرف ولم يعقب لتكمل هند:

- إلى أين نحن ذاهبون؟، لتخبرني كيف هو حال عُمر؟

- سنذهب إلى مقر الأمن السيادي بالعاصمة أولا لمقابلة د.عُمر جيد ومن هناك ستنطلق اللجنة إلى منطقة الثقب لمعاينتها، ود.عُمر بمشفى الأمن السيادي، يجرون عليه بعض الفحوصات الطبية.

- هل سنذهب إلى العاصمة الآن؟

- نعم هنالك طائرة تنتظرنا لتُقلّنا إلى مستشفى الأمن السيادي.

لم تدم الرحلة كثيرا حتى هبطت الطائرة على مهبط طائرات المشفى ونزل منه أشرف وهند واتجهوا إلى الغرفة حيث وضع د.عُمر جيد، كان قلب هند يزداد خفقانا كلما أحست بقربها من مقابلة د.عُمر وظهر الأمر جليا عليها ولاحظ أشرف تلهفها وتوترها فقام بإيقافها وهو ينظر لها في عينيها يحدثها:

- حسنا، لقد أخفيت عليك الأمر حتى لا تنزعجي طوال طريقنا، لكن د.عُمر جيد ليس على ما يرام، لا يزال على قيد الحياة ولكن حالته سيئة، في الواقع لقد توفى كل الطاقم الذي ذهب معه إلى الثقب لم يتبقى سواه، لذا أرجو منك أن تتفهمِ الأمر وأن تتمالكِ نفسك.

دب الرعب في قلب هند عند سماعها ذلك وشعرت بالخوف، كانت نظرات أشرف كفيلة لتوضح لها مدى سوء الحالة ولكنها استجمعت قواها وأخبرته أنها مستعدة للقاء، حينها طرق أشرف على حائل زجاجي من ورائه ستار وضع لإخفاء ما ورائه، طرق طرقتين ليقوم أحد ما بالغرفة الداخلية بإزالة الستار لينكشف ما في الغرفة وتضطلع هند بعينيها على من بالغرفة لتصدر صرخة رعب منها لا إراديا.

اقترب أشرف منها وهو يحاول تهدئتها وهو يخبرها :

- لقد أخبرتك أن الأمر صعب، يمكننا تخطي تلك المرحلة ونمضي قدما فيما نحن مكلفين به.

- لا، لا ، أريد الدخول إليه.

- هل أنت متأكدة؟

- نعم.

أمر أشرف الرجل المتواجد داخل الغرفة بفتح الباب ليستقبل هند عند مدخل الغرفة، كانت تتحرك وكأنها تسير على أشواك وحواف حادة، كلما اقتربت اكتشفت معالم أكثر في د.عُمر لم ترغب في رؤيتها أبدا، تحركت هند حتى اقتربت من علامة وضعت في الأرض باللون الأحمر ما أن اقتربت منها حتى أشار لها الرجل الذي أدخلها بالتراجع لتكون خلف تلك العلامة فوقفت هند وهي تنظر الى د. عمر تحاول حبس دموعها بعدما رأته أمامها عظما يكسوه جلدا، جلد قد انتشر القيح فيه وبدا أنه ملوث أسمر اللون، رغم وضوح علامات توحي بتنظيفه ولكنه مازال ينتج صديدا لا يتوقف، لم يعد هنالك لحما في جسده، فقده كله، لم يكن هنالك أي دليل على أن هنالك حياة بداخل هذا الرجل، قفصه الصدري بتدرجاته ظاهرة للعيان، مفاصل يده وأرجله بارزة واضحة من جسده، بدت عيناه وأنهم سيقعون من مقلتيهما وأنفه لم تعد موجودة وتركت فتحتين ملساءتين على وجهه، انكمشت شفتاه لتندثر بداخل فتحة فمه بعد سقوط أسنانه، وشعره الأبيض الذي اندمج مع ذقنه ليكسو وجهه بغزارة ويمتد إلى منتصف صدره، لم يستطيعوا تغطية جسده حتى لا يتضرر الجزء المتبقي من جلده المنسلخ. كانت هند وكأنها تنظر إلى مومياء محنطة منذ آلاف السنين.

وُضع د.عُمر على جهاز إعاشة وقد تم تقديم كل السبل الممكنة لمحاولة إنقاذه وعلاجه مما هو فيه، وقفت هند تتأمله ولم تتمالك نفسها فهربت الدموع منها وهي تضع يدها على فمها حتى لا يسمع أحد صوت بكائها، حاولت وهي بعيدة عن د.عُمر بثلاثة أقدام أن تنادي عليه بصوت حنون حزين:

- عُمر.

لم يجبها فكررت:

- عُمر، هل تسمعني؟

هنا تدخل الطبيب يجيبها:

- إنه يستيقظ لثواني ثم يغفو مجددا، يمكنني إخبارك عند استيقاظه.

- هل سيتعافى؟

- نحن نحاول، جميع أجهزته العضوية تعمل بنسب ضئيلة للغاية، لم نجد أي وريد صالح لإمداده بالغذاء، لقد انهار جسده وكان في طريقه للموت.

- يمكنني التبرع يما تريدونه إن أمكن، أنا زوجته وأقرب الناس إليه.

- لا يمكنني المغامرة بإجراء أي شيء له الآن، نحن نحاول إبقاءه حيا مع تنشيط أجهزته الحيوية مرة أخرى وحينها سندرس ماذا يمكننا فعله.

أكملت هند نظراتها الصامتة تجاه عُمر وهي لا تستطيع فعل شيء، هنا تدخل العقيد أشرف وطرق على الحائل الزجاجي لينتبه له الطبيب الذي أبلغ هند:

- أعتقد أن هذا كاف الآن، عندما يستيقظ يمكنكم القدوم والتحدث إليه.

استدارت هند وأخذت تسير في طريقها وهي مديرة وجهها للخلف تنظر إلى عُمر حتى وصلت إلي باب الغرفة لتغادر وهي مازالت تبكي.

استقبلها أشرف وهو يحدثها:

- لقد وجده رجالنا في هذا الشكل، بل كان أسوء من ذلك عند دخولهم منطقة الثقب، وجدوه بجوار الطائرة التي حلقوا بها في اتجاه الثقب، كل الطاقم كان بجوار الطائرة، وجدناهم هياكل عظمية، لقد اعتقدوا أن د.عُمر قد توفى أيضا ولكن الأطباء وجدوا أن قلبه مازال ينبض وحينها قدموا له الإسعافات اللازمة، لم ينج أحد من الطاقم سوى د.عُمر.

- كيف تدهورت حالته بتلك الطريقة، لقد أخبرني عماد بأنه قابله عند دخولهم الثقب وقد كان في حالة جيدة للغاية وظنوا أنه لم يكبر في السن حتى.

- لقد أخبرنا عماد بذلك، ومازال مصر على أقواله تلك ولكن الأطباء أخبرونا بأن تلك التقرحات والإصابات التي لديه حدثت نتيجة تراكم شهور عدة وتصل لسنوات، وما يؤكد نظريتهم أنهم وجدوا جثة د.باهر بجوار الطائرة عبارة عن هيكل عظمي وقد وضعوا توقيت وفاته يتراوح من ٩ إلى ١٢ شهرا مضوا، هذا قبل رحلة عماد وسمير إلى الثقب ومع ذلك فإن سمير وعماد يؤكدان في أقوالهم أنهم التقوا بد.باهر هناك.

- أنا لا أفهم، كيف يمكن ذلك؟

- لهذا نحن ذاهبون لمنطقة الثقب، لتحليل كل شيء حدث هناك، نريد كشف أكبر كم من المعلومات يفيدنا في اكتشاف أسرار تلك القضية.

- متى سننطلق إلى الثقب إذا؟

- جميعنا متواجدون هنا وفي انتظار حضور السيد رئيس الجمهورية.

- لماذا؟

- لأنه أراد متابعة ما يحدث ورؤية ما حدث للطاقم على الواقع ومقابلتنا قبل الانطلاق في رحلتنا، تلك مهمة سرية للغاية كما أخبرتك ولن يتم الإعلان عن شيء إلا بعد التأكد من كل تلك المعلومات.

- ما الأمر الذي يجعلها سرية لتلك الدرجة.

نظر أشرف إلى هند وحدثها بصوت منخفض:

- هذا لأنهم اكتشفوا فتاة في منطقة الثقب مازالت حية وبصحة جيدة ومن استجوابات عماد وسمير تعرفنا عليها، تدعى چايدا.

- وما السر وراء تواجد تلك الفتاة هناك؟

- السر هو أن سمير اعترف أنه قد قام بقتلها هناك، وبالكشف عليها وجدناها سليمة دون أي جروح.

- هل كان سمير يتوهم؟

- لا، بالكشف المدقق على الفتاة اكتشفنا أنها ليست بشرية.

٤١

دخل أحد أفراد الأمن يبلغ أشرف بأنهم يستعدون للتحليق ولكن ذلك لم يمنع هند من استكمال حديثها معه:

- كيف عرفتم أن چايدا تلك غير بشرية؟

- لقد علمت أن لديها كل الأجهزة الحيوية الموجودة لدى الإنسان وتعمل مثل مثيلاتها التي لدينا لكنها ليست ذات قيمة لديها، هي مجرد تضليل لنا عن حقيقتها.

- لا أفهم، هل توضح لي أكثر؟

- حسنا ضغط الدم المعتدل لدى الشخص العادي هو ٨٠/١٢٠، هي أيضا ضغطها مثلنا بالضبط لكنه لا يؤثر عليها بشيء، إن أخرجتي كل الدماء من جسدها فلن تتأثر، الطعنة التي تحدث عنها سمير من المفترض أنها أصابت قلبها مباشرة، وجدنا الندبة وقد شُفيت ولكن تلك الطعنة لا يمكن أن ينجو أحد منها أبدا، وما جعلنا نتأكد من أنها غير بشرية، فهي لم تأكل ولم تشرب منذ أن تم اصطحابها من الثقب، أي منذ أسبوع كامل، بدون أكل أو شرب أو تحتاج لعملية إخراج، مع كل ذلك ومازالت كل مؤشراتها طبيعية للغاية مثل إنسان عادي يمارس حياته الطبيعية.

- هل تحدثتم إليها وعلمتم حقيقتها؟

- حاولنا بشتى الطرق دفعها للتحدث، باللين والشدة والتهديد، لا شيء يؤثر بها، حاولت أن أهددها بالتعذيب إن لم تتعاون معنا ولم

يتحرك لها جفن أو ترمش بشكل خاطئ حتى أن قراءاتها الحيوية أثناء استخدام الغلظة معها مثل وقت اللين، ثابتة لا تتغير أبدا مهما حدث.

- هل تعتقد بأنها فضائية حقا وقد أتت مع الثقب من الخارج؟

- لا أعلم ولكنك إن رأيتيها فلن تصدقي أنها ليست بشرية، هي شخص عادي جدا، يمكنك أن تشاهدي ملايين منها في الشارع دون أن تعرفي أنها ليست بشر، لا أعلم لِمَ قد يكون شكل الفضائيين يشبهوننا لتلك الدرجة.

- إذا ماذا ستفعلون معها؟

- ليس لدينا شيء سوى انتظارها حتى تبدأ في الحديث، إنها تمضي اليوم كاملا تمشي داخل غرفتها بشكل منتظم، لا تكل ولا تمل، تنام في ميعاد محدد وتستيقظ في ميعاد محدد لا تتأخر ولو لثانية واحدة، لم تأكل ولم تشرب ولم تطلب أي شيء منذ أن قدمت إلى هنا، وكأن هنالك خلل حدث لها.

- هل يمكنني رؤيتها؟

- سنراها بعد عودتنا من رحلتنا، هيا حتى لا نتأخر سيقابلنا السيد الرئيس قبل التحليق بالطائرة.

نهض أشرف وحمل حقيبته وحقيبة هند وانطلقوا باتجاه ممر الطائرة حيث تجمع كل الفريق المكلف باستكشاف المنطقة، كانوا يقفون ينتظرون قدوم السيد الرئيس الذي أتى سريعا فوقف الجميع ينصت لما سيقوله السيد الرئيس:

- أولا أشكركم جميعا على استجابتكم السريعة لندائنا، أنتم أملنا في استكشاف تلك المنطقة المليئة بالأسرار، أتمنى منكم جميعا بذل قصارى جهدكم للانتهاء من حسم غموض تلك القضية، سأتابع كل المستجدات معكم أول بأول من هنا، وأخيرا تلك عملية سرية لا يمكن لأحد خارج مجموعتكم تلك أن يعرف شيئا عن تلك المهمة، لذا أتمنى لكم التوفيق وأن تعودوا سريعا سالمين.

انتهى اللقاء مع السيد الرئيس وحينها بدأت اللجنة تتحرك للصعود إلى الطائرة، كانت تضم عددا كبيرا من الأشخاص، أشخاص لم تعرفهم هند ولكن وسط هؤلاء سقطت عيناها على د. محمد عارف، أحد زملائها السابقين والذي كان له واقعة سيئة سابقة مع د.عُمر جيد وتم طرده من مجموعة العمل مع د.عُمر آنذاك.

كان د. محمد عارف يقف على باب الطائرة يحيي كل من يصعد عليها فسألت هند أشرف:

- ماذا يفعل محمد عارف هنا؟

- إنه هو المسئول عن تلك اللجنة، سنأخذ تعليماتنا كلها منه.

تبدل وجه هند لتندهش مما سمعته وتساءلت:

- من أعطاه تلك المسئولية؟

- السيد الرئيس بنفسه هو من عينه.

صمتت هند وتحرك الطابور لتنظر هند إلى د.عارف في وجهه لتتغير ملامحه وينظر في اتجاه آخر وكأنه لم يرها، فلاحظ أشرف الأمر فما أن عبروا ممر الطائرة حتى سألها:

- ماذا بينك وبين د.عارف ليتجاهلك لتلك الدرجة؟

- يتجاهلني؟، لم أفعل له شيء.

- لقد عارض بشدة أمر اصطحابك في تلك اللجنة، ورغم إصرار السيد رئيس الأمن السيادي، لكنتي خارج تلك الرحلة ولكن بعد عدة محاولات وافق بشرط. ألا يكون مسئول عنك طوال فترة الاستكشاف.

- لا أعرف لِمَ أراد استبعادي، ولكنه قد لا يريد أحد شهد طرده وتوبيخه أكثر من مرة من د.عُمر جيد أن يكون معه في مهمة ما، لقد كان ينعته في بعض الأحيان بالعالم البليد.

صمت أشرف ولم يتحدث بعد ما سمعه ليكملوا طريقهم إلى مكان جلوسهم، جلست هند وأشرف وانتظروا صعود باقي الأفراد حتى شاهدت د.سمير وعماد وهما يتم اقتيادهم مكبلين ليصعدوا إلى الطائرة فمالت هند إلى أشرف تسأله:

- لِمَ كل هؤلاء الأشخاص؟ ولماذا تأخذون سمير وعماد معنا؟

- لأنهم يريدون فحصا دقيقا للمنطقة وفي أسرع وقت، لذا ستجدين علماء من كل المجالات معنا على الطائرة، أما بالنسبة لسمير وعماد ذلك لانهم يريدونهم أن يرشدوهم على الأماكن التي زاروها في الثقب، كما سيتم توثيق كل ما سيحدث من أحداث هناك لدراستها.

- ولم تكبلون عماد؟ ما الذي اقترفه؟

- لقد كذب علينا، مازال مشتبه به رئيسي فيما يحدث.

- هل قمتم بالكشف عليهم؟، قد يكونون مثل تلك الفتاة؟ غير بشريين.

- لا تقلقي ، كل من على الطائرة تم فحصه جيدا، حتى أنت، قمنا بفصحك وأنت لا تعلمين.

اندهشت هند مما قاله أشرف ولم تعقب وأكملت طريقها حتى صعدت على متن الطائرة واستعدت للإقلاع ولم تمض دقائق حتى كانت الطيارة تحلق في سماء دونسيار مارة بمدينة دوارز ثم مدينة نالة ثم الى المحيط حيث تواجدت الجزيرة الغامضة التي كان يخفيها ثقب الهاوية.

هبطت الطائرة بسلاسة دون مشاكل، أصبحت المنطقة آمنة غير خطرة بعد إزالة الحائل. فُتح باب الطائرة واستعد الجميع للنزول إلى أرض الجزيرة، تم اقتياد سمير حتى يصبح أول الهابطين من درج الطائرة، ما أن بدأ في هبوط الدرج ورفع رأسه ليرى الجزيرة حتى تسمر في مكانه ولم يكمل نزول. وكزه الضابط المسئول عنه عدة مرات ليدفعه للنزول ولكن سمير ظل متسمرا في مكانه لا يتحرك، فدفعه الضابط بقوة فكاد يسقط من على السلم لولا أن الضابط ظل ممسكا بذراعه وحينها استفاق سمير وتابع النزول وسط نظرات الذهول لما رأى.

لم يكن عماد مختلفا كثير عن سمير، فهو من لحقه بالنزول وعندما رأى الجزيرة أصيب بالجمود هو أيضا وحينما نزل تبعه باقي أفراد اللجنة بانتظام وهم يستطلعون المكان.

هبط العقيد أشرف ومن ورائه هند تستطلع المكان من أعلى درجات سلم الطائرة، رأت هند سوادا قاتما في كل المكان بالرغم من أن الشمس مازالت مشرقة إلا أن المكان كان كئيبا لا يبعث الراحة أبدا، كان كل شيء على الأرض يبدو بالألوان الداكنة ، واشتمت هند روائح عدة كريهة

منفرة مما زاد الأمر قبضة في نفسها وشعرت بعدم ارتياح كبير للمكان بمجرد وصولها.

هبط الجميع وبدأ حينها د.محمد عارف توزيع المهام عليهم، وجدت هند أن الجميع قد تم تخصيص مهام خاصة به وقد تم توزيع أوراق استرشادية على كل من حضر إلا هي والعقيد أشرف الذي مال عليها يحدثها:

- يبدو أنني أيضا خارج نطاق مسئولية د.عارف.

- إذا ما هي مهمتنا هنا؟

- لا أعلم بعد، لم أظن أنه سيتركنا وحيدين هكذا.

- إذا أعتقد بأننا يمكننا الانضمام إلى أصحاب الخبرة بالمكان، لنلتحق بسمير وعماد.

كان الجمع قد انفض وكل مجموعة انطلقت في مهمتها في استكشاف المكان وتدوين كل المعلومات التي يستطيعون استخراجها من المكان، اقترب أشرف وهند من سمير وعماد وضباط الحراسة معهم، بدا عماد غير مصدق ما يراه وهو يقول:

- لقد تحول البستان إلى خرابة شنعاء، لقد رحل كل شيء من هنا، ماذا يمكن أن يكون قد حدث؟

تحدث معه أشرف:

- هل تتذكر أي شيء من تلك الأماكن يا عماد؟

- نعم كلها، هناك كان يوجد بحيرة جميلة وهنا كان رملا أصفرا يداعب قدميك بلطف، وهذا الكوخ المتهدم كان كوخنا الذي نقيم فيه.

انطلق عماد والجميع خلفه ينظرون إلي الكوخ المتهالك أمامهم، لم يكن له سقف وبابه غير موجود وتخرج منه رائحة كريهة، ترك عماد الكوخ وتحرك إلى كوخ شيخ القبيلة، دخله باحثا عنه ولكنه لم يجده، كان هنالك فراش بالي متسخ فقط وترك تحته بعض الديدان التي تتحرك باحثة عن غذاء.

تحدث أشرف:

- لقد وجدنا هيكلا عظميا هنا عندما أتينا بعد تفجير الحائل، كانت الجزيرة تعج بالهياكل العظمية الغير مدفونة في أماكن متفرقة، لقد ماتوا ولم يفكر أحد في أن يواري سوءة الآخرين.

هند: هل نعلم لمن تعود تلك العظام؟

أشرف: لم نتأكد من أي منها سوى على طبيب دونسياري تم فقده أثناء الإبحار مع عائلته بيخته الخاص منذ عام تقريبا، يبدو أنه ضل طريقة أثناء عاصفة ما ولقى الجميع حتفهم، ووجدنا جثته أعلى ذلك الجبل الرملي هناك.

عماد معقبا: هذا كان د.سعيد، هو أول من قابلناه هنا في البستان.

تابع أشرف: هذا فقط من تأكدنا منه، باقي العظام لأشخاص لا نعرفهم وغير مدرجين على قواعد بياناتنا ولكن وفق نظرية أحد علمائنا، قمنا بتحليل حمضهم النووي ووجد نسبة ارتباط بين أحفادهم الذين يعيشون في دونسيار. تلك العظام كانت تخص بعض الأشخاص الذين فقدوا على متن سفينة الأمة منذ أكثر من سبعين عاما مضت.

تدخل سمير في الحديث: ماذا تقصد؟ لم نرى أي قتلى هنا. تلك من أفعال جهازكم الأمني، لقد أحرقتكم الأخضر واليابس في المكان، لقد أبدتم أهل البستان على بكرة أبيهم.

أشرف: هل قتلناهم وتحللت أجسادهم بتلك الصورة في ٧ أيام؟، هل أحرقنا الارض كلها وبدلناها رمادا وحشرات في كل مكان؟، لماذا لا تعترفون أنتم عن مخططتكم وتريحونا من كل تلك الأسرار؟

عماد: سيدي العقيد أشرف نحن لا نكذب، لقد كنا هنا وقد كان البستان هو أفضل مكان رأيته في حياتي، كل شيء كان في أجمل صورة، كنت أنوي أن أبقى هنا مدى حياتي لولا ما حدث مع چايدا وهروبنا.

أشرف: چايدا، وتلك أيضا، لا ترغب في التحدث ويظن الأطباء أنها ليست بشر.

سمير: چايدا؟، لا يمكن، لقد تركتها والسكين في منتصف قلبها، لا يمكن أن تكون حية.

أشرف: إنها حية تسعى.

هند: حسنا لنأخذ فاصل، كفانا خلاف ولنفكر فيما جئنا من أجله، اكتشاف أكبر قدر من المعلومات عن المكان.

سمير: ما جئتم أنتم من أجله، أنا جئت مرغما.

عماد: يمكننا الذهاب إلى المعمل لعلنا نصل إلى شيء هناك، هذا إن كان موجود من الأساس.

أشرف: لم نجد هنا أية معامل، وجدنا مكان خرساني مصمت لم نستطع الدخول إليه .

عماد: أنا استطيع الدخول.

تقدموا جميعا متجهين إلى المعمل وهنالك وجدوا كل رجال اللجنة مجتمعين هنالك يحاولون إيجاد طريق للدخول، وقف د. محمد عارف يشرح للعلماء أنهم قد حاولوا كل الطرق العلمية لفتح تلك الكتلة الخرسانية ولكنهم لم يفلحوا في ذلك وحاولوا أيضا بالقوة التفجيرية ولم تحدث حتى خدش بذلك المكان، وسط حديثه مع الناس تقدم عماد وضغط على حروف منقوشة على الكتلة الخرسانية ليصدر صوت تفريغ هواء وينفتح باب الكتلة الخرسانية والكل ينظر إليه في دهشة لما فعله فنظر إليهم عماد يحدثهم:

- أنا أعرف كلمة السر، لقد أتيت هنا من قبل إن لم تصدقوني، كلمة السر تلك بلغة الفضائيين وترجمتها تعني "معمل ١".

٤٢

فُتح باب المعمل ودخل أعضاء اللجنة تباعا إلى الداخل وبقى بعض الأشخاص بالخارج كتأمين لهم إن حدث شيء، في الداخل بدأ الجميع ينتشرون يستكشفون ذلك المكان الجديد الذي لم تستطع اللجنة الاستطلاعية الأولى دخوله، كان الذهول والحماس هما العاملين المشتركين عند كل الحضور، لقد رأوا أجهزة لم يروها من قبل، تبدو أنها كانت تستخدم في شيء ما ولكنها الآن دون مصدر تغذية ومطفأة كلها، كان سمير وعماد هما من رأوا كل ذلك وهو يعمل، ولكن رغم أن الأجهزة كانت لا تعمل إلا أن المكان قد جذب انتباه الجميع ومكثوا وقتا طويلا وهم يتفحصون ما فيه، حينها تطوع عماد وبدأ في تعريف الأجهزة المتواجدة في المكان. كان أغلب الطابق الأول يحتوي على أجهزة الفلك وأجهزة الاتصالات الخاصة بمنطقة الثقب ووفقا لكلام عماد فإن تلك الأجهزة كانت المسئولة عن التواصل مع أجرام سماوية أخرى في الفضاء.

كان د.محمد عارف يتابع ما يقوله عماد وخلال جولتهم أمر بعض الرجال بمحاولة فك بعض الأجهزة لأخذها معهم ليقوموا بفحصها، ظل الرجال يحاولون اكتشاف طريقة لفك الجهاز ولم تنجح محاولاتهم، حتى أن بعض المهندسين تدخلوا لإيجاد طريقة ما لنزع الأجهزة من مكانها فلم يستطيعوا، الأمر الذي زاد من حنق د. محمد عارف وجعله عصبيا نوعا ما طيلة ما تبقى لهم في الرحلة.

حاول عماد استخدام المصعد للهبوط إلى الأدوار السفلية ولكن مصدر التغذية المنقطع منعه من ذلك، فتحرك ليقوم باستخدام النقوش مرة أخرى المحفورة على أحد الجدران ليُفتح أحد الأبواب من خلفهم فتوجهت الانظار إليه، تحدث عماد قائلا:

- تلك الكلمة في لغة الفضائيين تعني الدرج.

تحدث د.عارف إلى عماد:

- هل تعلمت لغتين جديدتين في ثمان ساعات فقط؟

أجابه عماد:

- لم تكن بثمان ساعات هنا، لقد قضينا نحو ستة أشهر.

تدخل أحد العلماء في الحوار وهو يسأل عماد:

- هل يمكنك أن تجرب كلمة "تشغيل المحرك" بلغتهم، لعلها تشغل تلك الأجهزة.

حاول عماد التفكير ومراجعة كلماته التي تعلمها من چايدا ولكن الأمر كان صعبا ولم يستطع التذكر حينها صاح د. محمد عارف:

- لا يهم ، لنكمل طريقنا حتى ننتهي ونرحل وسأرسل رجالا يعرفون كيف يستكشفون ذلك المعمل بأجهزته تلك.

كانت الكلمة محرجة نوعا ما لمهندسي المعلومات الذين اصطحبهم د. محمد عارف ولكنهم لم يعقبوا على ما قاله وبالفعل استمر الجميع في التحرك وتوجهوا إلى الدرج الجانبي وبدأوا في الهبوط إلى الطوابق السفلية تواليا وكل طابق كان عماد يشرح لهم أجهزته واستخدامها. حتى وصلوا إلى الطابق السفلي الأخير وحينها توقف عن الحديث، فسأله أحد العلماء:

- وما وظيفة ذلك الطابق؟

أجابه عماد:

- هذا الطابق كنت ممنوع من نزوله، لكن چايدا أخبرتني بأنه طابق خطر وغير مسموح حتى لها أن تدخله.

تدخل د. محمد عارف وهو يحدث عماد بغلظة:

- من إذا كان لديه القدرة على دخوله؟

- لا أعلم، لقد أخبرتني أن هنالك شخص آخر أعلى منهم سلطة هو فقط من يستطيع دخوله، لكنها لم تذكر اسمه قط.

تحدث د.عارف:

- حسنا لتجرب كلمة خطر بلغتهم لعله يفتح.

حاول عماد تذكر معنى الكلمة بلغة النقوش وقام بالضغط على الحروف الموجودة أمامه ولكن لم يحدث شيء، فتطوع أحد الاشخاص وأخبرهم أن يجربوا كلمة "الباب الأخير" ولكنها لم تفلح أيضا، حينها ولأول مرة تحدث سمير :

- أعلم كلمة السر.

حينها تقدم د. عارف وهو ينظر له بتفحص:

- كيف لك أن تعرفها؟

- لا يهم كيف عرفتها، المهم أنني أعرفها وأعرف على ماذا يحتوي الطابق ،ولن أخبركم كلمة السر حتى يتم تبرئة اسمي من كل التهم ضدي.

- هل تساومنا؟

- نعم، ولماذا لا أفعل؟، تلك فرصتي الأخيرة لأنعم بحياتي مجددا، هل أبددها؟

- أنا لا أساوم مُدانين.

ثم أمر د.عارف بعض من الضباط أن يحاولوا فتح الباب فانطلقوا جاهدين لفتحه وظل الأمر لفترة حتى اتضح عدم جدوى محاولتهم فعاد د.عارف إلى سمير يحدثه بشدة:

- اسمع يا هذا، لتخبرنا كيف نفتح هذا الباب وإلا ستحصل على معاملة قاسية عندما نعود.

- حسنا سأختار المعاملة القاسية، لكنك ستعود بلا أية نجاحات من رحلتك تلك، ستعود فاشلا خالي الوفاض تماما.

- لا تختبرني، أخبرنا بما يوجد في الطابق السفلي ذلك.

- يوجد هنالك شرائح من عنصر الجاردينيوم، عنصر الطاقة، وجاهزة للاستخدام، لقد رأيتها بنفسي.

حينها صمت د.عارف قليلا وأخذ يفكر في الأمر وعاد إلى سمير يحدثه بصوت أقل حدة:

- حسنا سأتحدث مع السيد الرئيس عن إمكانية الحصول على عفو لك نظير مساعدتك.

- ستتحدث؟، أنت لا تملك قرار نفسك إذا، فلِمَ تقوم بتوجيه الأوامر إلينا؟، أنت شخص عادي مثلنا فلتقم بعملك ولا تأمر أحدا.

- اللعنة عليك، أنا هنا بتكليف من السيد الرئيس وأستطيع أن آمر كل شخص هنا. لا تتحدث معي هكذا وإلا كان عقابك وخيما.

تحدث سمير بلا مبالاة:

- حسنا، سأحاول.

ازداد د.عارف غضبا وبدا عليه العصبية الشديدة ولكنه حاول كتم غيظه وهو يحدث سمير بغضب مكتوم:

- حسنا، إليك كلمتي، سيتم إعطائك عفو عما اقترفته.

- حسنا إذا، لا أعلم معنى الكلمة ولكني أعرف الحروف وترتيبها.

حينها أخبرهم سمير بالحروف بالترتيب حتى انتهى وفُتح الباب ولكن حينها استوقفهم عماد:

- انتظروا، هذه الكلمة تعني "نهاية الأمان".

توقف الجميع ولم يتحركوا وبدى عليهم الخوف، حينها تقدم د.عارف وهو يجذب سمير معه إلى الطابق الأسفل ومعه ضابطين لحمايته.

تفحص د.عارف المكان وقد بدا على المكان إنه فارغ تماما، لا يوجد أجهزة كالطوابق العليا ولا يوجد أي شيء يدل على استخدام ذلك الطابق في شيء فسأل سمير:

- أين شرائح العنصر التي قلت أنها هنا؟

- إنها هناك في خزانة مخفاة، لتضغط عليها وسيخرج إليك صندوق يحتوى على الشرائح .

أمر د.عارف أحد الضباط بفعل ما قاله سمير وبالفعل اتجه الضابط وضغط بيده على مكان معين ليخرج منه صندوق ولكنه كان فارغا لا يوجد بها شيء فغضب د.عارف وأخذ يصيح بسمير:

- هل تحاول السخرية مني؟

- لا، أقسم لك أنها كانت هنا، يبدو أن أحد أخذها، لقد كانت هنا آخر مرة كنت بها هنا.

ازداد د.عارف غضبا ولكن صوت أحد الضباط أتى من خلفه يحدثه:

-هنالك باب آخر مخفي يا سيدي.

هدئ د.عارف وتحرك في اتجاههم ونظر إلى ذلك الباب ونظر للخلف لسمير وكأنه يسأله عن الأمر فأجابه سمير:

- لا أعلم ما هذا، لم أعرف أن هنالك بابا آخرً.

حينها تحدث د.عارف وأمر الضابطين ليقوموا بتجربة نفس النقوش السابقة لينفتح الباب ولكنهم لم يجدوا ورائه شيء، لم يعد هنالك درج ينزلوا عليه، فقط فراغ سحيق يؤدي إلى الأسفل لم يستطيعوا معرفة عمقه، حينها تحدث أحد الضباط للضابط الآخر الذي فتح الباب بيديه وهو يشير إلى يد زميله:

- لماذا أصبحت يدك حمراء للغاية هكذا؟

بالطابق الأعلى حيث يقف باقي أفراد اللجنة منتظرين بترقب عودة د.عارف، انطلقت صافرات من جهاز بحوزتهم، أمسك أحد العلماء الجهاز وسلطه باتجاه الباب حيث غادر د.عارف وسمير منذ قليل وحينها صاح في الجميع:

- جهاز قراءة أشعة جاما يرصد قراءة ب ٢٠٠ ألف رونجتن، هناك تسريب إشعاعي، نحن نقف فوق مفاعل نووي، ليهرب الجميع حالا.

فزع الجميع عندما علموا بأن هنالك تسريب إشعاعي قد حدث، فركضوا يصعدون الدرج يهربون من المعمل.

وصل الجميع إلى السطح وغادروا المعمل وحينها عاد أحد علماء الفيزياء يطالب بغلق باب المعمل بسرعة حتى يقللوا نسبة الاشعاع لكن ضباط الحماية الخارجية رفضوا ووقفوا أمام الباب منتظرين خروج د.عارف.

اقترب العقيد أشرف من عالم الفيزياء يسأله:

- هل تلك نسبة إشعاع كبيرة؟

- تكفي لقتل كل البشرية في غضون شهر إن انتشرت في الهواء، لقد أظهر الجهاز قراءة ٢٠٠ ألف رونجتن وتلك هي أقصى قراءة له، من الممكن أن تكون أكبر بكثير.

بعد لحظات ظهر د.عارف وسمير يركضون من الأسفل وبدا عليهم التعب الشديد، ما أن خرج د. عارف الى الهواء حتى بدأ في التقيؤ بشكل عنيف.

وقف عالم الفيزياء بعيدا عن د.عارف يسأله:

- هل أغلقتم ما فتحتموه؟، لقد فتحتم غطاء مفاعل نووي بالأسفل.

- لا أعلم لقد شعرنا بالتعب المفاجئ فركضنا وتركنا الضابطين بالأسفل.

حينها خرج الضابطان من المعمل وهما يجيبان:

- لقد أغلقنا الفتحة مجددا ولكننا نشعر بأننا لسنا بخير.

نظر الجميع إلى الضابطين اللذان تحول وجههما إلى لون أحمر داكن وكأن الدم يغلي في وجههم وفجأة بدأت الدماء تنساب من عيونهم وأنفهم وأذنهم وسقط الاثنين على الأرض.

حاول زملائهم الضباط الاقتراب منهم لفحصهم ولكن عالم الفيزياء صاح بهم:

- لا تقتربوا، إنهم مشعون.

فابتعد الضباط عنهم وهم ينظرون إليهم والدماء تخرج من كل منطقة في جسدهم.

شاهد د.عارف ما حدث فسأل عالم الفيزياء:

- ماذا نفعل معهم؟

- لا نستطيع فعل شيء، لقد تعرضوا للمفاعل بشكل مباشر على ما يبدو، لقد ماتوا. يجب علينا دفنهم أسفل خرسانة من الرصاص والحديد لمنع انتشار الإشعاع الصادر منهم وإلا سيصل ذلك الإشعاع إلى دونسيار خلال ساعات.

حينها صدر صوت انفجار غير معلوم في المكان فساد الهرج والمرج بين أعضاء اللجنة وانتشر الذعر بينهم.

نظر عارف إلى الضباط المتبقيين وحينها أمرهم بالانسحاب وتحدث وهو يقاوم تعبه الشديد:

- لنغادر ذلك المكان حالا.



أسرع الجميع إلى الطائرة واتخذ الجميع أماكنهم وأعطى د.عارف الإشارة للطيار بغلق الباب والمغادرة فصاحت هند:

- انتظروا، العقيد أشرف لم يصعد معنا.

حينها نهض أحد ضباط الحراسة هو أيضا يتحدث:

- ذلك المهندس، عماد، لم يصعد أيضا.

اتجهت الأنظار إلى ذاك المقعد الذي كان يجلس فيه عماد وكان فارغا فتحدث د.عارف وهو يقاوم الألم الذي أصبح ملازما له:

- أين هو، أين تركته؟

- لقد فقدته عندما صاح الجميع بأن هنالك تسريب إشعاعي ويجب الخروج من ذلك المكان بسرعة فركضت مع الجميع ولم أرى عماد منذ ذلك الحين.

حينها بدت الأمور تصعب أكثر وأكثر على د.عارف، فلقد توفى ضابطان وهنالك عقيد مفقود ومهندس متهم في القضية هارب، كل ذلك أثناء المهمة التي كلف بإدارتها. لم يستطع د.عارف التفكير وسط الألم المبرح الذي استشرى في جسده بأكمله وازداد فتكا به مع الوقت ولكن حينها ظهر العقيد أشرف وهو يدخل الطائرة متحدثا:

- آسف، لقد شعرت بأنني لست على ما يرام فذهبت لأتقيأ.

دخل أشرف ليجلس بجانب هند ولم تمر ثوان حتى ظهر عماد أيضا وهو يركض على سلم الطائرة يدخلها ليصيح به د.عارف:

- أين كنت أيها اللعين؟

- كنت أحضر شيئا يخصني من كوخي.

ثم رفع عماد قلادة عبارة عن صخرة نقش عليها اسمه. حينها لم يناقشه د.عارف كثيرا لأنه ليس لديه قدرة لذلك بل إنه طلب من أحد الأطباء إعطائه أقوى دواء مسكن للألم لأنه لم يعد يقدر على تحمله.

كانت رحلة العودة صامتة خالية من الحديث، الكل واجم حزين لما حدث، لم يكن هنالك حركة سوى حركة أحد الأطباء الذي مر على كل الركاب يعطيهم حبات من دواء اليود لمنع امتصاص غدتهم للإشعاع النووي، تناول الجميع الدواء في صمت وانتظروا هبوط الطائرة عائدة بهم من حيث أتوا.

عادت الطائرة إلى العاصمة وقد تم إنزالها على مدرج خاص وكان في انتظارهم فريق خاص لتطهيرهم من الإشعاع بعدما تم التبليغ بما حدث، ظل الجميع في الطائرة حتى صعد إليهم بعض الرجال يرتدون بدلات مُحصّنة ومعهم أدواتهم الخاصة، كانوا يمرون على فرد فرد يقيسون مدى الإشعاع الناتج عنه، بدأوا بد.عارف الذي أصدر الجهاز طنينا عاليا بمجرد الاقتراب منه فطُلب منه النزول والاتجاه في اتجاه معين حيث انتظرته سيارة خاصة معدة لنقله وانتظر بها حتى اكتمال فحص باقي من بالطائرة.

مر جهاز الفحص على كل من بالطائرة وكانت القراءات متفاوتة ولكنها لم تكن بالشيء الخطر الذي يقلقون منه، وكلما انتهوا من شخص

أمروه بالنزول والدخول إلى مستشفى ميداني مُصغر تم أنشائها لإسعافهم بمجرد وصولهم، ظل فريق الفحص هكذا حتى وصلوا إلى الكرسي الأخير حيث يجلس سمير، أحدث الجهاز طنينا عاليا مثلما فعل مع د.عارف فطلبوا منه أن يلتحق بصديقه ولكنهم لم يجدوا أية استجابة منه، فأعادوا الطلب مجددا فلم يجدوا ردا منه، فتقدم طبيب معهم ووضع جهازا على صدره بحرص شديد وهنالك لم تصدر أية إشارات لوجود نبض، نظر الطبيب لهم يخبرهم أنه قد فارق الحياة.

علم الجميع بوفاة سمير ومنهم د.عارف الذي شعر بأنه سيلقى نفس الأمر حيث إنه كان بمقربة من سمير طوال الوقت أثناء تواجدهم بالطابق السفلي، انطلقت السيارة به إلى إحدى المستشفيات وهو في الطريق بدأت قطرات الدماء تخرج من عينيه.

في المستشفى الميداني مكث باقي أفراد اللجنة يتلقون الإسعافات الأولية، تم فحصهم جيدا والتأكد من سلامتهم وعدم ضرورة احتجازهم، ولكن تم التنبيه عليهم ببعض الاحتياطات الطبية وذلك كإجراء احترازي.

بمجرد خروج العقيد أشرف ود.هند من المستشفى كان هنالك قوات أمن تنتظرهم وما أن رأوهم حتى تحدث إليهم أحدهم:

- السيد رئيس الجمهورية في انتظاركم.

كان الأمر مفاجئ لهم ولكن حساسية الأمر جعلتهم يتجهزون لمقابلة الرئيس، دخل بعض الأشخاص يحملون بدلات بيضاء مرروها لأشرف وهند ليرتدوها، كانت بزلات خاصة تغطيهم من أخمص القدمين إلى أعلى الشعر، ارتدوها كحماية منهم عند مقابلة الرئيس.

قبل أن يتم اللقاء وقف السكرتير الخاص بالسيد الرئيس مع أشرف وهند يمليهم بعض التعليمات الخاصة للمقابلة مثل : "التحدث عند الطلب فقط"، "لا تقاطعوا حديث السيد الرئيس"، "إن أمركم بشيء ومن الممكن تطبيقه فلا تناقشوا تفاصيله أنا سألبي لكم كل مطالبكم، وأنتم لا تطلبوا منه شيئا، أطلبوه مني أنا" ثم نظر إلى هند يوجه لها الحديث بمفردها "المعلومات العلمية تكون مبسطة بدون مصطلحات خاصة من فضلك".

أومأ له أشرف وهند بأنهم قد فهموا وأنهم مستعدين للقاء، حينها دخل السكرتير للسيد الرئيس وعاد سريعا إليهم يدخلهم إلى مكتب الرئيس.

كان الأمر موترا وخصوصا بتلك البدلة التي ارتادوها والكراسي الخشبية التي وضعوها في مكان ما بعيد عن مكتب السيد الرئيس ولكن الرئيس بدأ في حديثه معهم بسرعة موجها أسئلته:

الرئيس: ما الذي حدث هناك؟

أشرف: لقد حدث تسريب إشعاعي سيدي وسقط ضابطان هناك وتوفى د.سمير في الطائرة وجاري إسعاف د. محمد عارف.

الرئيس: وما سبب ذلك الإشعاع؟

أشرف: لا نعلم سيدي، لكن علماء الفيزياء الذين معنا أخبرونا بأن القياسات تلك لا تخرج إلا من مفاعل نووي.

الرئيس: مفاعل نووي؟، على تلك الجزيرة؟، هل وضح العلماء إن كان ذلك المفاعل من صُنع البشر؟

أشرف: لا أعلم سيدي، لم نستمر هناك كثيرا بعد اكتشاف الإشعاع.

الرئيس: هل اكتشفتم سر ذلك الحائل وكيف يُصنع؟

هنا تدخلت هند في الحديث: أعتقد أن هنالك عنصر جديد تم استخدامه في إنشاء ذلك الحائل سيدي.

الرئيس: كيف لنا لا نعرف شيء عن ذلك العنصر من قبل؟

هند: لأنه ليس من الأرض، وذلك الحائل مصدره ليس الارض، بل أتى من الفضاء.

الرئيس: هل تظنين أنني سأصدق ما تقوليه، هل نتعرض لغزو فضائي إذا؟

هند: ليس غزوا فنحن لا نعلم عُمر ذلك الحائل ومتى وصل إلى الأرض، قد يكون هنا قبل قرون عدة ولكننا اكتشفناه في الوقت الراهن، حتى الآن نحن نعلم معلومات قليلة عنه ولكني أعد سيادتك بأن نبحث بالأمر ونفسره تفسيرا علميا...

هنا قاطعها الرئيس : لا أريد كلاما فلسفيا هنا، لن نقبل أمر أنه قطعة من الفضاء وهذا الحديث الفار ...

هنا قاطعت هند كلام الرئيس لينظر لها السكرتير نظرة ذهول: لقد اكتشفت ذلك الجرم السماوي منذ عدة سنوات أنا ود.عُمر وتم تقديمه لهيئة العلماء وأخبرونا أنه حديث غير مبني على أسس علمية، وها هي تلك المنطقة بنفس الخصائص والقدرات نكتشفها بداخل دولتنا ولا يصدقنا أحد، لا سيدي ذلك ليس بالحديث فارغ، ذلك كلام علمي ومقترن بدلائل وأعتقد أن د.عارف قد أخبرك ما قمت أنا باكتشافه.

صمت الرئيس للحظات يفكر وبعدها تحدث: لديك أسبوع من الآن، إما لتثبتي صدق ما تقوليه أو سيتم عقابك على تضليلنا.

- حسنا أريد بعض الأشياء لمساعدتي في عملي، أريد مقابلة تلك الفتاة "چايدا"، وأريد خروج أحد المتهمين في القضية، المهندس عماد، أحتاجه معي.

نظر سكرتير الرئيس إليها مجددا وكأنه يوبخها في سره.

نظر الرئيس إلى سكرتيره يحدثه:

- لتهيئ لها كل الظروف وتساعدوها في عملها.

ثم نظر لها الرئيس مجددا: لتحدثيني كل يوم تطلعيني بكل جديد في ذلك الأمر، لقد أصبحتِ المسئولة الأولى أمامي في تلك المهمة.

٤٤

خرجت هند من الاجتماع مع الرئيس وكاد السكرتير أن يباغتها بحديثه لكنها هي من بادرت:

- حسنا سيدي، أريد إعداد لقاء سريع مع چايدا وبحضور المهندس عماد، ولتتصلوا بي عند إعداد كل شيء... نعم ، وأرجو أن يتفرغ العقيد أشرف من كل مهامه ويصبح مهمته مكرسة للتحقيق في تلك القضية.

غادرت هند المكتب وتركت السكرتير يقف مذهولا بطريقة تحدثها إليه، خرجت هند وعادت إلى الغرفة حيث قامت بإزالة البذلة التي كانت بداخلها وحينها لحقها أشرف يحدثها بصرامة:

- يجب أن تحسني التعامل مع كل الناس، هؤلاء قد يحسنون صورتك أو يقبحونها بدرجة لا تصدقيها.

- لا يهم، إن أخفقت فانا هالكة دون تدخل من أحد، لذا يجب علينا أن نبدأ في العمل من الآن.

- حسنا، ماذا تريدين أن تفعلي؟

- حتى ينتهوا من إعداد اللقاء مع چايدا، أريد زيارة عُمر، زوجي.

رحلت هند ومعها أشرف واتجهوا إلى مشفى الأمن السيادي حيث يتلقى زوجها عُمر جيد العلاج، تقدمت هند وهي تنظر إليه من النافذة الزجاجية ولكنه لم يتحسن بعد، كانت حالته سيئة للغاية، أشارت هند إلي الطبيب تسأله إن كان بإمكانها الدخول فأشار لها بالقدوم.

دخلت هند وقد تغيرت ملامح وجهها فساده الشفقة ممزوجة ببعض الحنان، فمازالت تكن كل مشاعر الحب لعُمر، رغم كل ما فعله بها لكن حبه مازال يسكن قلبها، كان عُمر في حالة ثبات تام، وكأنه يغط في نوم عميق، تلك المرة تقدمت هند لتجتاز الخط الأحمر المرسوم على الأرض ولم يحذرها الطبيب تلك المرة وتركها، حينها وضعت هند يدها على صدر د.عُمر جيد وكأنها تدعو له بالشفاء، أزالت هند يدها واستدارت لتغادر بعدما فشلت في الحضور أثناء فترات إفاقته التي لا تستمر سوى لحظات قليلة، ولكن صوت رفيع وهن جاءها من الخلف:

- هند، هل ذلك أنت؟

كان صوت د.عُمر مختلف عما كان وبدا رفيعا ضعيفا مبحوح ويخرج متقطع من حنجرته وبالكاد وصل إلى مسمع هند فاستدارت لتجد أحد أصابعه يتحرك فتحركت على عجل وهي تقترب مجددا:

- عُمر ، نعم أنا هند، أنا هنا.

- ما الذي حدث يا هند؟، لا أستطيع أن أراك.

- لا تقلق، سيهتم الأطباء بك، أنت تعاني من بعض الإصابات وسوف تشفى قريبا منها جميعا.

- آخر شيء رأيته كان ذلك الصاروخ الذي صوب على جبل البستان، هل ذلك هو السبب؟، ولِمَ يبدو صوتي هكذا؟

- أنت مصاب بوهنٍ شديد يا عُمر، لقد أصيبت كل أجهزتك العضوية بالضعف الشديد.

- كيف حدث ذلك؟، لقد كنت في أتم صحة حتى آخر لحظة.

- لا، إنهم يقولون بأن ذلك الأمر بسبب سوء التغذية والنظافة الشخصية وقد بدأت منذ سنوات.

- من هم، أين نحن وكيف عثرتي علي؟

- نحن في مشفى الأمن السيادي بدونسيار.

- إنهم كاذبون يا هند، إنهم يفعلون ذلك بي لما قمت باكتشافه في البستان، لقد أرسلت لك كل شيء كما تعلمين.

- لم يصلني شيء يا عُمر ، طيلة السبع سنوات لم أتلق منك شيء.

- كذب، أنت تكذبين، هل هنالك أحد معنا في الغرفة؟

- لا، أنا وأنت فقط وقد غادر الطبيب.

- حسنا، لقد اكتشفت قطعة من الفضاء وتحدثت معهم عبر وسائل اتصالاهم، إنهم أشخاص لطيفون للغاية.

- كيف تواصلت معهم وعن أي شيء تحدثتم؟

- تحدثنا في كل شيء، رغم أن الإجابات تمكث ستة أشهر لتصل إلينا إلا أننا أجرينا محادثات كثيرة معهم.

- عن أي شيء تحدثتم يا عُمر؟

- عرفوني عن أنفسهم، هم من الفضاء، لسنا بمفردنا في الكون يا هند، سفينتهم الرئيسية هي التي قمنا برصدها أنا وأنت، لم نكن مخطئين، إنها على بعد ثلاث شهور ضوئية بداخل سحابة أورط ، وقد

أرسلوا رحلات استكشافية إلى كل المجرات والأجرام السماوية المختلفة للتواصل معهم، نحن أول من قاموا بالرد عليهم، أنا من تواصلت معهم.

- هل أخبروك ماذا يريدون؟

- فقط التعارف، مثلما فعلنا باللوح الذهبي على مركبة فوياجر، ولكنهم وصلوا إلى الأرض منذ آلاف السنين، لديهم تكنولوجيا تسبقنا بملايين السنين، لقد وعدوني أن يقوموا بنقلها لنا.

- ماذا عن ذلك العنصر الذي يعتمدون عليه؟

- عنصر الطاقة، هكذا كان يطلقون عليه في البستان، ذلك عنصر قادم من الفضاء، يمكنه أن يصنع المعجزات، لقد عرفت بأنه المسئول عن انتاج المادة المظلمة.

- المادة المظلمة؟

- نعم، يمكننا استخدام ذلك العنصر كمصدر للطاقة، يمكنه التكيف على كل شيء، لقد صنعوا منه الحائل الذي كان موجود في منطقة الثقب، يستخدمونه في تشغيل المعمل الهائل المتواجد هناك، يستخدمونه في تشغيل وإدارة كل الموارد في البستان.

- عُمر، البستان هذا لم يكن به شيء قابل للحياة منذ سنوات، لقد كنت هناك، كل الأراضي صخرية سوداء، وجدت كوخك، لا يمكن أن يعيش بداخله بشر، كنت تعيش وسط أشجار ميتة، كنت تأكل ما تبقى من حشائش باقية، لم تشرب ماء صالحا أبدا، كنت تسير على جثث أشخاص سبقوك هناك.

- لا، لا ، هم من فعلوا ذلك، حكومة دونسيار، لقد حدث ما كان يخاف منه الشيخ صالح، لقد أخبرني أنهم سيهلكونهم جميعا، لقد حرقوا البستان، هؤلاء الملاعين، لقد كان جنة على الأرض، كان الجميع يحبون بعضهم البعض، لقد أكرمونا أنا وباقي طاقمي، چايدا كانت تأتي لنا بكل ما نتمناه.

- لم يفعل أحد شيء يا عُمر، لقد رأيت صور الجثث، كل الطاقم الذي أرسل معك في عداد القتلى، عادوا عبارة عن جثث متحللة، وأنت خير مثال، أنت لا تتجاوز ثلاثين كيلو يا عُمر، هذا ما تبقى منك.

- لا، صدقيني يا هند، إنهم حقيقيون، لقد تحدثت معهم، الشيخ صالح وچايدا وباهر وعاصم، ورجال البستان كلهم ساعدوني في أبحاثي، أبحاثي التي أرسلتها اليك.

- لقد أخبرتك أنه لم يصلني شيء.

- إذا هم من حصلوا عليها وكانوا يجيبون نيابة عنك، صدقيني هند، أنا صادق في كل كلمة أقولها لك، يجب علينا معاودة الاتصال بهذه الكائنات، سيقدمون لنا كل العون اللازم، إنهم متطورون للغاية ولديهم من العلم ما لم نصل له.

تحدثت هند بشيء من العصبية والحدة.

- اللعنة، لا يوجد شيء من هذا لقد أخبرتك مرارا، لقد كنت تعيش في وهم كبير، اتعلم ما هو الحقيقي؟، سأخبرك ما هو حقيقي، أنك غادرت ووعدتني بالرجوع ولم تعد، تركتني أنا وابنتك المريضة بمفردنا، جعلتني أبحث عنك طوال كل تلك السنين حتى ايقنت أنك مت، لم تكترث لي

ولا لابنتك ولا لحياتنا كل ما كان يهمك هو العلم وتحقيق ذاتك، هذا هو الحقيقي يا عُمر.

بدى على عُمر التعب الشديد، حتى أن الطبيب من الخارج طرق لهند حتى تنهي اللقاء عندما وجدها عصبية بالداخل، فأنهت هند اللقاء وأخبرت عُمر أن يرتاح ولكن قبل مغادرتها أكمل عُمر حديثه:

- لقد أرسلت لهم حالة سلمى وأخبرتهم عن مرضها.

خفق قلب هند وسرت قشعريرة قوية بها وهي تلتف وتحدث عُمر بحدة:

- إياك.

- لقد سألت عن علاج لسلمى.

- توقف عن ذكر اسمها.

- لقد أخبروني أنهم سيرسلون علاجا لها.

٤٥

أنهت هند الحديث مع عُمر وقابلها العقيد أشرف بالخارج ليخبرها أنهم قد أخرجوا المهندس عماد من محبسه وقد تم تنسيق الزيارة لچايدا.

كانت هند تبدو متعبة للغاية فهي لم تنل أي قسط من الراحة منذ رحلتهم إلى الثقب ، اقترب أشرف منها يحدثها:

- يمكنك أن ترتاحي قليلا وسأقوم أنا بتلك المهمة.

- لا، أنا على ما يرام، سنقوم جميعا بذلك الاستجواب.

- حسنا ، لنعد لنا كوبين من القهوة قبل الدخول.

- لتجعل الكوب جرعتين، أريد أن استرجع شيئا من تركيزي.

استعد الجميع وأتى عماد ليلقنه أشرف ما سيحدث:

- أنت هنا لأنك تعاملت مع چايدا من قبل، سنحاول استجوابها عن طريقك للحصول على المزيد من المعلومات، في المقابل سيتم الرأفة بوضعك وقد تخرج قريبا من محبسك، هل أنت موافق؟

- نعم موافق، لكن ماذا ستفعلون مع چايدا.

- لا تقلق بشأنها، ولا تعلق أمالا كبيرة عليها، هي لا تصلح لك بأي حال من الأحوال.

- ماذا تقصد؟

- ستعلم بالداخل... إن استطعت جعلها تتحدث.

دخل الجميع، هند وأشرف وعماد وكانت بانتظارهم چايدا، تجلس مقيدة من كل أطرافها، جلست على منضدة وعندما رأت عماد تحدثت وكان ذلك لأول مرة منذ احتجازها:

- عماد ، لقد مر وقت طويل منذ رحيلك.

نظرت هند وأشرف إلى بعضهما البعض، لقد سارت الأمور أسهل بكثير مما كانوا يتوقعون فلقد تحدثت چايدا من نفسها، حينها استغلوا الأمر وطلبوا من عماد أن ينخرط معها في الحديث، فتقدم عماد وجلس أمام چايدا وهو يبتسم لها يحدثها:

- چايدا، كيف حالك؟ أعتذر عن مغادرتي للبستان دون الاطمئنان عليك.

- لا مشكلة، أنا بخير، يبدو أنك كذلك أيضا، أرى أنك ترتدي القلادة الصخرية التي صنعتها لك.

كانت القلادة أسفل ملابس عماد ولا يظهر منها شيء فأندهش عماد وهو يسألها:

- كيف عرفت أنني أرتديها؟

- هذا لأنني أراها.

تجاوز عماد ما حدث وأكمل حديثه معها:

- كيف حال إصابتك؟

- أنا جيدة، أنا لا اتضرر؟

تغيرت ملامح الجميع من حديثها ونظروا لبعضهم البعض قبل أن يسألها عماد:

- عذرا؟، أنت لا تتضررين؟

- نعم، ذلك السكين لم يكن ليؤثر بي.

- كيف ذلك؟

- لأنني لست بشرية مثلكم، أنا وكما تطلقون عليه أنتم، روبوت متطور.

ساد الصمت للحظات وتبدلت مشاعر الفرحة لدى عماد إلى ذهول:

- روبوت؟، كيف ذلك؟، ولماذا لم تخبريني بذلك، لماذا لم تخبري أهل البستان بذلك؟

- لأن تلك وظيفتي، حماية البستان وضمان عدم خروج أي إنسان منه، وطالما لم يعد هنالك حائل فبإمكاني إبلاغكم بذلك.

- ولِمَ كنت تفعلين ذلك؟

- هكذا تمت برمجتي.

هنا تدخلت هند في الحديث واقتربت منهم:

- مساء الخير چايدا، انا د.هند، عالمة فلك، وباحثة في علوم الفضاء.

چايدا: أنت زوجة د.عُمر، لقد حدثني عنك كثيرا، أهلا د.هند، تفضلي بالجلوس، كيف حال ابنتكم سلمى؟

توترت هند من ذلك السؤال لتكمل چايدا: لقد أخبرك د.عُمر بأنهم سيرسلون علاجها لك أليس كذلك؟

هند: حسنا، لنترك ذلك الأمر ونتحدث عما جئنا من شأنه.

چايدا: بالطبع، لك ذلك، لكنه يجب أن تعرفي أنه كان صادقا وقد طلب علاجها حقا، لقد اهتممت بد.عُمر وحاولت بقدر الإمكان الحفاظ على حياته وهو بداخل البستان... من هذا الأخير الذي معكم؟

تحدث أشرف: أنا أشرف مساعد د.هند، أتيت لمساعدتها.

چايدا: أنت تكذب، لا تكذب لأنني سأعرف.

أشرف: عذرا؟!

چايدا: أعلم أنك كذبت، كما أعلم بأن لديك شريحة صلبة موضوعة في ساقك اليمنى نتيجة لكسر قديم.

ذُهل الحضور من ذلك الحديث وبدا على أشرف الاندهاش والحرج وصحح ما قاله: أنا العقيد أشرف، من الأمن السيادي.

چايدا: أعتقد بأن الأشخاص الآخرين لن ينضموا إلينا.

أشرف: أية أشخاص؟

چايدا: هناك ثلاثة أشخاص يجلسون خلف ذاك الزجاج يستمعون إلى ما نقوله.

ألتف الجميع لينظروا إلى ذلك الزجاج المعتم الذي لم يروا ما خلفه ولكن يبدو أن چايدا كان تستطيع رؤيتهم بوضوح.

چايدا: يحتاج أحدهم إلى فحص رئتيه، لتبلغوه أنه يعاني من جلطتين بهما.

هند: حسنا چايدا لنبدأ، هل يمكنك أن تخبرينا عنك وعن وظيفتك؟

چايدا: أنا چايدا مراقبة البستان، رقم ٤٣٧.

هند: ماذا يعني ذلك؟

چايدا: يعني أنني المراقبة رقم ٤٣٧ للبستان.

هند: ما هي وظيفة المراقب؟

چايدا: أعمل على مراقبة ضيوف البستان، ألبي طلباتهم، أجعلهم يحبون المكان كي لا يغادروه.

هند: لكن المكان عندما وصلنا إليه كان مقفرا ولا يوجد به حياة.

چايدا : هذا لأنه كذلك فعلا، لا حياة به، لقد خُيل لضيوفنا كل ما رأوه، كل الخضرة والمياه والمناظر الجميلة والهواء النقي غير موجودين في الحقيقة.

عماد: انتظري، انتظري، هل كنتِ تخدعينا؟

چايدا: أنا؟، لا، لقد كنت أؤدي مهمتي التي كُلفت بها، لا دخل لي بخداعكم، الخداع الفكري ليس من قدراتي.

هند: من يقوم به إذا چايدا؟

چايدا: ذلك من اختصاص صانعي الحائل، أنا مجرد مراقبة.

أشرف: من هم صانعو الحائل؟

چايدا: لا أعلم من هم، تلك المعلومات ليست لدي؟

هند: چايدا هل تخبريني لماذا تم صنع ذلك الحائل؟

چايدا: لاستكشاف الأرض، نحن هنا لمعرفة كل شيء عن الأرض.

هند: من أنتم، ومن أين جئتم؟

چايدا : أنا روبوت صُنع على هيئة بشرية لأعمل كمراقبة كم أخبرتك، أما عن موطننا فنحن من وكما تطلقون عليه هنا، كوكب ترابيست-د، لكننا نطلق عليه الوطن.

نظر أشرف وعماد الى هند لتفسر لهم لتجيبهم:

- ترابيست-د هو كوكب خارج مجموعتنا الشمسية يبعد عن الأرض بأربعين سنة ضوئية.

نظرت هند مجددا إلى چايدا لتكمل أسئلتها:

- هل تصفين لي من هؤلاء اللذين صنعوا ذلك، هل هم بشريون؟

چايدا: تلك المعلومة لا أعلمها، لقد بدأت عملي هنا على الأرض ولقد سبقني ٤٣٦ نسخة أخرى مني هنا.

هند: منذ متى وأنتم هنا؟

چايدا: لا أعلم، ولكني أعرف أنني في الخدمة منذ مئتي وعشرة أعوام ومازال لدي تسعين عاما متبقية حتى تأتي نسختي التالية.

تدخل عماد في الحديث: ماذا عن الشيخ صالح ورجال البستان؟، هل هم معكم؟

چايدا: لا، الشيخ صالح أتى إلى البستان منذ مئتي عام، أتى هو وجماعته بعدما ضلت سفينتهم الطريق، لقد توفوا جميعا منذ قرن مضى.

عماد: كيف رأيناهم إذا عندما كنا هناك؟

چايدا: لقد ابتكر صانعوا الحائل عالما خاص بالبستان أنتم أبطاله، كل من حضر إلى البستان مازال هناك ويعيش حياة سعيدة ويتم تداول حياته عبر الآخرين، هكذا هو النظام.

تدخلت هند مجددا: حسنا، لقد قدمتم من كوكب ترابيست إلى الارض خصيصا لاستكشاف الأرض؟

چايدا: ليس خصيصا للأرض، لقد أرسلونا لكل المجموعات الشمسية الأخرى وكل المجرات، الحائل متواجد على كل جرم سماوي لدراسته، الأرض بها ثمان حوائل على سبيل المثال.

أشرف : هنالك أماكن أخرى بها حوائل هنا على الأرض؟

چايدا : نعم.

أشرف: أين يتواجدون؟

چايدا: لا أعلم، أعلم فقط أن كل حائل متواجد في مكان ما مدروس بعناية حيث لا يؤثر أيا منهم على جاذبية الأخر، لم نتواصل أبدا مع حائل آخر من قبل، لكننا نتواصل فقط مع سفينتنا الرئيسية.

أشرف: أين تلك السفينة؟

چايدا : تقع على بعد ٣ شهور ضوئية من الأرض في سحابة أورط، تدور في مدار خاص، والسفينة الرئيسية على تواصل دائم مع كوكبنا "الوطن".

نظر أشرف إلى هند وكأنه لم يفهم شيء، فتولت هند الحديث مجددا لتسال چايدا:

- هل تخبريني كيف تتولى تلك السفن عملية الاتصالات بينها وبين بعضها؟

چايدا: الأمر بسيط، وطننا هو ترابيست، قام صانعونا بإرسال عدة سفن فضائية إلى المجرات والمجموعات الشمسية، السفينة الرئيسية الخاصة بمجموعتكم الشمسية متواجدة في سحابة أورط ومنها تم إرسال وتوزيع الحوائل على الكواكب وتُجمع كل المعلومات من الحوائل وتصل السفينة الرئيسية ثم إلى كوكب ترابيست.

أشرف: هذا يعتبر نوعا من التجسس.

چايدا: فلتعتبره كما تريد، لن تستطيع فعل شيء حيال ذلك الأمر.

استاء أشرف من إجابة چايدا التي أكملت حديثها:

- نحن هنا منذ زمن سحيق، نقوم بعملنا دون علم أحد، لم نؤذ أحد، ولم نتعدى على أحد، حتى عندما تطورتم بعلمكم وحاولتم الوصول إلى منطقتنا، باءت محاولاتكم بالفشل وبعثتم أشخاصا بأسلحتكم ليلقوا حتفهم، ومن كان مسالما واستطاع العبور لم نقتله بل اهتممنا به وجعلناه سعيدا حتى يلقى حتفه، لذا، سنستمر فيما نفعله ولن يوقفنا أحد حتى مهما حدث.

أشرف: ولكنكم على أرض دونسيار، إذا فأنتم تحت سيادة دولتنا.

چايدا: ألا تفهم ما قلته للتو؟، نحن هنا قبل أن تنشأ دولتكم من الأساس.

هند: حسنا چايدا، أريد أن أفهم أمرا ما، هنالك نافذة تفتح عبر الثقب كل مدة، كالتي دخل منها د.عُمر وطاقمه منذ سنوات، والتي دخل منها سمير وعماد منذ أشهر ، ما سبب ظهور تلك النافذة؟

- چايدا : أولا د.عُمر لم يعرف توقيت فتح النافذة ولم يدخل منها، لقد استخدم طائرة غير حربية، والحائل لديه القدرة على تحليل ما إن كان الجسم القادم عدوانيا أم لا، لذا سُمح له بالدخول حينها. لن يصل أحد منكم إلى كيفية توازن الحوائل والسفن مع بعضها البعض، أما بالنسبة إلى سمير، فهو بالفعل دخل عبر النافذة ولكنه قد حصل على معلومات فتح النافذة عن طريق "چودل"، هذا ما حدث.

أشرف: چودل ، من چودل؟

چايدا: المراقب الأساسي للحائل، لكنها هربت منذ فترة ولم تعد.

أشرف: هربت من الحائل؟

چايدا: نعم ، هربت مع د.يحيى فهيم.

أشرف: لماذا هربت؟

چايدا: يمكنك سؤالها إن أمسكتم بها.

هند: ما سبب تواجد تلك الفتحة من الأساس؟

چايدا: تلك نافذة تمرير عنصر الطاقة من السفينة الرئيسية إلى الحائل، ترسلها إلينا السفينة الرئيسية لتزويدنا بعنصر الطاقة الذي نستخدمه في تشغيل الحائل والمعمل.

هند: عندما أنشأ سمير الحائل في مركز أبحاث الكون كان مختلفا عن حائل منطقة الثقب، كنا نستطيع رؤية ما يحدث بالداخل عكس حائل الثقب الذي كان يخفي ما بداخله تماما، هل تعرفين السبب؟

چايدا: نعم، لأن سمير سرق ذرات عنصر الطاقة الخام من سفح الجبل، لم يتم إعدادها للاستخدام كالتي لدينا، لذا كان حائلكم شفافا يكشف ما بداخله.

- هند: حسنا بعد أن دمرنا الحائل، ماذا سيحدث إن مرت السفينة الرئيسية ولم تجد الحائل في منطقة الثقب؟

چايدا: ستُرسل السفينة حائلا جديد ليحل محل القديم.

هند: هل سيرسلون حائلا يصطدم بالأرض؟

چايدا: نعم، فلتعدوا العدة.

٤٦

استمر التحقيق مع چايدا لفترة طويلة، كانت تجيب على كل أسئلتهم دون كلل أو ملل، كانت صريحة ومتعاونة معهم، لم تنتهي الأسئلة الموجهة لها إلا بعد شعور هند وأشرف بالتعب، أصابهم إرهاق شديد لما قاموا به في الأيام الماضية وبدى أنه من المستحيل أن يكملوا ذلك التحقيق في ذلك الوقت، لذا تم إيقاف التحقيق لفترة حتى ينالوا قسطا من الراحة وحينها يستطيعوا التفكير فيما هو قادم.

غادرت هند وأشرف غرفة الاستجواب، فإذا بأحد علماء الفيزياء وبصحبته أحد علماء الجيولوجيا الذين كانوا بصحبتهم في رحلة الثقب يندفعون نحوها، كانوا ينتظرونها بالخارج لوقت طويل، مرر عالم الفيزياء بعض الورق إلى هند وهو يحدثها:

- لقد علمت أنك قد توليتي المهمة خلفا لد.عارف، رحمه الله.

صعقت هند عند سماع الأمر وهي ترد:

- هل توفى د. محمد عارف؟

رد العالم بتردد:

- أنا آسف، كنت أحسبك تعلمين، نعم لقد توفى في المشفى منذ ساعات.

نظرت هند إلى أشرف الذي بدا أنه لم يكن يعلم هو الآخر، ثم عادت بنظرها إلى عالم الفيزياء وهي تنظر بنظرات استفسارية عن ذلك الورق الذي في يدها، ليجيبها:

- ذلك تقريرنا الذي أعددناه لزيارة الثقب، لقد توصلنا إلى العنصر الذي استخدموه في المفاعل النووي هناك، إنه عنصر الثوريوم، متواجد على الأرض وينتج كمّا هائلا من الطاقة ولكننا لا نستطيع استخدامه في الاستخدامات النووية لصعوبة السيطرة عليه ولكن يبدو أن أحد استطاع ذلك واستخدمه في المفاعل.

تدخل أشرف في الحوار:

- وهل اكتشفتم شيء عن عنصر الطاقة المسمى بالجاردينيوم؟

- لا، ليس بعد، لم نشاهده من قبل، لكننا نقوم بتحليلاتنا وسنوافيك بكل جديد ولكني لم آت بسبب ذلك.

هند: ماذا هناك؟

- لقد اكتشفنا حفرة بقطر ٨٠ سم ممتدة أسفل المعمل الذي كنا به، تلك الحفرة ممتدة في باطن الأرض إلى ٣٢٠٠ كم.

- أشرف: ذلك عمق كبير.

- بالتأكيد، أكبر عمق وصلنا له بتكنولوجياتنا هو ١٢ كيلومترا في باطن الأرض، لا أعلم كيف وصلوا إلى ذلك العمق، لا يوجد آلات أو معدات تتحمل الحرارة والضغط في ذلك العمق السحيق.

- هل هنالك خطر في ذلك؟

- إنهم يقتربون من اللب الخارجي للأرض، درجة الحرارة هناك تصل إلى ٥٠٠٠ درجة والضغط يكون أكبر ب ٤.٥ مليون مرة من الضغط

على سطح الأرض، أخشى إنه إن تم وضع قنبلة نووية على ذلك العمق فإنها ستفتت كوكب الأرض بأكمله إلى صخورا صغيرة.

نظرت هند إلى أشرف بتنهد وحسرة وكأنها تخبره بأنه لا راحة على ما يبدو. رحل العلماء بعدما قاموا بتبليغ هند بالأمر. وضعت هند الورق في حقيبتها وحينها حاولت بقدر الإمكان أن تستجمع قواها ولكنها لم تستطع فجلست على أحد الكراسي وبعدها شعرت بأنها تغرق في النوم رغما عنها.

غابت هند عن الواقع وبجوارها وعلى أحد الكراسي المجاورة فعل العقيد أشرف المثل، حاولوا أن ينالوا قسطا من الراحة ليستطيعوا استكمال تحقيقاتهم ولكن جاءها اتصال من جارتها شيرين جعلتها تنهض تجيب على الاتصال ليأتي صوت شيرين باكيا:

- هند، ابنتك سلمى مريضة للغاية، من فضلك لتأت بسرعة لأنني لا أستطيع التحرك بها بمفردي.

- ماذا بها يا شيرين؟

- لا أعلم، إنها تبكي ولا ترغب في أحد أن يلمسها، تنادي باسمك فقط.

كان حديث هند ولهفتها على ابنتها أثناء المكالمة كفيلة بإيقاظ أشرف الذي علم أن هنالك خطب ما، فنهض يسأل هند إن كان كل شيء على ما يرام، نهضت هند تجمع أغراضها وهي تتحدث:

- سأعود إلى نالة، ابنتي سلمى مريضة للغاية.

- سترحلين الآن؟، لدينا مقابلة مع السيد الرئيس بعد بضع ساعات.

- يجب أن اطمئن على ابنتي، سأحاول أن أعود سريعا.

- يمكننا أن نرسل طاقم طبي لها وسيقدمون لها كل الرعاية الطبية اللازمة.

صمتت هند للحظة لتفكر بما قاله أشرف ولكنها أجابت بحزم:

- لا، لن أكرر الأمر مجددا، سأكون بجوار ابنتي لن ابتعد عنها.

علم أشرف بأن هند قد عقدت العزم على المغادرة فساعدها حينها وطلب أن يرافقها ضابطان لمساعدتها في الذهاب إلى مدينة نالة والرجوع ثانية.

غادرت هند بسيارة خاصة من مبنى الأمن السيادي وتبعها الضابطان ، استغرق الأمر ساعتين حتى وصلت هند إلى منزلها في مدينة نالة فهبطت من السيارة وصعدت إلى منزل شيرين ووقف الضابطان على الباب ينتظرونها.

دلفت هند إلى أحد الغرف حيث أرشدتها شيرين وحينها أغلقت شيرين الباب وانفجرت في البكاء:

- لقد تم اختطاف ابني يا هند.

تجمدت هند في مكانها ولم تفهم ما يحدث:

- ماذا؟ ماذا حدث؟ وأين سلمى؟

- سلمى بخير ولكن ابني تم اختطافه من قبل رجال يريدون التحدث إليك.

زادت علامات الذهول لدى هند وهي تسأل شيرين:

- من هؤلاء الرجال؟، وما علاقة اختطاف ابنك بي؟

أمسكت شيرين هاتفها تجري مكالمة على هاتفها وهي تحدث هند:

- لا أعلم شيء، لقد أخبروني بأن آتي بك إلى هنا بمفردك ليتحدثوا إليك من هاتفي وإلا لن أرى ابني مجددا.

أمسكت هند الهاتف من يد شيرين المرتجفة وهي لا تعرف ما الذي يحدث ونظرت إلى شاشة الهاتف لتجد من يحدثها عبر الفيديو:

- مساء الخير د. هند، آسفة على التحدث إليك بتلك الطريقة، لكنك صعب الوصول إليك بعد انخراطك في التحقيقات.

- من أنتِ وكيف لك أن تعرفي بشأن ما أفعله وأين ابن صديقتي شيرين؟ إن فعلت شيئا به فستندمين أشد الندم.

- لا تقلقي بشأن الصبي الصغير، إنه يلعب ويستمتع بوقته وسنعيده بعد انتهاء مكالمتنا على الفور، لتطمئني أمه.

- من أنتِ وماذا تريدي؟

- أنا چودل، المراقبة الأساسية للحائل.

صمتت هند ولم تتوقع ذلك، ظلت صامتة حتى استكملت چودل:

- أعتقد بأنكِ تعلمين من أنا، إذا هذا سيوفر الكثير، أريد أن أحذرك، ما حدث بتفجير حائل ثقب الهاوية سيؤدي إلى هلاك الأرض، سيقومون بإرسال حائل جديد إلى الأرض وحينها ستُدمر تماما.

- نعم لقد أخبرتني شريكتك بالأمر منذ ساعات، إذا ماذا تريدين مني؟

- يجب علينا أن ننشئ حائلا جديدا قبل موعد مرور السفينة الأساسية، إن مرت ولم تُفتح النافذة وتم إرسال حائل جديد ليصطدم بالأرض فحينها لن تكون هنالك حياة مجددا.

- تريدين صنع حائلا مرة أخرى؟

- نعم، أستطيع فعل ذلك، تلك من مهامي، إن استطعتِ تهيئة الوضع بإمكاني أن أصنع حائلا مثل الذي دُمر.

- أنتِ مراقبة مثل چايدا، هل لي أن أعرف سبب إقدامك على فعل ذلك؟، ألست روبوتا تنفذين ما يطلب منك؟

- الأمر أكبر من ذلك، لعل تسنح الفرصة لي لشرحها.

- لا داعي للشرح، أعلم إلى ماذا تخططون، تريدون إنشاء الحائل مجددا لاستكمال عملية الحفر هناك وتفجير الأرض، ذلك هو مخططكم أليس كذلك؟

صمتت چودل عن الحديث لوهلة واستمعت إلي باقي حديث هند:

- لن نسمح لكم بتدمير كوكبنا، وسنلاحقكم أينما ذهبتم أنتم وصانعيكم، لتخبريهم ذلك.

أجابتها چودل بصوت ضعيف:

- سيدتي، أنا منبوذة لديهم، لقد هربت من الحائل أثناء فترة خدمتي، لذا سيتخلصون مني بمجرد معرفتهم مكاني.

- لماذا إذا يسعون لتفجير الأرض؟

- هم لا يسعون لتفجير كوكب الأرض بل هذا الحفر هو عملية تنقيب، وظيفتنا على كوكب الارض هو البحث عن عنصر الطاقة وإرساله إلى ترابيست، عنصر الطاقة هو عنصر أرضي متواجد في أعماق الأرض ولكن على أعماق كبيرة، لقد أتينا هنا من أجل أخذه.



لم تغادر هند منزل شيرين حتى عاد ابن شيرين، أوصله أحدهم إلى مدخل البناية وتركه يعود لمنزله، احتضنته شيرين بقوة لرؤيته وانهمرت في البكاء، اعتذرت هند لشيرين عما حدث وطلبت منها أن تسامحها وأن ليس لها دخل بما حدث وإنما هي ضحية هي أيضا لم يحدث. تمالكت شيرين نفسها وأخبرت هند بأنها لن تستطيع العناية بسلمى بعد ذلك وعلى هند إيجاد حلا لحياتهم تلك.

كانت تلك هي نهاية العلاقة قبل أن تبدأ. لم تجد هند أي مبرر لها لتجعل شيرين تعدل عن رأيها، تقبلت الأمر بهدوء وانتظرت حتى جمعت شيرين ملابس سلمى كلها وودعت الأطفال وأخبرتهم أنها ستأتي مجددا. رحلت هند وتلك المرة بصحبتها سلمى وحينها توجهت إلى مدينة العاصمة لتلحق بالموعد المحدد مع رئيس الجمهورية.

وصلت هند إلى الاجتماع بعدما استطاعت أن تغفو لمدة ساعتين كانت تلك مدة سفرها من مدينة نالة للعاصمة، لم تكن الساعتان كافيتين ولكنهم أفضل من لا شيء، قابل أشرف هند ووجد معها ابنتها سلمى فألقي التحية عليهم واطمئن عليهم وحينها بدء في مناقشة ما سيفعلونه في اجتماعهم المرتقب لتحدثه هند قائلة:

- أنا مستعدة للاجتماع ولكن تبقى أهم وأصعب شيء.

- وما هو؟

- أن نجد جليس لسلمى حتى ننتهي من اجتماعنا.

لم يكن الأمر سهلا عليهم أن يجدوا جليسا لسلمى في ذلك المكان، ظلوا يعرضون عليها كل الحلول المتاحة ولكنها رفضتهم جميعا حتى تحركت سلمى لأحد ضباط الحماية وهي تشير على سلاحه وتنظر لأمها تحدثها:

- أريد أن ألعب بذلك المسدس.

تدخل أشرف في الأمر وأمر الضابط بتأمين سلاحه ونزع الذخيرة وإعطائه لسلمى، كما كلفه أيضا بالاعتناء بها حتى ينتهوا من لقائهم المرتقب.

تحرك أشرف وهند إلى قصر الحكم، واستعدوا للدخول للقاء رئيس الجمهورية ومعها كل المعلومات الممكنة التي جمعتها عن الثقب وما يخفيه من أسرار، دخلوا غرفة الاجتماع ليجدوا حشدا كبيرا من الوزراء يجلسون في القاعة بعدما تم استدعائهم للحضور. دخل الرئيس واتجه إلى كرسيه ليجلس وأمر الجميع بالجلوس وحينها أشار الرئيس لهند وهو يحدثها:

- أريد شرحا مفصلا عما يدور في دولتنا.

حينها وقفت هند وأمسكت بمؤشر بيدها واتجهت إلى شاشة عرض وضعت عليها كل الصور والوثائق التي ستستخدمها في العرض، ثم بدأت الحديث.

- حسنا سيدي سنبدأ كل شيء حين تم التقاط تلك الصور، تلك الصور أُخذت منذ عشر سنوات، كان د.عُمر من قام بدراستها حينها وقد شاركته في الأمر ، تلك صور مأخوذة من مسبار نيو هورايزونز الفضائي وهي صور انفجار جرم سماوي يبعد عن الأرض بثلاث شهور ضوئية،

والشهر الضوئي سيدي هو المسافة التي يقطعها الضوء في شهر كامل، سرعة الضوء هي ٣٠٠ ألف كيلو متر في الثانية الواحدة، لذا لحساب مسافة بُعد ذلك الانفجار عنا فهي تعني ٣ شهر x ٣٠ يوم x ٢٤ ساعة x ٦٠ دقيقة x ٦٠ ثانية x ٣٠٠ ألف كيلو متر، هذا يعني أن الانفجار حدث على بعد ٢,٣٣ بليون كيلو متر عن الأرض، ولتوضيح الأمر أكثر فإن شمسنا تبعد عن الأرض بثمان دقائق ضوئية فقط تقريبا، وبالمناسبة فإننا عندما ننظر إلى الشمس فإننا ننظر إليها في حالتها منذ ثمان دقائق مضت، لذا فإن وقت مشاهدتنا ذلك الانفجار في الصورة فإنه كان حدث بالفعل منذ ثلاث شهور مضت. حينها حاول د.عُمر التركيز على ذلك الانفجار لأن شكل الانفجار لم يكن معهودا لنا كعلماء للفلك لأن الانفجار لم يكن نابع من داخل الجرم المنفجر وإنما بدا أن جرما آخر ارتطم به وجعله ينفجر، كما يبدو في تلك الصور. وقتها تقدم د.عُمر بطلب لتركيز الدراسة على ذلك الجرم الغير مرئي وإعادة توجيه التليسكوب على منطقته المتوقعة ولكن طلبه قوبل بالرفض. ظل د.عُمر يبحث في الأمر وقمت بمساعدته حتى اكتشفنا قراءات طيفية مشابهة لذلك الجرم لدينا هنا في منطقة ثقب الهاوية وحينها أعددنا طائرة خاصة لا تتأثر بالمجالات المغناطيسية وحينها قمنا برحلتنا المعروفة وانتهت باختفاء الطاقم كاملا رغم عمليات البحث التي تمت بعدها. بعد ذلك بسبع سنوات قام د.سمير ومعه المهندس عماد باكتشاف موعد فتح نافذة خاصة في منطقة الثقب وقد استعانوا بمساعدة شخص في الحصول على بيانات فتح تلك النافذة وذلك من أجل الحصول على شريحة الجاردينيوم.

هنا قاطعها الرئيس:

- من هذا الشخص الذي كان لديه تلك المعلومات؟

أكملت هند:

- سأخبرك سيدي ولكن أولا سأخبركم سبب فتح تلك النافذة، لقد أخبرتنا چايدا والتي سأشرح لكم لاحقا دورها، بأن هنالك العديد من الحوائل على الارض، تلك الحوائل تتأثر ببعضها البعض حيث أن هنالك قوة تنافر بين بعضها البعض، إن حدث تقارب بينهم تتولد قوى تنافر مثل تنافر الأقطاب المغناطيسية المتشابهة. ومع اقترابهم وتنافرهم ينتج عن ذلك نافذة في كل حائل وهي تعتبر ثغرة للدخول إلى الحائل عند فتحها وهو ما اكتشفناه عندما أنشأ د.سمير ذلك الحائل في مركز الأبحاث، فذلك الحائل كان قريب من حائل منطقة الثقب، الأمر الذي ولد قوة تنافر بينهم جعلت الحائلين يتحركون حينها مبتعدين عن بعضهم البعض وفُتحت نافذة في كليهما كما هو ظاهر في تلك الصورة. بعدها أصدر السيد الرئيس قرارا بتفجير الحائلين وهو ما حدث بنجاح واستطعنا حينها استكشاف منطقة ثقب الهاوية لأول مرة في حياتنا، واكتشفنا أن هنالك كيان ما كان يستخدمه كوسيلة خداع لكل من وصل إلى داخل الثقب، چايدا تلك وهي المراقبة المساعدة للثقب وكانت وظيفتها مراقبة كل من على أرض الثقب. لقد صنعوا لهم مكانا تخيليا جميلا، كل شيء به كان وهم، كل من كان بالثقب كان هائما يتحرك في دائرة لم يتعدى قطرها ١٠٠ متر، منهم د.عُمر، لقد عاش ٧ سنوات يعتقد بأنه يقوم بدراسات وأبحاث عن الثقب ويرسلها لنا، ولم يكن ذلك حقيقيا، لقد صنعوا لهم بالداخل تعاقبا لليل والنهار وتوقيتات مختلفة للعيش بها، حدائق وأنهار وطعاما ذو مذاق رائع، ولم يكتشف أحد خداعهم حتى قضوا نحبهم بسبب الجفاف وفقر الدم ونقص المعادن بأجسادهم بعدما اكتشفنا أنهم كانوا يقتاتون على أوراق الشجر المتساقط وحشائش الأرض وتوفوا هناك دون أن يعلم أحد بوجودهم أو دفنهم حتى كما في هذه الصور. الوحيد الذي استطاع التحرك في الثقب بحرية هو د.سمير وذلك بعد أن حصل على معلومات خاصة عن

الثقب من نفس الشخص الذي ساعدهم على الدخول، أما عن سبب قدوم ذلك الكيان المجهول للأرض فكان تعليق چايدا بأنهم جاءوا للاستكشاف فقط، لقد أرسلوا سفن فضائية لاستكشاف كل مناطق الكون ومعرفة باقي الحضارات، لكننا وجدنا بالمكان وأسفل المعمل مفاعلا نوويا نشطا واكتشف علمائنا أن هنالك حفر على امتداد ٣٢٠٠ كم وهذا العمق يقترب من لب الارض الخارجي. كنا نعتقد في البداية أنهم يسعون لتفجير الأرض من الداخل، لكني قبل أن آت إلى هنا تحدثت لذلك الشخص الذي ساعد سمير وعماد في الدخول من نافذة الثقب وتدعى چودل وهي أيضا من اعترف لي أنها كانت المراقبة الأساسية للثقب ولكنها هربت، لقد أخبرتني أن ذلك العنصر، عنصر الطاقة أو الجاردينيوم كما أطلقنا عليه مؤخرا أنه ليس عنصرا فضائيا إنما هو من عناصر الأرض ويُستخرج من ذلك العمق من الأرض، وأن ذلك الحائل متواجد منذ آلاف السنين للتنقيب على ذلك العنصر وسرقته وإرساله إلى كوكبهم، كوكب ترابيست - د الذي يبعد عن أرضنا ب ٤٠ سنة ضوئية، هذا كوكب يتبع مجموعة النجم ترابيست وهو نجم عمره ٧,٦ مليار سنة، وهو أقدم من مجموعتنا الشمسية ب ٣ مليار سنة... وهذا كل ما لدي سيدي.

صمت الحضور لبعض الوقت وانتظروا تعقيب السيد الرئيس الذي صمت لبعض الوقت هو أيضا يستوعب ما قيل وبعدها تحدث مُعقبا:

- هل تم التأكد أن ذلك العنصر هو أساس كل ما يحدث؟

- نعم سيدي، هو ما يُكون تلك الحوائل ويمدها بالطاقة اللازمة لتنفيذ ما قاموا به بالداخل، وعندما دُمر ذلك المصدر اختفى الحائل بكل شيء بداخله.

- وما هو تفسيركم العلمي عن عدم رؤيتنا لتلك الحوائل بالرغم من وجودها.

- المادة المظلمة سيدي، حسنا علميا فإن كل الأجرام الفضائية التي نعلمها من نجوم وكواكب وأقمار ونيازك ومذنبات لا تشغل سوى ٥٪ من حجم الكون أما ال ٩٥ % الباقون فهي عبارة عن مادة مظلمة وطاقة مظلمة لا نعلم عنها شيء، وتتميز المادة المظلمة بأنها متواجدة في كل مكان في الكون لها كتلة وجاذبية تؤثر بهم على كل ما يحيط بها لكننا لا نستطيع رصدها أو رؤيتها لأنها لا تُشع ضوءا ولا تعكس الضوء الساقط عليها، لذا فإن عنصر الجاردينيوم هو أحد العناصر المسئولة عن تكوين المادة المظلمة سيدي.

- حسنا، لقد دمرنا الثقب الذي كان على أرضنا، وحصلنا على عنصر الجاردينيوم ذلك، لنقم بأبحاثنا عليه لننتفع به، لعله يكون مصدر طاقة مفيد لنا وللأرض، ولننقب عن الحوائل الأخرى ولنفجرها مثلما فعلنا لننتهي من ذلك الغزو ونوقف تلك السرقة.

- الأمر سيكون أكبر من ذلك سيدي، لقد أخبرتني چايدا، وأكدت على كلامها أيضا چودل المراقبة الأساسية للحائل بأنه يجب أن نُعيد إنشاء الحائل مجددا قبل مرور السفينة الرئيسية عليه، المرور القادم سيكون بنهاية الأسبوع القادم.

- هل أخبرك فضائيون بأن نعيد إنشاء الحائل لهم؟، هل ستحزن السفينة إن جاءت ولم تجد أبنائها؟

قالها وهو يضحك، قبل أن يكمل:

- لقد علمت بأنهم وعدوك بعلاج ابنتك يا هند، لا تجعلي ذلك يؤثر عليك، لأن ذلك يندرج تحت بند خيانة الوطن.

أجابته هند:

- لا سيدي، إن مرت السفينة ولم تجد أحد الحوائل على الأرض فإنها ترسل حائلا جديد يحل محل الآخر.

- انتهى الحديث، لن ننشئ حائلا على أرضنا أبدا، وإن فعلوا وأرسلوا شيئا باتجاهنا فسنكون مستعدين لهم وسنواجهّم بأرواحنا.

- سيدي، إن أرسلوا حائلا باتجاه الأرض واصطدم بنا حينها لن يبقى كائن حي على وجه الأرض كلها.



غادرت هند الاجتماع بعد طلب من السيد الرئيس، غادرت ليتم استكمال الاجتماع لتحديد وسيلة لإيقاف ذلك المفاعل النشط وتحديد لجنة علمية وظيفتها دراسة عنصر الجاردينيوم وكيفية استخدامه، وبعدها كان هنالك اجتماع أمني لدراسة تداعيات ما حدث وتحديد طبيعة التهديدات التي قد تأتي على دونسيار بعد إنهاء سيطرة تلك الكائنات على تلك الحوائل.

كانت مغادرة هند للاجتماع ذات طابع حاد عنيف، علمت حينها أنه لم يعد لها صلة بتلك المهمة، لم يكلفها أحد بمهمة أخرى، فاتجهت لتصطحب سلمى ليغادروا العاصمة. غادرت هند وهي تعلم بأن الأمر لم ينتهي بعد ولكنها كانت على يقين بأن السيد الرئيس لن يسمح بإنشاء الحائل مرة أخرى بأي شكل من الأشكال.

قبل عودة هند وسلمى إلى مدينة نالة طلبت من العقيد أشرف أن تقوم بزيارة عُمر في المستشفى فوافق على ذلك وسهل لها الزيارة، كانت سلمى لا تعرف شيء عن تلك الزيارة، ففوجئت بمشاهدة والدها عبر الفاصل الزجاجي وقد استعاد جزءا من عافيته، حينها صاحت سلمى كفرحة الأطفال وأخذت تردد طلبها بمقابلة والدها بإلحاح كبير حتى أن والدتها ظلت تطلب منها أن تهدأ وتنتظر حتى يستعيد عافيته كلها ولكنها لم تستطع السيطرة عليها، فتقدمت هند لتتحدث إلى الطبيب تستأذنه في الدخول إلي عُمر فوافق على أن تكون زيارة سريعة لعدم استقرارية حالة د.عُمر حتى الآن.

فُتح الباب لتنطلق سلمى راكضة للداخل لتفزع هند وتدخل هي أيضا بسرعة تركض خلفها وهي تمسكها وحينها استيقظ عُمر من غفوته

ليجد سلمى أمامه لتسود ابتسامة جلية على وجهه وهو ينادي على اسمها فاقتربت سلمى واحتضنته بقوة جعلته يتألم مما حدث لتتحدث سلمى بعدها:

- أنت نحيل جدا يا أبي، ألا تأكل أكلك؟

جذبت هند سلمى من على جسد عُمر وهي تحدثها:

- والدك مريض يا سلمى، لنتحدث إليه سريعا وسنعود إليه مجددا عندما يتعافى.

تحدث عُمر:

- لقد اشتقت إليك يا سلمى، كيف حالك؟

- أنا جيدة، باستطاعتي جمع الأرقام الآن يا أبي، اثنان جمع اثنين بأربعة

- أنت متفوقة دائما يا سلمى، ما أجملك.

حينها تحدثت هند:

- هل تشعر بتحسن يا عُمر؟

- نعم أنا بخير، باستثناء كم التحقيقات التي أخضع لها يوميا، فأنا بخير.

- هل أخبروك متي ستخرج من هنا؟

- لا لن أخرج، سيتم محاكمتي أولا، يشكون في أنني جاسوس للكائنات الفضائية.

- لقد انتهى الأمر عموما في دونسيار، أتمنى أن ينتهي أمرك على سلام، لقد مررنا بك لنلقِ عليك التحية فقط، هيا يا سلمى لتودعي أباك حتى نلتقيه مجددا.

- وداعا أبي، سآتي مجددا، وسأجلب لعبي الجديدة كي ألعب معك بهم.

غادرت هند الغرفة وحينها توجهت إلى مدينة نالة عائدة إلى منزلها.

مرت أيام وكانت هند تجلس في ترقب، أخرجت ذلك التليسكوب الذي أعطاها إياه د.عُمر في زواجهم، تذكرت الأمر عندما قامت باستخراجه، لم يقم د.عُمر بشراء الأجهزة المنزلية لم يفكر في الأمر حتى، بل اشترى بكل ما يملك حينها تليسكوبا وأهداه لهند، علمت هند حينها أنها ستجد صعوبة في التواصل مع د.عُمر في جانب حياتهم الزوجية والاهتمام بها، لكنها علمت غلو تلك الهدية في نظر د.عُمر فسعدت بها كهدية جميلة من زوجها.

تجهزت هند وجلست تراقب مدار السفينة الرئيسية، فهي تعلم بأنها ستمر قريبا مثلما أخبرتها چودل وحينها وإن أطلقت حائلا جديد فذلك يعني أن الخطر قادم للأرض لا محالة، انقضى اليوم ولم تلحظ هند أي شيء وحينها تذكرت أمر الحاسوب "جيد" فحاولت أن تفعل ما فعلته في السابق وتدخل على النظام عن بعد، لكنها وجدت نفسها لم تعد تمالك تلك الصلاحية حينها، لقد تفطنت الإدارة الجديدة للأمر ولغوا تصريح دخولها، لذا لم تجد هند أي شيء يساعدها في اكتشاف

الأمر سوى أن تحاول الحصول على مساعدة خارجية. كان أول من جاء بذهنها هو العقيد أشرف، فحدثته على الهاتف.

- سيدي العقيد أشرف كيف حالك؟

- أهلا د.هند ، سعيد لسماع صوتك كيف حالك؟

- أنا بخير، لقد حاولت استكشاف مدار السفينة الرئي....

جاءها صوت العقيد أشرف يقاطعها:

- سيدتي، غير مسموح لك بالحديث عن تلك الأشياء الآن، ومن فضلك لا تحدثيني في شيء عنها مجددا وإلا سيتم توجيه اتهام رسمي لك وسيكون هنالك عقوبة شديدة اتجاهك.

أغلق الهاتف لترتجف هند لذلك الكلام وتشعر بالخوف من طريقة تحدث العقيد أشرف لها وعلمت حينها أن طريقها مسدود، بعد دقائق وجدت جرس بابها يرن لتفتح هند الباب لتجدها جارتها شيرين تمسك بهاتف بيدها وتمده لهند تحدثها:

- تليفون هام لك.

اندهشت هند من تواجد شيرين أمام منزلها رغم آخر لقاء سيء قد جمعهم والأغرب أنها تعطيها الهاتف لتتحدث:

- آلو؟

- د.هند، آسف على غلق الهاتف معك هكذا، لا ترددي اسمي في الهاتف، ماذا لديك؟

زاد الاندهاش على محيا هند عندما اكتشفت أن المتحدث هو العقيد أشرف فحاولت هند مجاراة حديثه وتحدثت في عجالة:

- أريد أن استخدم أجهزة حديثة لاكتشاف وجود جسم يتجه ناحية الأرض أم لا.

- لا أستطيع فعل ذلك لك، هل يوجد طريقة أخرى؟

- نعم، يمكنني أن أرسل لك اختبار للطيف الترددي الذي تتركه تلك الحوائل عند التحرك في الفضاء الخارجي، وباستخدام الأجهزة الحديثة سيمكننا اكتشاف تواجدها.

- جيد لترسلي إلي تفاصيل ذلك الاختبار على رقمي هذا وسأستعين بأحد العلماء لدينا لإجرائه.

- حسنا.

هدأت هند قليلا قبل أن تكمل:

- سيدي، إن وجدت ذلك الطيف، فهذا يعني أن الحائل في طريقه إلينا.

أغلقت هند الهاتف وقامت بإرسال المعلومات اللازمة لهذا الاختبار من هاتف شيرين التي انتظرت حتى انتهت هند من الأمر لتنظر إليها تحدثها:

- أعتقد بأن ما يحدث غير آمن لي، أليس كذلك؟

نظرت لها هند بآسف:

- نعم، لكن ذلك لمصلحتنا جميعا صدقيني، أنا آسفة على توريطك معي.

- لا تتأسفي، أتمنى فقط ألا يطولني أنا وأولادي الأذى.

- لا، لم أكن لأفعل ذلك بكم أبدا يا شيرين.

رحلت شيرين دون الإكثار في الحديث، رحلت وأغلقت الباب لتغلق هند هي أيضا بابها وانتظرت ما قد يتبع ما قد فعلته.

في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، رن جرس باب د.هند بقوة لتستيقظ هي وسلمى مفزوعين فتوجهت إلى الباب تفتحه لتجد ضباطا قد حفظتهم عن ظهر قلب يحدثوها:

- د.هند نحتاجك حالا في مكتب السيد الرئيس بالعاصمة.

٤٩

لم تمر دقائق حتى انطلقت مروحية تقل هند وسلمى إلى العاصمة وما هبطت المروحية حتى وجدت سيارة مؤمنة تنطلق بها إلى مكتب السيد الرئيس، كانت تلك التحركات السريعة تبعث الخوف والرعب في نفس هند، لم ترد أن تصدق إلا إن أخبروها بالأمر صراحة.

وصلت هند إلى المكتب لتجد العقيد أشرف في انتظارها وما أن رأى سلمى حتى ترك سلاحه فارغا لها لتلعب به تحت أنظار أحد الضباط، ثم انطلق هو وهند في طريقهم إلى مكتب السيد الرئيس. دخلت هند لتجد اجتماعا كبيرا بالداخل والجميع كان في انتظارها، وقفت مذهولة من كم الشخصيات التي تواجدت في هذا الوقت بعد منتصف الليل، بالتأكيد إنه أمر جلل.

قطع الرئيس ذهولها ليحدثها:

- لقد اكتشف علمائنا أنه قد يكون هنالك جرم غامض قادم باتجاه الأرض، وبالتحديد، في مكان الحائل القديم.

أجابته هند بصوت مبحوح:

- حسنا سيدي.

- تلك نظريات العلماء، أريد دليلا ملموسا أمامي، كل معلوماتنا احتمالية وليست مؤكدة، نحن نرصد شيئا لا نراه ولا نستطيع اكتشافه بكل أجهزتنا المتطورة، هل تخبرينا كيف نتأكد من إن كان هنالك جرم أما لا؟

- لن يمكننا التأكد سيدي، إلا إذا وضع شيء في مساره يصطدم به، حينها سنتأكد بأنه موجود وسنستطيع حينها تحديد حجمه وسرعته.

- وكيف نضع شيء في مساره، إنه بعيد عنا جدا؟

- لدينا مسبار خاص بدونسيار، هو على بعد ٤٠ يوما ضوئيا من الأرض، يمكننا توجيهه ليكون في مسار ذلك الجرم وحينها سنحدد إن كان موجودا أم لا.

هنا تحدث وزير علوم الفضاء باستنكار:

- هل جننتِ؟، هذا المسبار كلف الدولة مليارات الجنيهات ويعتبر أحدث مسبار تم إطلاقه ولديه تكنولوجيا متطورة عن كل المسبارات الأخرى.

هند: أعلم ذلك سيدي ولكنه يعتبر أبعد مسبار عن الأرض نمتلك السيطرة عليه، حينها سنستطيع أخذ تدابيرنا واحتياطاتنا قبل أن يصطدم بالأرض.

الرئيس: كم تبلغ سرعة ذلك الجرم؟

- لم اضطلع على أية معلومات عن ذلك الأمر سيدي، لقد علمت بأمره هنا. لكن سرعة الجرم الذي رصدته أنا ود.عُمر منذ سنوات كان يتراوح بين ٥٠ إلى ١٠٠ ألف كم / الثانية الواحدة.

- تلك سرعة كبيرة.

- لا، تلك سرعة مهولة، أسرع مركبة فضائية تم اختراعها سرعتها تقدر ب ٢٢ كم / الثانية فقط.

- حسنا لو وضعنا نفس السرعة لذلك الجرم فكم من الوقت لدينا ليصل إلى الارض؟

- إن كان تم إطلاقه من على بعد ثلاث شهور ضوئية وبسرعة تتراوح من ٥٠ ألف إلى ١٠٠ ألف كم/ الثانية فإنه سيستغرق من ٩ أشهر الى ١٨ شهرا.

- حسننا تلك مدة كافية لأخذ قرار حيال الامر.

- لكن هنالك ٣ أشهر قد مضت بالفعل سيدي، تلك المدة التي استغرقتها الاشارة لتصل إلى الارض، لذا فإن أمامنا ٦ إلى ١٥ شهرا، وإن كنا سننتظره حتي يصطدم بمسبار دونسيار المتطور الذي يبعد عن الأرض ب ٤٠ يوما للتأكد من وجوده فحينها سيكون أمامنا فقط من ٣ إلى ٧ أشهر تقريبا.

- هل لدينا إذا وسيلة لتدميره؟

أجابت هند:

- نعم يمكننا أن نفعل ذلك، يمكننا أن نكرر ما حدث سابقا، سنصنع حائلا جديدا وعندما يقترب ذلك الحائل القادم للأرض منه فتفتح النافذة وحينها يمكننا توجيه صواريخنا باتجاه عنصر الجاردينيوم بداخله لتدميره.

- فكرة جيدة، لننفذها حالا، لتكوني فريقا من كل العلماء الذين تحتاجيهم ولتبدأوا فورا، وكل صواريخنا الدفاعية تحت أمرك لتستخدميها كيف شئت.

- حسنا سيدي.

نظر الرئيس إلى الحضور وهو يحاورهم:

- كما أننا بحاجة إلى مناقشة خطة بديلة إن فشل أمر تدمير الحائل وتابع طريقه للأرض، حينها سنحتاج إلى حماية شعبنا، وليس شعبنا فقط، كل شعوب العالم.

ثم نظر الرئيس إلى هند مجددا يسألها:

- لقد أخبرتني سابقا بأن هذا الجرم قد يسبب ضررا مهولا للأرض.

- لا، لقد قلت بأنه سيمحو الحياة من على الأرض.

- هل تخبريني تفصيليا ما قد يحدث؟

- حسنا، استنادا إلى ما حدث من ٦٥ مليون سنة مضت وعندما اصطدم نيزك من الفضاء الخارجي بكوكب الأرض واصطدم بساحل في المكسيك فإن ذلك قد أنشأ حفرة تشيكشولوب المعروفة، بعمق ٢٥ كم وقطر ١٨٠ كم، ونجم عن ذلك الاصطدام انفجار تقدر قوته بأكثر من ١٠ مليار مرة من انفجار قنبلة هيروشيما، ولّد الانفجار حرارة تقدر ب ٦ آلاف درجة مئوية، وزلزال بمقدار ١١ ريختر وموجات تسونامي من المحيط ارتفاع الموجة وصل إلى ١ كم في الهواء، وانفجار براكين في مناطق متفرقة على الأرض، ذلك لحظة الانفجار، وبعد ذلك وبعد تطاير أجزاء من القشرة الأرضية إلى ارتفاع عشرات الكيلومترات بدأت تعود إلى الأرض مرة أخرى على هيئة نيازك متعددة لتنتشر الحرائق والانفجارات في كل أنحاء الأرض مخلفة مليارات الأطنان من غاز ثاني أكسيد الكربون وأول أكسيد الكربون والميثان، لتنتشر حينها سحب غبارية وعواصف رعدية ونارية حجبت ضوء الشمس لسنوات كثيرة وتحولت الأرض إلى كتلة من الجليد وهلكت باقي الكائنات التي ظلت حية، استمر هذا

الوضع لمئات السنين حتى عادت الأرض لطبيعتها مرة أخرى، كل ذلك حيث لم يكن هنالك مفاعلات نووية مثل التي نمتلك الألاف منها الآن لتوليد الكهرباء، فإن تم كشف قلب المفاعلات بسبب تلك الانفجارات، وأصبح عنصر اليورانيوم المشع مفتوحا للغلاف الجوي فإنه سيظل ينقل إشعاعه في الهواء، وفترة عُمر النصف لعنصر اليورانيوم هي ٤,٧ مليار سنة. حينها لن تصلح الأرض للعيش فيها مجددا.

توقفت هند وهي تتنهد قبل أن تكمل:

- سيدي كان قطر هذا النيزك ١٠ كم وسرعته تقدر ب ١٧ كم/ث فقط، أما ذلك الحائل فقطره ١٢ كم وإن استمرت سرعته ب ٥٠ ألف كم/ث، فأنا اعتقد بأنه سيفتت الأرض بأكملها إلى قطع وصخور صغيرة... لذا، هذا ما قد يحدث سيدي.

٥٠

نظر الجميع لبعضهم البعض وكأنهم مصدومين مما قالته د.هند، لم يعقب أحد وظل الجميع صامتا للحظات حتى تحدث الرئيس مُعقبا:

- إذا ليس لدينا حل سوى تفجير ذلك الحائل قبل الارتطام بالأرض، أليس كذلك؟

أجابت هند بصوت ضعيف:

- نعم سيدي، ولكني أعتقد بأن ذلك الحائل سيخفض من سرعته لأنهم يحتاجون إلى الأرض بصورتها الحالية حتى يستكملوا استخراج الجاردينيوم، ولكني لا أعرف متى وأين سيخفض سرعته، لذا يجب أن نضع كل الاحتمالات في الاعتبار، نحتاج إلى بناء ملاجئ لشعبنا على عمق كيلومترات تحت الأرض ليحتموا بها، وعلينا أيضا إخبار باقي العالم بذلك الأمر ليتجهزوا هم أيضا لذلك.

تحدث الرئيس بصوت حاد:

- هذه ليست من مهامك د.هند، لتعملي على ما كلفتك به وسيساعدك الجميع في عملك، باقي الأشياء سنعتني نحن بها.

ثم أشار لها الرئيس بالخروج من الاجتماع، وطلب من رؤساء الأجهزة الأمنية البقاء أما باقي الحضور فطُلب منهم الرحيل للبدء في عملهم المكلفين به.

بالفعل خرج كل الأشخاص من الغرفة وتبقى الرئيس مع وزير الدفاع ووزير الأمن الداخلي ووزير الأمن السيادي، نظر الرئيس إليهم يحدثهم:

- لقد سمعتم ما قالته تلك العالمة، أعتقد وبتجربتي معها أنها تعي ما قالته وأنه أقرب للحدوث، هل من أراء؟

كانت كل الإجابات تشير إلى تفجير الحائل كما تم ذكر الأمر، حينها تحدث الرئيس يسأل وزير الدفاع:

- كم لدينا من الملاجئ التي تقع تحت الأرض والذي يناسب ما قالته تلك العالمة؟

- سيدي إنها تتحدث عن كيلومترات أسفل الأرض، لا يوجد لدينا ملاجئ لذلك العمق سوى ملاجئ العمليات.

- إذا لنشرع من اليوم في بناء ملاجئ لشعبنا، لتعرف المطلوب من هؤلاء العلماء في كيفية تأمين تلك الملاجئ من تلك الكوارث التي ستنجم عن الاصطدام، ولندرس الأمر بحيث تصلح للعيش بداخلها لبضع سنوات.

- حسنا سيدي، ولكن أعتقد أنه سيكلف الخزينة العديد من الأموال.

- لتأخذ ما تأخذه، سنحمي بها أنفسنا إن حدث ذلك الانفجار.

- حسنا سيدي، ولكن كم عدد الأشخاص الذين سيحتمون بتلك الملاجئ؟

صمت الرئيس قليلا وكأنه يفكر في السؤال وحينها أجاب:

- دونسيار لديها ٥ مليون مواطن، كيف لنا أن نحمي كل تلك الأعداد؟

صمت الجميع ولم يجدوا إجابة ولم يعقبوا فأكمل الرئيس:

- ليتم انشاء ملجأ كبير في كل مدينة كبرى بدونسيار ، كل ملجأ يسع ٤٠ ألف شخصا، ويراعى أن يكون أغلبهم من الأطفال والنساء، العلماء في جميع المجالات، المدرسون لكل الأعمار، أصحاب المهن والحرف الخاصة، لا تتجاوز الأعمار عن خمسين عاما، لن يشتري أحد مكانا هنالك، كل شخص سيتم انتقاءه بعناية شديدة، لعلهم هم من يتبقون على الأرض فعلا.

تحدث وزير الاستخبارات:

- هل سننبأ الدول الأخرى بهذا الأمر سيدي حتى يدبروا أمورهم؟

- لا أعلم، هنالك دول ليس لديها القدرة على إنشاء ملجأ واحد حتى فوق الأرض، لا أعلم تداعيات ذلك الأمر، سينشر ذلك الفوضى في كل العالم، إن تم تسريب الخبر فستكون هنالك حروب ضارية للحصول على مكان في تلك الملاجئ، ستباد أمم من لا شيء.

- إذا ماذا نفعل سيدي، هل ننتظر إن حدث شيء لمسبار دونسيار وحينها نتأكد من الأمر؟

- لن يكون هنالك أمامهم الوقت الكاف لتجهيز أنفسهم للاصطدام.

- إذا ماذا نفعل؟

- لنتحدث إلى الدول الكبرى أولا ونعقد اجتماعا ندرس الأمر ونتخذ قرارا جماعيا حينها.

انتهى الاجتماع وبدأ الجميع في العمل في دونسيار، تم الشروع في بناء الملاجئ تحت سرية تامة دون معرفة سبب إنشاء كل تلك الملاجئ، اجتمع وزراء استخبارات الدول العظمى ليتباحثوا الأمر سويا وانتهى الامر إلى أنهم سيدرسون الأمر ومنه سيقومون بأخذ الإجراءات اللازمة، كان ذلك ردا مهذبا منهم لعدم تصديقهم كل ما يحدث بعدما أكد علماء تلك الدول لرؤسائهم بأنهم لم يرصدوا أي خطر قادم باتجاههم.

مكثت هند وباقي علماء دونسيار في دراسة الحائل القادم واكتشاف أكبر قدر ممكن من المعلومات، حتى أنها انخرطت مع بعض علماء الدول الأخرى في بعض المعلومات وتشاوروا في الأمر مطولا ومرت الأيام وبحسب حساباتهم الرقمية قاموا بتوجيه مسبار دونسيار ليكون في نفس مسار الحائل القادم.

تم إنشاء مركز عمليات يتابع كل ما يحدث ثانية بثانية، وعند اقتراب موعد الارتطام لمسبار دونسيار تواجد الرئيس في مركز العمليات، كانت هند هي أول من قابلت الرئيس لتشرح له آلية عمل ذلك المركز ومهامه:

- حسنا سيدي الرئيس، تلك الشاشة هي الصورة التي نتلقاها من مسبار دونسيار، هذه البيانات هي بيانات أُرسلت منذ أربعين يوما وهي المسافة التي يبعد عنا بها المسبار.

- إذا نحن نشاهد مقاطع ماضية له، ومازال يعمل.

- نعم، لقد قمنا بحسابتنا الدقيقة، وعلى حسب تقدير سرعة الحائل القادم فإن البيانات الخاصة بالارتطام ستصلنا في الفترة القادمة ومنها سنعرف سرعة الحائل الحقيقية.

- هل أنت متأكدة أن سرعة الحائل ستقل؟

- أعتقد بأنها ستقل بدرجة كبيرة، هذا الحائل سيحل محل الحائل المنفجر، لذا يريدون أن تظل الأرض على حالتها السابقة لذا يجب أن يقلل سرعته، لأنه لو ارتطم بالأرض بتلك السرعة فلن يبقى كوكبنا كتلة واحدة بعد ذلك الارتطام.

- لكن يبقى هنالك اصطدام سيحدث أليس كذلك؟

- أعتقد ذلك نعم سيدي.

نظر الرئيس أمامه على الشاشة ليسأل هند:

- ما هذا العداد الذي يعد تنازليا هناك بالأعلى؟

- هذا عداد بدأ فترة ترقب الاصطدام، ستبدأ بعد ٣٠ ثانية. إن كان الحائل يسير بأقصى سرعة له فإن المسبار أمامه ثلاثون ثانية وسينفجر.

بدأ العداد يتناقص حتى انتهت الثلاثون ثانية وحينها بدأ عداد فترة الترقب في العد وحين جاءت الثانية الثالثة فظهر انفجار عظيم على الشاشة وحينها انقطعت الإشارة القادمة من مسبار دونسيار للأبد.

٥١

وقف كل من في مركز العمليات صامتا لا يتحدث، لقد كانوا يمنون النفس أنه لن يكون هنالك خطرا يهددهم ولكن ذلك لم يحدث، لقد حدث الانفجار أمام أعينهم، ليس أمام رئيس دونسيار وعلمائها فقط، بل بحضور علماء من جميع الدول حول العالم، أتوا ليشاركوا علماء دونسيار الحدث والتأكد من صحة ما يقولونه وها هي الصورة خير دليل على ذلك، ولكن الدليل أتى كالصاعقة بالنسبة إليهم لأنهم علموا بأن الحائل يتقدم إليهم بأقصى سرعة له، حينها فقط تأكد العالم أنه على مقربة من هلاكه.

رحل الرئيس من المركز وطلب عقد اجتماع فوري لبحث تداعيات الأمر، وغادر العلماء الأجانب لبلادهم بعدما تم تبليغ حكوماتهم بأن هنالك خطر مدمر يهدد العالم كله ويلزم اتخاذ قرار سريع حيال الأمر.

جلست هند في مركز العمليات وهي تعيد مشهد انفجار المسبار بقوة، لم يأخذ الأمر سوى أقل من ثانية حتي يُدمر المسبار تماما وهنا تسرب اليأس إليها لأول مرة، وقفت وكأنها مكتوفة الأيدي لا تستطيع فعل شيء، حتى أن فكرة تدمير ذلك الحائل ستكون محل شك بسبب سرعته الفائقة التي ستجعل أمر تفجيره شبه مستحيلة.

اجتمع رئيس دونسيار بهيئة العلماء مع هيئة الدفاع لدراسة ذلك الأمر، كانت هند هي من تترأس هيئة العلماء، كانت في وضع لا تحسد عليه، فهي عليها الآن أن تقوم بتجهيز كل شيء لتفجير ذلك الحائل قبل الوصول إلى الأرض، تحدث الرئيس ليبدأ الاجتماع:

- حسنا لقد تأكدنا من أن هنالك جرم فضائي ضخم قادم للأرض ويجب علينا مجابهته، د.هند فلتخبرينا ما تعرفيه.

- حسنا سيدي، الحائل يتقدم إلينا تقريبا بسرعة ١٠٠ ألف كم/ الثانية وتلك سرعة مهولة، في لحظتنا تلك فإنه على بعد أقل من ٨٠ يوما من الارتطام بالأرض، سرعته تلك ستجعل أمر توجيه الصواريخ إليه أمرا صعبا.

- إذا ماذا يمكننا فعله لتدمير ذلك الحائل؟

- يجب علينا تقليل سرعته حتى يمكننا توجيه الصواريخ بشكل دقيق.

- وكيف لنا أن نقلل سرعته إذا؟

- هنالك فكرة قمت بطرحها مع علماء الدول الأخرى وقد قاموا بتأجيل عرضها على رؤسائهم حتى يتأكدوا من وجود الحائل ووجود خطرا على الأرض حقا.

- حسنا وما هي تلك الفكرة؟

- ستكون مُكلفة ولكنها ستكون فعالة، سنستعين بكل السفن والصواريخ الفضائية الموجودة على الأرض ولم تطلق بعد، سنحمل عليها عنصر الجاردينيوم الذي أخذناه من جبل منطقة الثقب، وسنطلق تلك الصواريخ إلى الفضاء الخارجي وفي اتجاه الحائل وحينها سنقوم بتفعيل عنصر الجاردينيوم على كل سفينة فضائية لتصنع كل واحدة منهم حائلا فيصبح لدينا عدة حوائل تولد قوة تنافر مع ذلك الحائل القادم بحيث تقل سرعته إلى أقل درجة ممكنة وحينها نستطيع توجيه صواريخنا وتفجيره.

- نحن على استعداد لإطلاق كل سفننا الفضائية دون تردد.

نظر الرئيس إلى وزير علوم الفضاء يحدثه:

- هذا أمر مني بتجهيز كل صاروخ فضائي لتلك المهمة.

ثم نظر الرئيس إلى هند مجددا:

- لتخبريني بمستجدات ذلك الأمر ومدى تجاوب الدول الأخرى مع الأمر.

بدأت بعض الدول في تجهيز الملاجئ التي ستحتمي بها وكان أمر الإعلان عن ذلك الهجوم هو محل الدراسة، كان على كل الدول تأمين تلك الملاجئ لأنهم كانوا يعلمون أن هنالك فوضى ستحدث عند الإعلان عن الأمر، لذا تم توظيف وحدات عسكرية بأسلحة ثقيلة لتأمين الملاجئ وتوقف الأمر على إخبار سكان الملاجئ بتوجههم إليها قبل الارتطام بيوم واحد فقط.

في بعض الدول كانت الأماكن في الملاجئ تُحجز بالأموال، وليس أي مال، كان بالذهب الخالص، من أراد حجز مكان بالملجأ عليه أن يدفع مقابل ذلك، ووصل الأمر إلى أن هنالك مزادات فُتحت لتلك الأماكن، انتشر الأمر بين الناس وعلموا أن هنالك هجوم مدمر سيحدث على الأرض وأنه إن لم يحتمِ الناس بتلك الملاجئ فهم هالكون، اعتقد بعض الناس بأن ذلك الأمر ما هو إلا مزحة ما ولكن بعد أن ذاعت الحكومة الأمر وبدأت تأمر شعبها بأن يحتموا في الأماكن المنخفضة تحت الأرض بقدر الإمكان، حينها علموا أن هنالك أمرا غريبا يحدث.

لم يكن الأمر مختلفا كثيرا في دونسيار، الفارق الوحيد هو أنهم قد علموا عن الأمر مبكرا فبدأوا في تدشين الملاجئ في كل المدن مع وجود

حماية وتأمين خاص لتلك الملاجئ مع تجهيز قائمة معدة لكل السكان التي تنطبق عليهم شروط النزول إلى تلك الملاجئ.

وصلت هند إلى مكتب السيد الرئيس لتعرض عليه مستجدات الأمور فدخلت ومعها بعض العلماء يتحدثون للرئيس:

- سيدي، لقد حصلنا على موافقة كل الدول في إطلاق صواريخهم وسفنهم الفضائية إلى الفضاء لمجابهة الحائل.

- ممتاز، كم عددهم إذا؟ وهل سيكفون أم لا؟

- عددهم سيكون تقريبا ٤٦٦ صاروخا فضائيا، لقد وضعنا صواريخ وسفن التجارب في المهمة أيضا ولقد بعثت لنا بعض الدول خصائص سفنها الفضائية ورفض البعض أن يرسل، ولكن بعد عمل دراسة تقديرية ومحاكاة لما سيحدث فإننا نعتقد أن تنخفض سرعة الحائل إلى ٥٠٠ كم / الثانية وهي مازالت سرعة كبيرة ولا يمكن المغامرة بتوجيه صاروخا إلى الحائل فإن أخطأناه أو قام الحائل بالتشويش على توجيهنا له فسنكون هالكين.

- إذا ما الحل؟

- الحل هو أن أحد تلك السفن الفضائية سيكون عليها أحد رواد الفضاء، يدخل بنفسه عبر نافذة الحائل ويقوم بتوجيه صاروخ إلى عنصر الجاردينيوم ليفجره.

- حسنا لنقم بذلك، ما المشكلة؟

- بسبب سرعة الحائل سيدي، فإن رائد الفضاء ذلك سيدخل الحائل ولن يستطيع الخروج. سيقوم بتفجير نفسه مع الحائل.

٥٢

كان وقع أمر رائد الفضاء صادم للسيد الرئيس، فهو يصدر قرارا بقتل أحد الأشخاص. لم يكن الأمر سهلا أبدا لاتخاذه ولكنه كان ضرورة محتمة للتأكد من المرور من خلال النافذة التي ستُفتح في الحائل ومنها يتم تفجير الحائل من الداخل.

ذلك لم يكن القرار الصعب الوحيد، فكان عليه أن يصدر قرارا بتهجير كل سكان المدن المطلة على الساحل الجنوبي لدونسيار والذي يقترب من المنطقة التي سيسقط بها الحائل، لم يكن الأمر سيشكل فارق كبير لهم، فإن سقط الحائل فكل من هو على سطح الأرض سيتعرض للإبادة، ولكن من هو قريب من سقوط الحائل فسيكون مصيره الموت الفوري جراء الانفجار الحراري الذي سيحدث، لذا تم توزيع منشورات تحث الجميع إلى الاتجاه شمالا وباتجاه مدن بيرنا ومودرش للابتعاد عن الموجة الانفجارية الأولى. وإن كانوا لايزالوا في مهب الهلاك من تبعات سقوط الحائل.

ساد الهرج والمرج في كل مدن العالم وحينها بدأت غريزة الإنسان في الظهور، إما أنا أو لا شيء، حاولت العديد من الجماعات مهاجمة أماكن الملاجئ المؤمنة واضطرت القوات العسكرية في الرد عليهم ليخلف الأمر العديد من القتلى والإصابات الخطيرة ، كان من لديه قوة وعشيرة يحاول بكل ما أوتي من قوة أن يحصل على مكان له ولهم بالملاجئ ، أما الاخرون وأغلبية شعوب العالم لم يجدوا مكان يختبئون به فظلوا في منازلهم منتظرين مصيرهم وما سيحدث لهم.

في ذلك الوقت انتشر الخطاب الديني وربط الجميع الأمر بأن ذلك غضب من الله ويجب على الجميع الرجوع إليه قبل فوات الأوان.

في دونسيار وبداخل مركز العمليات جلست هند تعد كل الأمور المتعلقة بإطلاق الصواريخ والمركبات الفضائية لتقوم بمهمتها الأخيرة، احتوى المركز على شاشة ضخمة بها كل مراكز الإطلاق المعنية بإطلاق صواريخها في مختلف البلدان، كان الكل يعلم ميعاد إطلاق صواريخه ومركباته وتم إعداد خطة للاستفادة القصوى من قوة محركات تلك المعدات الفضائية في أن تكون حائط صد للتقليل من سرعة الحائل، حيث تم إمداد كل مركبة بعنصر الجاردينوم مع طريقة تفعيل الحائل لكل منهم عند اقتراب الحائل لتتولد قوة التنافر اللازمة، حينها يستطيع رائد الفضاء من المرور خلال إحدى النوافذ التي ستُفتح في الحائل ويقوم بتفجير مركبته بالقرب من مركز الحائل القادم.

كان رئيس دونسيار متواجد داخل مركز العمليات يشجع كل من به بقدرتهم على النجاح وإنهاء ذلك الخطر، ولكن كان هنالك تشجيع من نوع آخر، فقد وقف الرئيس أمام ذلك الرائد المختار لتفجير الحائل، كان الرائد يقف شجاعا متزنا لا يبدو عليه أنه مقدم على تفجير نفسه من أجل البشرية، كانت ملامحه ثابته لا يبدو عليه الضعف، تحدث إليه الرئيس كلمات قصار قبل أن يقترب منه ويسلم عليه وحينها وجد نفسه يحتضنه بقوة.

استعد الجميع وأبلغ كل شخص تمام استعداده. حينها بدء العد التنازلي لإطلاق كل المركبات إلى الفضاء تباعا. شاهد الناس في كل أنحاء العالم منظر كل تلك الصواريخ الفضائية وهي تملأ السماء تشق طريقها إلى الفضاء الخارجي وسط منظر مهيب لم يره أحد من قبل، كانت الصواريخ تصعد للسماء من كل حدب وصوب، كلها من أجل هدف واحد، الدفاع عن الأرض وتلك كانت محاولتهم الوحيدة والأخيرة المتاحة لهم، انطلقوا وسط تهليل ودعوات من الناس الذين احتموا بالمباني الأشد قوة وأقلهم انخفاضا ظنا منهم أنها قد تعصمهم مما هو

قادم، أما الملاجئ فقد امتلأت بسعداء الحظ الذين تم استدعائهم لها، كل دولة وعلى حسب نظرتها للأمر والأشخاص الذين ستستوعبهم ملاجئهم.

وقف رئيس دونسيار أمام الشاشة العملاقة وهو ينظر إلى كل الصواريخ وهي تحلق في السماء وحينها اقترب منه حارسه الشخصي يحدثه:

- يجب أن نرحل الآن سيادتك إلى الملاذ الأمن.

نظر الرئيس إلى هند وهو يحدثها:

- سأكون على اتصال مستمر بكم.

أومأت له هند متفهمة لما يحدث وحينها أكمل الرئيس:

- شرفت بالتعامل معك د.هند.

أجابته بصوت متوتر:

- أنا أيضا سيدي الرئيس.

٥٣

وقفت هند في منتصف القاعة وقد كان المركز أشبه بخلية نحل في ذلك الوقت، كُلّا يتحدث فيما يخصه ويتابعون بتركيز كبير كل كبيرة وصغيرة تتم، كان هنالك صوت يتردد بداخل مركز العمليات يبين مدى التقدم في المهمة، اجتازت المركبات الفضائية الغلاف الجوي واستمرت في طريقها إلى الأعلى واجتازت حينها حاجز روش.

انطلق صوت من خلف هند يسألها:

- ما هو حد روش ذلك د.هند؟

استدارت هند وهي تنظر إلى مصدر الصوت لتبتسم لرؤية العقيد أشرف وهي تجيبه:

- حد روش هو المسافة التي تفصل كل جسم سماوي عن جسم آخر بحيث يوثران على بعضهما البعض بالمد والجزر، وفي حالتنا تلك فإن كل الصواريخ الفضائية التي أطلقناها كان يجب أن تجتاز حد روش حتى لا تجذبها الأرض مجددا فتسقط على الأرض مجددا.

- إذا ستبقى تسبح في الفضاء؟

- نعم... أرى أنك بدأت تحب علوم الفلك.

- نعم إنه مثير ولكنني أتمنى زوال تلك المحنة أولا، وأرى أنك لم تذهبي إلى الملجأ رغم أنني من أدرجت اسمك في القائمة.

تلاشت جزء من الابتسامة من على وجه هند وهي تخبر أشرف:

- لقد عقدت صفقة جيدة، لقد وضعت سلمى ابنتي وشيرين جارتي وأبنائها معها بدلا من اسمي أنا فقط.

- هذه صفقة جيدة، لكنك لم تختاري نفسك للنجاة.

- مكاني هنا، وأنا على وفاق مع ذلك، لقد اطمأنيت على سلمى مع شيرين، ماذا عنك، هل كتبت اسمي ولم تكتب اسمك، مازلت شبابا لم تجتز الخمسين؟

- لا يوجد شيء لدي لأقاتل من أجله، لقد وهبت حياتي للعمل فقط، كما أن ملامحي قد تجاوزت الخمسين. (قالها وهو يبتسم).

- حسنا، ليس لدينا الآن سوى الدعاء أن تسير الخطة كما خططنا لها.

انتهت فترة إطلاق الصواريخ وحينها جاء دور رائد الفضاء بمركبته وهو يتواصل مع المحطة الأرضية، ما أن جاء صوت رائد الفضاء عبر مكبرات الصوت فصمت كل من بالمركز تماما وبدأوا يستمعون لحديثه مع المحطة الأرضية.

بدأ رائد الفضاء بالتعريف بنفسه وبمركبته:

- معكم فارس سعيد، قائد المركبة "نجاة ١"، أنا الآن في الفضاء الخارجي ومستعد لتنفيذ المهمة.

تولت هند الحديث مع فارس:

- أهلا فارس، معك د.هند من المحطة الأرضية، نعم أنت في مسارك الصحيح وأنتم الآن تقتربون معترضين مسار الحائل، ستبدأ

سرعته في الهبوط بعد الحاجز الذي صنعناه من تلك المركبات الفضائية، ستُفتح نوافذ في ذلك الحائل وحينها سترى شعلة مضيئة بداخله كما أخبرناك.

- نعم د.هند، لقد قمت بتشغيل الرؤية المعظمة في المركبة وأتابع الأمر هنا.

- حسنا، لتذكيرك فقط، فإن سرعة ذلك الحائل ستكون كبيرة، لن يكون لديك وقت كبير للتوجيه فرجاء...

قاطعها فارس:

- لقد رأيت الشعلة، سأقوم بالتوجيه...

ظهر على الشاشة انفجار المركبة التي يقودها فارس لتنقبض القلوب بشدة وتمسّك كل شخص بالمقعد الذي يجلس عليه، وتوقفت هند عن المناداة عن فارس بعد مشاهدتها لما حدث وانتظرت مترقبة ما سيحدث.

وجه العقيد أشرف سؤاله لهند:

- ما الذي حدث؟، هل تمكنا من تفجير الحائل؟

- لا نعلم، لقد قلت سرعة الحائل بالفعل، لا أعرف إن كان فارس قد استطاع العبور من إحدى نوافذ الحائل أم اصطدم بجداره الخارجي.

- وكيف سنعرف ذلك إذا؟

- إن لم ينفجر الحائل فإنه سيصل الأرض بعد ٤ ثوان من الآن.

٤، ٣، ٢ ، ١ ...

ولم ينفجر شيء على كوكب الأرض.

انتظرت هند لبعض الوقت في ترقب وحينها وعبر المذياع تحدثت بكل فخر وصوت عال:

- لقد أنجزنا المهمة بنجاح.

دوى صوت الصياح والفرحة في مركز العمليات واتجه الجميع إلى تحية بعضهم البعض على ما فعلوه وإنقاذهم كوكب الأرض من الهلاك.

حينها جاء صوت الرئيس على مكبرات الصوت:

- أشكركم جميعا. أشكر جميع علماء دونسيار والعلماء الذين ساعدونا من خارج دونسيار من أجل مجابهة ذلك الخطر، أنتم سلاحنا لمجابهة الأخطار وكنتم أفضل عون لنا وللبشرية كلها، سنظل ندين لكم بالفضل ونشكركم على ما فعلتموه.

وحينها بدء الهتاف والصيحات يدويان في المركز مجددا.

٥٤

داخل الثقب.

تم إعداد حفل كبير، حضره السيد الرئيس لتكريم كل من ساهم في تفجير الحائل، كانت هند هي من ستنال التكريم الأكبر لمجهوداتها، وقفت هند تستلم ميدالية الواجب من المرتبة الأولى، في أول صف في الحضور تواجد كل من سلمى وشيرين جارتها ود.عُمر جيد يجلس على كرسي متحرك ومن خلفها تواجد كل العلماء الذين ساعدوها في مهمتها حتى جاء شخص من خلفها يجذب يدها بقوة لتنزعج هند وهي تنظر إليه لتجده المهندس عماد:

- عماد؟!، ماذا أتى بك إلى هنا؟

- د.هند فلتستيقظي من حالة الهيام تلك، لقد صنعوا الحائل مجددا ونحن بداخله، لقد رأيت العقيد أشرف وهو ينشأ الحائل مجددا، إنه هو المراقب الجديد.

- ماذا تقول، هل أنت مجنون؟

- سيدتي، نحن نعيش ضلالات هنا كالتي حدثت لد.عُمر جيد، يجب أن تركزي وتتعاوني معي، لقد خرج أشرف من الحائل لسبب ما، يجب علينا أن نعثر على المسحوق الأبيض ذاك لنستطيع مغادرة ذلك المكان قبل أن نموت.

٥٥

خارج الثقب.

- مرحبا أشرف، كيف حالك؟

- على أتم ما يرام سيدي رئيس الأمن السيادي.

- كيف الحال بداخل الثقب الآن؟

- كل شيء يتم وفق ما خططت له، هند وكل العلماء الآن يستعدون للاحتفال بنجاحهم العظيم بإنقاذ العالم بعد تدمير الحائل.

- وهل هنالك خلل بالحائل الاحتياطي؟

- لا سيدي، يعمل بكفاءة، كل من بالداخل تحت تأثير الخيالات التي رسمها لهم الحائل.

- هل الكل مستمتع بما يحدث بالداخل؟

- نعم سيدي، كل شخص لديه ضلالاته الخاصة وكلها في إطار عملهم وكل الخيالات تدفعهم للحماس والسعادة.

- والإشعاع الصادر من الضابطين اللذان توفيا؟

- قمت بوضع لفائف منع الإشعاع عليهم حتى لا تؤثر على حياة باقي ضيوفنا.

- كم عدد المتوفين حتى الآن؟

- د.عارف ود.سمير توفيا على الفور بعد تعرضهم للإشعاع، الباقون حالتهم الصحية متفاوتة، لكني أتابعهم جيدا.

- والمعمل؟

- يعمل بكفاءة، وبدأنا في استكمال حفرنا مجددا واستخراج عنصر الطاقة من باطن الأرض، وسننتظر النافذة القادمة لإرساله.

- لقد بذلت مجهودا رائعا معنا يا أشرف.

- أنت من خططت لكل شيء سيدي، فكرة أن تجمع كل من يعرف معلومات عن الحائل في طائرة واحدة وتبعثهم في رحلة استكشافية لتقصي الحقائق هناك بعد تفجير الحائل القديم، تلك فكرة ذكية.

- لم تكن لتكتمل دون وجود مراقب مخلص مثلك استطاع تشغيل الحائل البديل في الوقت المناسب دون أن يشعر بك أحد.

- لقد استغللت أمر انكشاف غطاء المفاعل وانسللت من الجمع وقمت بتفعيل الحائل البديل، بالمناسبة ماذا أخبرتم الناس بطائرتنا؟

- تم نشر خبر سقوط طائرة تقل علماء كانوا في طريقهم لاستطلاع مكان جديد لإنشاء محطة فضائية جديدة لدونسيار، ولكن بسبب عطل في المحركات سقطت الطائرة في أعمق منطقة بالمحيط، قمنا بمسح المنطقة برجالنا ولكن لم يحالفنا الحظ بالغوص إلى أعماق كبيرة لانتشال الجثث حينها. لكننا قمنا بتكريم الشهداء كلهم بتواجد أهلهم، قام الرئيس بتقدمة واجب العزاء بنفسه فيهم.

- كيف أقنعت السيد الرئيس بذلك؟

- هنالك مشاكل تركها أفضل من أن تتشبث بحلها.

- ود.عُمر جيد؟

- توفى بسبب ضعف أجهزته الحيوية، توفى مباشرة بعد إنشاءك للحائل

- وچايدا؟

- أصبحت خارج الخدمة الآن.

- وچودل؟

- مازالت هاربة مع ذلك الطبيب يحيى فهمي لكننا سنجدها.

- وسلمى؟

- لقد أخذتها مراقبتنا شيرين، ستصنع لها العالم الذي تحبه في منزلها.

- وأنا؟ ، ماذا سيتم معي؟

- أنت الآن في عداد الموتى مع من معك في الطائرة، لذا فأنت الآن المراقب الأساسي للحائل وأصبح الحائل مسئوليتك الأولى والأخيرة وأتمنى ألا يتكرر ما حدث مع چودل وچايدا معك.

- لن يحدث مجددا سيدي. لقد شرفت بالخدمة معك سيدي المراقب الأصلي.

- وأنا أيضا أيها المراقب "چود ٤٣٨".

لتقييم الرواية على موقع Goodreads



مؤلفات الكاتب:

- لازاريتو، (من تجارب د.يحيى فهيم، #١).

- من تحقيقات محمد حميد، (من تجارب د.يحيى فهيم، #٢).

- سفاح ستوكهولم، (من تجارب د.يحيى فهيم، #٣).

- ثقب الهاوية، (من تجارب د.يحيى فهيم، #٤).

للتواصل مع الكاتب:

Instagram: wr.mohamedhassan

Mail: mohamed.hassan.wr@gmail.com